سلسلة تطبيقات النظام القرآني

# الحل الفلسفي

# بين محاولات الإنسان ومكائد

# الشيطان

تأليـــف

عالم سبيط النيلي

**المحتويات**

. النفس بعد الموت : نقد افلوطين وأرسطو وسقراط .

. المعاد النفسي والجسماني : تناقضات ابن سينا .

. الجلسة الرابعة :

. الآلهة المتعددة والحرية .

. خداع الإنسان لنفسه يعين الشيطان على عمله .

. مذكرات الشيطان عن الغزالي .

. مارد يختطف محاورة حكيمين في جبال الصين .

. الشياطين يناقشون المحاورة العجيبة .

. تأسيس الأخلاق على مبدأ التناقض الجوهري وتفنيد الأخلاق المعلبة للفلاسفة القائمة على العقل ومبدأ عدم التناقض .

. المعنى اللغوي للوجود .

. مصادرات الشيرازي حول تحقق الوجود .

. مصادرات نصير الدين الطوسي والكاتبي .

. رئيس الشياطين يحرج الشيطان بإبطال البرهان على واجب الوجود .

. مصادرات الفارابي .

. محاورة أخرى يرصدها الشيطان للحكيمين موضوعها ( التحامق ) .

. العقل والحركة. تفنيد آخر للديكارتية .

الجلسة الخامسة :

. إشكالية الزمان : مغالطات للفلاسفة في الزمان والمكان .

. مغالطة انعدام الدواعي عند الله لخلق الخلق : تأسيس فكرة لا تناهي ( دواعي الكمال ) .

. لمحة إلى تناوب الوجود والفناء .

. مصادرات أخرى للمتكلمين والفلاسفة في القدرة والإرادة والفعل .

. تأسيس فكرة ( الفعل يستلزم عدم فعل عدمه ) .

. الشيطان يفند الفارابي لتحديده الكون.

. الشيطان يضرب مثلاً لعمله مع الإنسان مقابل الرسل .

. تأسيس لغوي للحدوث ( مغالطات الفلاسفة .

. إبطال اصطلاح ( العلة الأولى ).

**. الآلهة المتعددة عند الصوفية . ( لمحة إلى سكريتان وباسكال وكلي ).**

**. عداء المادية للمادية ، مكيدة كارل ماركس وأنجلز .**

**. المعرفة والاختيار ( المعقول لا يعقل غيره )~ تأسيس جديد .**

**. استحالة حصول الاثنين من الواحد ، واستحالة حصول الاثنين بغير الواحد (التناقض الجوهري النهائي ) . تفنيد الفيض والصدور .**

**. حصول العلم اليقيني بمجهولية الواحد المعلوم ( الذي هو) .**

# المقدمة

يعرض هذا الكتاب الحل الفلسفي الجديد من خلال مناقشات متخَّيلة بين الشياطين في مؤتمر لهم مكوّن من عددٍ من الجلسات ، يستعرضون فيها إنجازاتهم التاريخية في مضمار الفلسفة وما حققوه من نتائج لتضليل الإنسان عن الحقيقة خلال بحثه الدؤوب عنها وحيث يفعلون ذلك فان الحقيقة تظهر واضحةً جليةً في محاوراتهم ، إذ يتوجب عليهم لتضليل الإنسان عن الحقيقة أن يكون لهم علمٌ بها .

وهذا وحده جزءٌ من الحلّ الجديد فهو يفصل فصلاً تاماً بين المعرفة والأخلاق ،فيجعل المعرفة في خدمة الأخلاق سيئةً كانت أم حسنةً . لكن عملية تحديد ما هو حسن وما هو قبيح ترجع إلى العقل بإنابة من (الأنا ) أو الذات ،فقرارات العقل غير متحررة من سلطة الذات .

لذا يتوجب تحرير العقل من سلطة الأنا أولاً ليتمكن العقل من القيام بالحكم مستقلاً وتلك أول مرحلة من مراحل التمهيد للحلّ الفلسفي معرفياً .

تُظهر الحوارات أن ما حصل في الفلسفة بجميع أقسامها هو العكس ، فقد تمَّ تطوير الأنا ليقوم بأكبر قدرٍ من الاستلاب للعقل ولحريته في الحكم .

إذن فالشكّ لا يخرج من الأنا متوجّهاً إلى الأشياء كما فعل ديكارت . هيوم . هوسرل . هيجل أو كانت ، في تطوير المثل الأفلاطونية على المنطق الارسطي . ولا كما فعل جميع فلاسفة المشرق ، إذ يوجب الحلّ بناءاً على تلك المقدّمة إعادة مِنطِقة العقل نفسه قبل التسليم بمنطِقِه وإجراء التشكيك بأولياته نفسها حذراً من أن يكون الأنا قد تدخّل في تحديدها .

يعرض الحل صوراً ملونة متعددة لتعظيم ( الأنا ) من خلال المحاورات لإثبات وحدة المنطلق في التفكير الفلسفي برمّته ، فهو تفكيرٌ متوحدٌ بالأنا ولذلك فإن العرض يلغي التقسيم السابق للفلسفة إلى مادية ومثالية وفروعهما . فكلها عنده فلسفات لا تختلف إلاّ في طريقة تعظيم الأنا ، فهي جميعاً تنطلق من الذات لفهم الوجود ومن ثمّ الموجد أو من الذات للبرهنة على الموجد ثم الوجود .

ويكمن الحل الفلسفي الجديد في ضرورة انعكاس العلاقة بين الإنسان والآخر ، حيث يضع مبدأً جديداً هو ( نسبية التناقض ) ، فتعمل هذه النسبية على تعزيز ( مبدأ عدم التناقض ) . كونه المبدأ المرتبط بالعلاقات الخارجية والحاكم على حركتها في الزمكان . بيد أن هذا المبدأ هو لخدمة (التناقض) الأساسي في التكوين الوجودي وهو بالطبع لا علاقة له بالتناقض الذي تدّعيه المادية ، والتي هي في هذا الحل لون من ألوان المثالية لا غير .

المادة هي كل شيء في هذا العالم ولو كان ثمة فكر مادي فعلاً لكان هو تلك الحكمة التي لا يمكن

**تخطئتها بأية حال ، إذن فللمادة في هذا الحل معنى آخر .**
**عدم التناقض إذن هو مبدأ عام لخدمة المبدأ الأساسي الذي هو التناقض الجوهري . وبين هذين المبدأين تناقضٌ . فالتناقض الأخير هو سر هذا الوجود .**
**ولما كان التفكير الفلسفي بحثاً عن الحقيقة التي وراء الحركة . فإنه يتوجب لإدراك هذه الغاية أن يستخدم التناقض في فكرة الحل وعدم التناقض في خطوات الحل . فعليه أن يستخدم التناقض الجوهري لما هو جوهري ، فالحل يكمن في فكرة التناقض بيد إن خطواته تتم بمبدأ عدم التناقض ، ولذلك فإن عليه أن يُحدث تناقضاً جديداً كلما توقّف عن البحث أو وجد توقفاً في عمل مبدأ عدم التناقض . وحينما يصل إلى مرحلة تساوي الأطراف ولا يقدر على تجاوزها بتناقضٍ جديد فإنه يتمكن من الحصول على ( علم ) بالمجهولية وهذا هو المطلوب أخيرا .**
**وسوف أوضح الآن باختصار ما تنطوي عليه هذه العملية :**
**إن البحث عن الأنا . حقيقته ووجوده . يستلزم في البدء إلغائه ، وهذه العملية تجاري الأساليب العلمية في علوم الطبيعة وهي بخلاف ما جرت عليه عادة الفلاسفة جميعاً . ففي العلم التجريبي يتم تثبيت أحد المتغيرين لرصد المتغير الآخر وهذا هو السر الوحيد في تطور العلوم جميعا وهو في الأصل روح الرياضيات . فالتثبيت ليس له أي معنى فيزيائي سوى الإلغاء لأنه يوقف الحركة بالفرض والذي هو نقيض لها في الخارج فالحركة لا تتوقف بالفعل وإنما بالفرض .**
**إذن العلم التجريبي يستخدم فكرة التناقض ويتوصل إلى الحل بخطوات على مبدأ عدم التناقض ولكنه لا يحصل على علم جوهري لان التناقض بين الفكرة والحل ليس جوهرياً ، فإن افتراض توقف حركة أحد المتغيرين هو افتراض يجري على الحركة ولذلك فإن النتائج لا تتجاوز الحركة .**
**إذن يتوجب لمعرفة الأنا إجراء تناقض جوهري أولا . ولما كان الطرف الآخر لا يمكن السيطرة عليه ، ولا فرض أي شيء يخصه فيبقى الحل في تثبيت الطرف الأول أي إلغاء الأنا .**
**ومعنى ذلك إن الأنا ولكي يتعرف نفسه ينبغي له أن يلغي نفسه في فكرة الحل وينظر للآخر . فالحل لا يبدأ بالانا بل يبدأ بال(هو) . عند إلغاء الأنا تظهر حقيقة الآخر وعند الرجوع لملاحظة الأنا الملغي يجده قد أصبح حقيقة وجودية أبدية ، لذلك يتمكن الأنا من السيطرة على ألانوات الأخرى أو التخلص من ألانوات المضادة أو الاستفادة من ألانوات التي تخدم صفته الأبدية بحسب قدرته في الإلغاء أو عدمه فكلما تم إلغاء أكبر للانا تمّت السيطرة بقدرِهِ على جملةٍ من الموجودات إلغاء أو استحواذا عليها .**
**لكن يتوجب معرفة الطرف الآخر في هذه العملية أي ( الذي هو ) . فان الموجودات تشترك مع الأنا في جميع خصائص الحركة وجعِل أحدها مركزاً مقابلاً للانا هو إلغاء للجميع مهما كان ذلك الموجود بعيداً .**

وهنا يقدم الحل الأسلوب التجريبي ، فالذي هو في علاقته بالانا موضوع خاضع للتجربة وإن كان الذي هو لا يخضع لها ، فالعلاقة خاضعة للتجربة بيد أن أحد طرفيها غير خاضع لها ، لأنه ليس واحداً من الموجودات المعلومة .وفي العلم التجريبي أمثلة لا تحصى عدداً لمثل هذا النوع من العلاقة التي يكون فيها أحد الأطراف مجهولاً بالمرّة ولا يخضع لأي قياس فيكفي تسميته فقط .وهنا تظهر الحرية بأجلى صورها من حيث أنها حقيقة أولية فهي برهان لنفسها ولا تحتاج إلى برهان خارجي ، وذلك من خلال ارتباطها بمعلوم لا يعرف والذي اسمه ( هو ) . إن إلغاء الآخر لا ينتج منه سوى إلغاء الأنا لان ( الذي هو ) هو الطرف الأول الممسك بالانا .

ومن هنا فإن الفلسفة لابد أن تكون تناقضاتها فاضحة وأوهامها مخزية وهي تتحرك من الخارج إلى الداخل ولا تفعل مثل ما يفعل جميع العقلاء حينما يريدون معرفة موضع ما إذ لابد لهم من إلغاء وجودهم في الموضع الأول والتحرك إلى الموضع الآخر . بينما يقوم الفلاسفة بعمل معكوس حينما يقول أحدهم ( أنا ) في البدء ويزعم بعد ذلك أنه كشف عن حقيقة الآخر .إذن تظهر تلك التناقضات خلال المحاورات في المؤتمر الخيالي هذا .

إن إلغاء الأنا هو استمرار لوجوده وكشف للأشياء المحيطة به ، وهو تحقيق لحريته الذاتية . كما أن مبادئ ( الأنا وحدية) أو ( الأنا الديكارتي ) أو ( الأنا المتعالي ) هي مبادئ تدميرية شيطانية نتيجتها الوحيدة هي فناء الأنا . ذلك لان (الذي هو ) لا تسمح طبيعته الذاتية بوجود أنا غيره إلا في حالة واحدة هي أن يكون هذا الغير متناقضاً وثنائياً في علاقته بالذي هو أي يفنى من أجل أن يبقى لان ( الذي هو ) مستحوذ على الوجود ، لذلك فإن تلك المبادئ الفلسفية هي مبادئ فنائية ليست لها أي صفة وجودية ، لأنها تريد أن تتصف بالوجود من حيث تريد إلغائه بإلغاء التناقض الجوهري والإبقاء على مبدأ عدم التناقض وحده .

فأنا حر بحدود معينة وتلك حقيقة يؤكدها الموت ولذلك يستحيل معرفة الأنا وتمكينه من توسيع نطاق حريته إلا باعتبار الطرف الآخر الذي يتحكم بهذه العلاقة ، ولا سبيل إلى هذا الاعتبار إلا بالتجربة ولا طريق للتجربة إلا بإيقاف أحد الطرفين ولا يمكن ذلك إلا بإيقاف طرفي ( أنا ) ، وهو الطرف الوحيد الممكن إلغاءه .

إذن يقدم الحلّ الجديد مقترحه الضمني وهو أن العلاقة مع الله خاضعة للتجربة وإن كان الله لا يخضع لها . فإن الطرف الآخر يخضع لها وهو الأنا .ومن جهة أخرى فإن هيكل هذه القصة إن صحَّ تسميتها قصة أو رواية فلسفية يشير إلى الحل من جهات أخرى من خلال حركة الشخوص وعلاقاتهم ببعضهم البعض وعلاقاتهم كمجموع مع رئيس المؤتمر الذي هو كائن مختلف عنهم تماماً فالهيكل العام ينطوي على

علاقات التناقض وعدم التناقض .

إن إلغاء الأنا يعني إلغاء الأشياء بينه وبين ( الذي هو ) . فالمسافة تكون معدومة عند إلغاءه تماماً بيد إن هذا الإلغاء ودرجته مرتبطة بالاختيار والتجربة ، وعند الرجوع إلى الأنا لبعثه من جديد يمر بجميع الموجودات التي تم إلغاءها فهو إذن يلغي مركزه لا يلغي وجوده وإنما يرحل وخلال رحلته يكشف جميع المواضع بما في ذلك موضعه هو .

إذن فالعلاقة هنا متناقضة بنفسها وهي بخلاف الحل المثالي الذي يلغي الوجود برمته ( وينطوي على الأنا ) حسب تعبير أحدهم ، فهو يتدرج من الأنا إلى العالم ثم الله أوالى الله ثم العالم ، بينما الحل الجديد يبدأ بالذي هو بعد إلغاء الأنا . فالرجوع يمكّن الانا من إدراك العالم لأنه يمر به مفترضاً توقفات متلاحقة مع ( الذي هو ) .

يتم أيضاً من خلال هذه المحاورات الإجابة على المسائل الأساسية التي أثارها الفلاسفة بيد إن الحل لا يدخل في التفاصيل لأنه يقوم بإبطال رؤوس هذه المباحث أو تحويل وجهتها لذلك فلا يحتاج إلى مناقشة تلك التفرعات . نعم يمكن للباحثين الاستفادة من الحل للمضي قدماً في تحقيق وتنقية الفروع الأخرى أو التوسع في الحلول المطروحة .

إن نتائج الحل الجديد هي مطلوب الفلسفة ، ذلك لان الأنا يتمكن من إدراك العالم بإلغاء نفسه مقابل الذي هو فيحصل على التعظيم والتعالي الفعلي لان مسافة الإلغاء غير متناهية .

هذا يعني أن الحل يرفض التعبير عن الله بعبارة غير المتناهي إذ أن ( الذي هو ) يجب أن يكون ( أكبر ) دوماً من أي تحديد وإن كان لا متناهياً وهذا هو غاية العلم على حدود الكون أي مجهولية ( الذي هو ) . فإن ذلك من شأنه تفسير المجهولية خلافاً لإجماع الفلاسفة والصوفية ، كما يرفض الحل تسميته بالعلة الأولى . فالعلاقة به والعالم بأكمله مواضيع للبحث إلا هُوَ .

ويمكن القول إن هذا الكتاب هو شرح فلسفي موجز لأول مفردتين من سورة الإخلاص ( التوحيد ) أي ( قل هو ) . إذ يكمن الحل في هذه العبارة فهي تقتضي بصيغة الأمر هذه .. النقيض : ( لا تقل أنا ) ، ولذلك فإن فعل الأمر ( قل ) إنما هو تأكيد على المجهولية واستمرار لإلغاء الأنا ، إذ بإلغائه فقط يحقق وجوده ، ومعنى ذلك إن الذي هو ليس موضوعاً للبحث وإنما علاقته بالانا هي موضوع البحث خلافاً أيضاً لإجماع الفلاسفة ، ففي البدء يتوجب أن تقول ( هو ) ثم تجري البحث ، فكل الموجودات باستثناء ( الذي هو ) تصلح للبحث وكذلك علاقاتها معه .

بيد إن هذا ( الجهل ) يحتاج إلى تأسيس فلسفي . أي أنه يحتاج إلى علم بالمجهولية فهذا الكتاب يُظهر العلم بالمجهولية في أواخر صفحاته . إذن ( قل هو ) تستلزم وجود النقيض : ( لا تقل أنا ) ويعتبرها هذا

المبحث مفتاحاً للحل الميتافيزيقي بكامله . لكن التوصل إلى التأسيس الفلسفي لـ : ( قل هو ) يتم من خلال بقية العبارات في السورة المكونة من سطر واحد . هذا السطر تعادل قيمته الفكرية ثلث الكتب المنزلة حسب الروايات وهذا ليس بالغريب ما دام يبدأ بـ : ( قل هو ) .

ومن هنا يفوز شيطان خامل الذكر على جميع الشخوص الذين تمكنوا من شرح العبارات بصورة صحيحة ولكنهم توقفوا عند ( قل هو ) ، لأنهم لم يقوموا بتأسيس تناقض جديد بعد هذا التوقف . إن ظهور الحل على ألسنة الشياطين يحاول إبراز مفهوم التجربة الذاتية والحرية ، فالعقل يعمل بحسب أوامر الذات ولذلك يمكن أن يكون الولي والشيطان على مستوى واحد من معرفة الحقيقة ، لكن الموجودات لا تخضع للشيطان وتخضع للولي بما في ذلك الشيطان نفسه ، لان الاختيار الذاتي المختلف يجعل المعرفة في خدمة متطلبات الذات عند الولي خلافاً للشيطان . إن القصة قد تذكر أشياء مختلفة ومتناقضة ، فيتوجب فرزها فهي بسيطة جداً من جهة ومعقدة من جهة أخرى . فمثلاً إنها تذكر تجاور الفلسفات وعدم تراكمها في البدء ، ولكن الهيكل العام ينبئ من طرف آخر إلى عكس ذلك فالاناوية تطورت وتراكمت مفاهيمها ولذلك تتصاعد المعرفة الشيطانية معها بالتوازي . موجز في تعريف الفلسفة وإشكالاتها يؤسفنا أن نقول أن ( ديكارت ) حينما بدأ بالشكّ بجميع الأشياء . حتى أنه شكّ بوجود نفسه . فقد نسي أن يشك في أهم الأشياء التي بين يديه ، إذ نسي أن يشك في ( الفلسفة ) نفسها .ولا أعني بها مجموعة الأشياء التي تمخّض عنها التفلسف بل أعني التفلسف نفسه كمنهج أو طريقة ذات جدوى . وهذه مشكلة حقيقية لم يذكرها الذين أعجبهم كثيراً شكّ ديكارت . والسبب الذي أدى إلى هذا التغافل أو الغفلة واضحٌ ، لأن هذا الشك كان القصد منه تأسيس فلسفة أو نقد الفلسفة التي بين يديه . ولكن إلى الآن لم يحدد لنا الفلاسفة موضوع الفلسفة ، وأهم من ذلك لم يحددوا لنا : ( ما هي الفلسفة ؟ ). فمن حق البعض أن يطالب بتحديد تعريف لـ ( الفلسفة ) ، لأنه قد يدعي أمراً أسوأ إذا لم يجب أحد رغبته هذه ، فقد يزعم أنه في طريقه إلى الاعتقاد أو الجزم من أنه ( لا يحتاج ) إلى شئ لم يحدد له أحد بعد ما هو ؟! بعد إن عجز هو عن تحديده . وصاحب الشيء ( الفيلسوف ) أولى به فعليه تقع مهمة تحديد معنى الفلسفة .

ذلك أن هذا البعض قد وجد قسماً من الفلاسفة يبحث في ماهية الموجودات وعلاقاتها وعلاقة الإنسان بها فهو يسأل :( هل الفلسفة نوع من المعرفة ؟ ) .

ووجد بعضهم يبحث في قدرات وتصورات العقل وأنواع المدركات ، فهل هي علم يبحث في طرائق الإدراك والطرق الموصلة إلى المعرفة فتكون الفلسفة بذلك طريقاً لتقييم المعرفة وليست هي المعرفة ؟. ووجد بعضاً آخر يبحث في النفس والروح وما وراء الطبيعة والذوات والجواهر التي في الأشياء فسُمِّيت الفلسفة عند هؤلاء بـ ( الميتافيزيقا ) فهل هي علم يبحث عن ما هو كامن وراء المحسوسات وبالتالي هي

معرفة من نوع خاص ؟ .

ووجد البعض الآخر يقول إنها كل ذلك وغيره وإنها جاءت من مفردتين تعنيان سويةً ( حب الحكمة ) ، فهل الفلسفة حكمة أم حب الحكمة أم معرفة أم هي طريق لمعرفة المعرفة ؟ ذلك لأن الحكمة تعني ( وضع الأشياء في موضعها الصحيح ) . فالحكمة عمل إيجابي بينما الفلسفة إذا كانت عبارة عن ( دراسة للمعرفة ) فهي علم والعلم لا علاقة له بالحكمة ، فهي أخذ لا عطاء كالحكمة .إننا نرى أنه لا تلازم بين العلم والحكمة لأننا نرى بأعيننا أناساً لهم علم عظيم بأشياء نجهلها ومع ذلك فهم أشرار جداً ويستعملون هذا العلم للشرّ ولا يضعون الأشياء في مواضعها الصحيحة كما يفعل من نسميهم (الحكماء ) ، أو كما يفترض أن يفعله من نسميهم كذلك . فلا تلازم إذن بين الحكمة والمعرفة إلاّ من طرف واحدٍ وهو أن الحكيم عارفٌ دوماً لكن ليس كل عارف حكيم .

لكن الفلاسفة فرقوا كثيراً بين الفلسفة والعلم بل ( حسدوا ) العلم على نتائجه اليقينية ذات الطابع الرياضي ووضعوا أمام أنفسهم مهمة تأسيس فلسفة ذات نتائج حاسمة كالعلم ولكنهم في عين الوقت أقروا وبوضوح تامّ أن نتائج الفلسفة ليست ( تراكمية ) ولا يمكن لجامع أن يجمعها في كلٍ موحد وهو إقرار آخر بأنها ليست علماً من العلوم .

وبعضهم بحث القيم ولأخلاق فهل الفلسفة علم في الأخلاق ؟ وهل يمكنهم التحدث عن ( علم الأخلاق ) مع الإقرار بأن الفلسفة ليست علماً ؟ وإذا كانت لفظة الفلسفة قد ترجمت إلى ( حب الحكمة ) فهل هذه صفة للفيلسوف أم عمل وتعليم له ؟ فإن كانت صفة له فالفيلسوف إذن ( حكيم ) فلماذا يختلف الحكماء في وضع الأشياء في موضعها الصحيح ؟ وإن كانت عملاً وتعليماً له فهل يمكن تصور أن بمقدور المرء تعليم ( الحُبَّ ) وتعلّمه ؟

إن الفلسفة تقوم على المنطق . وهذا هو المتعارف عليه والمنطق شيءٌ محدد بصرامةٍ بحيث أن العلم التجريبي يتخذه وسيلة للوصول إلى النتائج اليقينية فلماذا اختلفت الفلسفة في نتائجها المبعثرة عن تلك الصرامة في نتائج العلم وهما يقومان على منطقٍ واحدٍ ؟ . وإذا كانت هي التي أنتجت المنطق فالأمر أسوأ ، إذ كيف يتولد المحدّد من غير المحدّد واليقيني من غير اليقيني والموحّد من المبعثر ؟!

صحيح إن الفلسفة تقول وتدعي أشياء كثيرة ، فهي مثلاً تدّعي أنها تتربع على عرش العلم كله وإن العلم وليدها وإنها الحاكم الفعلي . لكن أحداً ما لم يرها قط ولا مرّة واحدة والتاج على رأسها كما لم يرها تدخل قصر العلم بلا استئذان .. كيف ؟! وهي تنتظر بشغفٍ من وليدها أن يرسل لها قصاصة ورق فيها بعض المعلومات عمّا يجري في المملكة المترامية الأطراف !...وحتى إنك لتراها بعد وصول القصاصة قد لملمت نفسها وراحت تتكلم أكثر مما تفعل ، وتدّعي مزيداً من الأشياء التي إن طالب المتلقّون بتحقيقها أو

تجربتها قامت لتصدّهم ولتردِّد مسرورةً عبارتها المأفونة ( وهل يستطيع هذا الولد العاق فعل شيء بدون إذني وتوقيعي عليه ؟ ) .

الواقع إن شيئاً ما لم يبق للفلسفة حتى تقوله ، وقد أقرّ جميع شرّاح الفلسفة أن موضوع الفلسفة ( بل الصحيح مواضيعها ) قد أُشبع بحثاً ولم يبق سوى تغيير وتطوير الأساليب التي تبحث في نفس المواضيع .

إذن فالأشياء التي تتحدث عنها الفلسفة هي نفس الأشياء التي لا يجمعها جامع ولكنها تستمر بالتحدث عنها والإجابة عليها بعبارات اكثر ( وضوحاً ) حسب تعبيرها كما في هذا النص : ( لكن قد يتهكم ساخر بقوله إن الفلسفة ما هي إلا ترجيع وترديد لصدى أصوات الفلاسفة السابقين وإن هي إلا بقايا أفكارهم مع قليل من التحوير والتغيير وربما زاد على ذلك قائلاً إن التفكير الفلسفي راكد لا يتحرك ولا يتقدم )(١) .

وتركز دفاع وولف عن الفلسفة بعبارات أهمها : ( إن أقل ما يفعله أهل عصر من العصور أن يصوغوا المسائل القديمة وحلول هذه المسائل في قالب جديد يتفق مع الروح الفكرية والروح اللغوية لهذا العصر ) وهكذا فالفلسفة منذ مئات السنين لم تقدم موضوعاً جديداً ولم تجب إجابةً جديدةً على مواضيعها القديمة ، وكل ما تفعله منذ حوالي ألفي عام هو أن تصوغ الإجابات والمسائل بطريقة ( تلائم الروح الفكرية واللغوية لكل عصر ) وهذا الاعتراف يدلّ دلالتين هامتين : الأولى إن الموضوع الكلّي للفلسفة لا يتضمّن ( عِلماً ) لأن العلم لا يتوقف عند حدود معينة فالفلسفة ليست علماً . والثانية إنها ليست طريقة للتوصل إلى العلم أو نقد العلم والمعرفة لأن طريق العلم هو علمٌ أيضاً ونقد العلم يستلزم وجود علم أعلى يمسك بخيوط العلم كلها ويمتلك مفاتيح العلم كله ، وكذلك المعرفة حيث يستلزم تقييم المعرفة امتلاك ( نقطة ) جامعة أولى لانطلاق المعارف كلها بحيث يمكن نقد المعرفة وطرائقها . ولما كانت الفلسفة جامدة ( مسائل وإجابات ) فليست هي إذن علماً ولا معرفةً ولا طريقة لتقييم أو نقد العلم والمعرفة . أما كون الفلسفة تريد أن تفعل كل ذلك فهو شيء وكونها قد فعلته فهو شيء آخر .

انظر النص الآتي :

)هناك دراسات تناقش مدى أهمية الإنجازات التي حققتها الفينومينولوجيا في مجال تقدم العلوم الإنسانية على الخصوص . من أمثلتها الجادة هل قدمت الفينومينولوجيا جديداً للعلوم الإنسانية ؟ والمنشورة في دراسات فلسفية مهداة إلى روح عثمان أمين وانتهى في إجابته على هذا السؤال بالنفي التام )(٢) .

وأضاف المؤلف قائلاً : ( لم نتعرض لهذه المشكلة بصورة منفردة وإنما عالجناها ضمنياً عندما ناقشنا الجذور الأساسية لمدى علمية الفينومينولوجيا ، وانتهينا إلى أنها ليست علماً وإنما هي نسق فلسفي ومن ثم فإنها لم تقدم أي جديد يساعد على تطور العلوم عامة سواء كانت طبيعية أو إنسانية وطالما أنها نسق

فلسفي فإن تقييم إنجازاتها يقتصر على الدراسات المذهبية الفلسفية )(٣).

إن العبارة الأخيرة للكاتب هي لجبر خاطر نفسه إذ لا يمكنه تصوّر أن ما اجتهد من أجله ليس بذي قيمة مطلقاً . فقيمته تقتصر على الدراسات المذهبية الفلسفية ،لكن ما هي منافع هذه الدراسات إذا لم تكن علماً ولا شيئاً يقدم للعلم جديداً وبمختلف فروعه الطبيعية والإنسانية ؟؟.

والسؤال الآن هو ( ما هي الفلسفة إذن إذا لم تكن هي كل ما سبق ونفيناه عنها ؟ ) . إننا ننظر إليها على أنها رؤيا ذاتية منفردة ومنعزلة عن العالم ، ولكن هذه الرؤيا في منظور الحل الجديد ( متطورة )خلافاً لما ذكره اكثر النقاد . فالأنا قد اتخذ أوضاعاً مختلفة عبر التاريخ ، والذاتية حلّت بالتدريج محلّ الموضوع الخارجي وهو تطور (تقهقري) ، فهو ضروري بالنسبة للانا المنفصل عن الآخر ، لأن التطور المعرفي بالموضوع علمياً لا ينتج منه إلا تحفز عدواني للانا المنفصل عن العالم . فالمعرفة تزيد الذاتية رسوخاً خلافاً لما تفعله زيادة المعرفة مع الموضوعية أي أن تطور العلوم الطبيعية يزيد الذاتيين جهلاً على جهلهم الأول . إن هذا التحليل يفسر لنا ولأول مرة سبب تخلف العلوم الإنسانية ومنها الفلسفة بنفس النسبة التي يتقدم بها العلم الطبيعي . فنحن لا ننكر تجاور الفلسفات وعدم تراكمها كالعلم ، بل نعتقد بتراكمها وتطورها ، لكنه تطور تراجعي فيه المزيد من الذاتية . ولذلك سنعرّف الفلسفة تعريفاً آخر : الفلسفة هي : ( طريقة للتفكير تحاول معرفة الأشياء بصورة أعمق بكثير مما يفعله العلم ولا تستعمل من أجل ذلك أية أدوات للعلم سوى التفكير ، فهي تلغي الموضوع خلال التفكير فيه ) .

ومثال ما يفعله الفيلسوف . وقد اتفقنا مبدئياً على أن الفيلسوف هو غير الحكيم . هو مثل ما يفعله رجل يريد الوصول إلى مدينة ما بطريقة أسرع بكثيرٍ جداً مما هو مستعمل في أسرع وسائط النقل ولكنه لا يستخدم سوى قدميه ورغبته في الوصول ويختار مدناً لم يرها أحد من قبل . صحيحٌ أن هناك طريقة للوصول بغير واسطة يفرضها الإمكان العقلي والحدس الوجداني لكن الرغبة وحدها في الوصول لا تحقّقه إذ يجب أن تتوجه الرغبة أولاً إلى مصدر الإمكان العقلي والحدس الوجداني لاستخلاص الطريقة الممكنة منهما . لأن الناس كلهم متساوون في هذا الأمر ، فكلهم يرغب في الوصول بهذه السرعة وهم جميعاً تقريباً يمتلكون أقداماً صالحة للمشي .

التعريف يحقق لك تفسيراً معقولاً لجميع الظواهر في الفلسفة وكما يلي :

أ ـ انفصال المواضيع الفلسفية وعدم إمكانية جمعها أو توصيل بعضها ببعض . وهذا أمر يحتّمه المنهج الفلسفي للمعرفة لأنه يستعمل التفكير المجرد لسبر أغوار أعمق في موجودات . يقوم العقل مستقلاً عن أي منهج بفهم ظواهرها الخارجية فهماً جزئياً بمساعدة أشياء كثيرة : الحواس ، تراكمات الخبرة ، اختبارات عديدة على نفس الظاهرة ، معونات بالمنطق الحسابي والرياضي ، سجلّات لتاريخ الشيء أو الظاهرة ،

فكيف يمكن فهم هذا الموجود داخلياً بنفس العقل وبنفس القدرات الفكرية في العقل مع استغناءٍ تام عن هذه الأشياء المساعدة ؟ كأن المنهج الفلسفي لم يكفه التعمق في الموضوع فجمع معه النقص في الأدوات !! ألا ترى إنه يشبه عمل الرجل المسافر : لم يكفه طلب السرعة فاستغنى معها عن الطائرة والسيارة ! ومن المؤكد بعد ذلك إن المعرفة المزعومة ستكون وهماً وخيالاً ولا تتواصل لأنها في حقيقتها ليست معارف بل أوهاماً لا غير .كذلك لو كان مثل هذا الرجل كثيرين يريدون السفر بهذه الطريقة . ويزعمون أنهم قد وصلوا فعلاً فهم يشعرون أنهم صادقون حينما قالوا : وصلنا فعلاً.. لكن الغريبَ أنّ ما من أحدٍ منهم قد رأى الآخر ولا مرة ، وهم بالنسبة لنا واهمون حينما قالوا : وصلنا ،والواهم مُصدَّقٌ على أية حال لأنك لا تستطيع تكذيب من يتوهم مع نفسه فهو لن يصدِّقك .

هذه الظاهرة استغِلّت استغلالاً بشعاً عند أولئك الذين ادّعوا أن الحقائق تنكشف لهم وحدهم بطرقٍ لا يمكن للآخرين فهمها ...ذلك لأن الذين امتلكوا فعلاً مثل هذه القدرات كانوا من الحكمة ومن قلة العدد أنهم لم يُخبروا بقدراتهم وإنما الآخرون فهموا هذا الأمر من خلال أفعالهم ومن قدرتهم الفائقة في الإجابة السريعة على المعضلات .

ب . الاختلاف في وصف الطريق الموصل إلى الهدف ، بل وتعديل هذا الوصف رغم توحّد الهدف والتراجع أحياناً عن هذا الوصف رغم استمرار دعوى الوصول .. هو أمر آخر محتوم يحتّمه البعد السحيق بين الهدف والأداة الموصلة ، وهذه هي فعلاً خصائص الواهم حيث يتغير وصف الطريق لديه دوماً ويتراجع عن أشياء أثبت المسافرون ببطء شديد أو بآلة سريعة أنها بخلاف ما زعمه (١) .

ج . الاختلاف في وصف المنطقة ( موضوع المعرفة ) من قبل الذين ادعوا الوصول إليها ..هو أمر آخر محتوم يحتّمه كونهم لم يصلوا إلى المنطقة بالفعل وإنهم متوهمون أو واهمون ، ولذلك يكون اختلافهم في العموميات كاختلافهم في أدقِّ التفاصيل ، فإذا حدث إن اتفقوا على أحدهما فقد اختلفوا في الآخر أو العكس ، وترى انحيازهم إلى بعضهم البعض يتخذ شكل الارتياح النفسي للوصف الخاص بالموضوع لا علاقة له بالدليل المنطقي أو العلمي ، ولذلك يحدث التراجع أيضاً عند التأييد أو الاختلاف . فلاحظ تراجعات الفلاسفة عن تأييد بعضهم البعض أو تراجعهم عن اختلاف بعضهم مع البعض .

د . التشابه والتحدّد في الموضوع أو الهدف المقصود . هو الآخر أمر يحتّمه الوهم أو التوهم . فإذا ظهر رجلٌ جديدٌ كل مرة أو كل عصرٍ يعجبه السفر بهذه الطريقة ( الفنطازية ) فلن يجرؤ بطبيعة الحال على اختيار مدينة جديدة أو منطقة يذهب إليها أسلافه في ( أحلامهم ) لأنه سيكون عرضة لآلاف التساؤلات الجديدة ويحتاج إلى أن يبرهن على كل ذلك . الأيسر له بالطبع أن يسافر إلى نفس المكان حيث ذهب أسلافه ويعتمد الأمر في تصديقه على لباقته وحسن تصرفه فيجب عليه وصف الطريق الموصوف سابقاً

بدقةٍ أكبر وإظهار تفاصيل أخرى تتفق مع العلامات المعلومة سابقاً في الأذهان ، والضرب على وتر المرتكزات الذهنية القديمة عن خصائص المدينة وطرقها بحيث أنه يجيد الوصف ويجعله متناسقاً أكثر مما فعل سلفه وبهذا يُصبح فيلسوفاً يشار له بالبنان .

هـ . افتعال النصائح للمسافرين بآلة . وهذا يوجبه أمرٌ نفسي هو أن يصدِّق الناس أنه بلغ الهدف وعلم خصائص الطريق ، وغالباً ما تظهر هذه النصائح عند الفلاسفة العرفانيين . ولكن إذا سمع علامة ذكرها أحد المسافرين ( ببطء شديد ) من علامات الطريق رأيته مسروراً بها اكثر من سروره المزعوم بالوصول وبمعرفة الطريق كاملاً ! وهذا أمرٌ يثير الدهشة إذا لم يكن يثير السخرية . فما بال الفلاسفة ينتظرون من العلم التجريبي أن يمنحهم موضوعاً للبحث ؟ وما هي أهمية البحث الفلسفي بعد إن انكشف بالعلم التجريبي ؟ لقد حاول ( فلاسفة ) يمكن وصفهم بـ ( الموضوعية ) أن يتملّقوا العلم التجريبي ليمنحهم شارة احترام وذلك بتأسيس فلسفة تقوم على مغازلة العلم التجريبي .وهذا مثل أن يقول الرجل لصاحبه :أعطني كذا ديناراً سرّاً بيني وبينك قُرضةً حسنةً ، فإذا عطف عليه وأعطاه نادى بأعلى صوته : خذ هذه الدنانير هديةً مني لك ولأسمع بعد اليوم من يقول أن هناك من يعيلك غيري ! وذلك هو موقف الفلسفة من العلم تؤكده جميع تقارير الفلسفة وجميع شارحيها ونقّادها ، وهو موقف يتسم بالأنانية والاستبداد والاستعلاء على ما هي محتاجة إليه .

و . الاستعلاء والاستكبار . بدءاً من مقترح أن يحكم الفلاسفة العالم ومرراً بمقولة ابن عربي : ( فالرب فيك وأنت صورته ) ومروراً بـ ( العقل المجرد ) و ( الأنا الأوحد ) وانتهاءً بسار تر ( تعالي الأنا ) . صورة واحدة ونفسية واحدة وتوجّه واحد هو توجّه الواهم ، الواهم عن قصد وبغواية منقطعة النظير تقضم كل ما يأتي بين يديها وهي تلتهم بشراهة ( مقولات دينية ) ومباديء ( موحاة من السماء ) لتحيلها بعد اجترار طويل إلى تماثيل منحوتة بديلاً للأصنام وتؤسّس ( إلحاداً دينياً ) و ( كفراً آتياً من السماء ) . ولم تتعرض في كل ذلك ولا مرة واحدة إلى نقد أو إعادة النظر بالأداة المستخدمة لذلك وهي ( اللغة ) لأنها لا تريد أن تثير مشكلة على نفسها ولا تحاول كشف حقيقتها . ولذلك فالفلسفة لا زالت تبحث عن نفسها وهذا ( قدرها ) المحتوم لأن الواهم بشأن الأشياء هو واهم ومتوهم في البدء مع نفسه .

. كثرة الضحايا . وهو أمر يحتّمه الوهم الجماعي ، مجموعة تدفع إلى هذا الوهم بقوة ومجموعة تنخدع وتقع ضحية لهذا الوهم ..وأكبر الضحايا هي أسماء لامعة في الفلسفة ، فمثلاً إن شكّ ديكارت كان في محلِّه .. لقد افترض في البدء أن عليه أن يتصور وجود خطأ ما في كل شيء وفي كل معلومة وصلته ويبدأ من جديد ، يبدأ مما لاشك فيه ، فاعتقد أن احتمال الخطأ سببه أمران : الأول القصور في فهمنا للحقائق والثاني وجود قوة محتملة كائدة مثل ( الشيطان ) توهمنا وتغوينا(١) .

إن ديكارت محق جداً في الناحيتين وإن كانتا في الأصل سبباً واحداً ، فالشيطان ليس قوة غير منظورة إنه تعبير عن ( الغواة ) من بني الإنسان وهم لا يغوونا إلا بما نقدّمه لهم من نقاط الضعف : قصورنا بل تقصيرنا في الفهم ، وعجلة في الوصول إلى الحقائق ورغبة في التبجّح وحبّ شديدٌ للتعالي وأشياء كثيرة يوهمنا أن نفعلها لنكون أضعف منطقاً واقل فهماً وأكثر إسراعاً في تصديق أوهامٍ يجعلنا نقولها بأنفسنا ونصدّقها ونردّدها وراءه شارحين وموضحين لغوامضها .

وحتى يحين الوقت الذي يأتي فيه مثل ديكارت ليشكّ في كل شيء يكون عدد الضحايا الذين وقعوا في هذه المكيدة كبيراً . وديكارت نفسه هو أول الضحايا ، شأنه في ذلك شأن السابقين عليه ، والشيطان الذي حاربه ديكارت ما قال ولن يقول ( ديكارت كان مخطئاً ) .. بل سيكون ( الشيطان ) أول ديكارتي يتتلمذ على يده وأول من يقوم بشرح غوامضه ، وإذا لم تكن هناك غوامض عند ديكارت الواضح جداً فسينظر الشيطان : لأي شيء أحبّ الناس ديكارت ؟! وحينما يكتشف أنهم أحبوه لأنه يشكّ في كل شيء ليبدأ من شيء ثابت يقيني وأنه بهذا العمل قد ( قضى على الشيطان ) بالضربة القاضية ، فسيبتسم ويقول : حسناً يا صديقي ديكارت ! سأشرح فلسفتك للعالم بأسره وسأكون أول ديكارتي فيه ولكني أبشّرك بشيء .. سأكون أنا أيضاً ذلك الشيء اليقيني الثابت الوحيد الذي تبدأ منه !!

إن الشيطان لم يجلس بانتظار أن ينتهي ديكارت من وضع فلسفته .. بل هو هناك يدور حوله ويجادله ويساومه حتى تحمرّ عيناه ولا يكتب ديكارت شيئاً إلا بعد أن يحدث اتفاق مبدئي على الصيغة ، والشيطان الذي هو في داخل الفيلسوف أو هو خارجه شخص بارع ، وأود أن أخبرك بسرٍ هامٍ جداً جداً : إن الشيطان أعلم من الفلاسفة في موضوع ( اللغة ) وهو دوماً يعثر على المفردات والجمل التي تضع الحل النهائي للصراع بينه وبين الفيلسوف . وبالطبع لا يوافق الشيطان على الصيغة النهائية حتى تكون قابلة لأن يشرحها فيما بعد بطريقة مضادّة لرغبة الفيلسوف وتوجّهاته الأصلية ويمكن أن يتأمل فيما بعد بأوراق ديكارت ليضع ( تأملات ديكارتية ) ويضع مجموعة ديكارتية كبيرة . وهكذا سيبعث ديكارت يوم القيامة وأحسبه سينكر ويحلف بالأَيمان الغليظة لجميع الملائكة بأنه لم يكن ديكارتياً قط !

كان ديكارت على علمٍ بقصة ( طرد الشيطان ) من الجنة ، لقد كان السبب في طرده أنه شكّ في الآخر . آدم . في وقتٍ كان فيه مستيقناً من نفسه ، والآن في نفس ديكارت . حفيد آدم . رغبة شديدة في الثأر ! وحينما قال ديكارت : بدأت أشكّ في كل شيء ، ارتعب الشيطان فعلاً لأنه اعتقد أن الرجل يشكّ في المقولات وفي الأفكار وتأمل قليلاً ثم سأل ديكارت : بأي شيء تشكّ يا ديكارت ؟ فأجابه منزعجاً : بكل شيء بكل شيء وبك أيضاً أشكّ . فقال الشيطان : بك ؟ ولم يقل الشيطان ( بي ) كما تقتضيه اللغة ، وهكذا انتقل ديكارت من المقولات إلى الموجودات بلا شعور منه وسأل نفسه في حين ابتعد الشيطان قليلاً

، سأل : أ أشكّ في نفسي ؟ كلا.. كلا كيف أفكر بالشكّ إذن ؟ أليس تفكيري دليل على أني هنا بالفعل وأني موجودٌ حقاً ؟ ولما تأكد من ذلك كتب : ( لا نستطيع أن نفترض أننا غير موجودين حين نشكّ في حقيقة هذه الأشياء جميعاً لأن مما تأباه عقولنا أن نتصور أن ما يفكر لا يكون موجوداً حقاً حين نفكر ...).

وإذن فما دام ديكارت يفكر بالشكّ فإنه لا يشكّ في كونه موجوداً . ثم كانت من بعد العبارة الشهيرة : ( أنا أفكر إذن أنا موجود ) . وقهقه الشيطان على باب ديكارت بضحكات هستيرية مدوية وصاح . ومن المؤسف أن الفيلسوف لم يسمعه . صاح قائلاً : ( يا صديقي المسكين لقد وقعت في الفخ من أول سطر . لا أريد شيئاً سوى أن تفعل فعلي ، . تنكر الآخر وتثبت نفسك . .. يا رجل لقد أرعبتني ظننت أنك تشكّ في الأفكار وأنك مصر على ذلك فما أسرع ما تحولت إلى الشكّ في المخلوقات .. أنت الآن بدأت في طريقي . طريق الشيطنة وسأحملك مرغماً على أن تقول ما أريده . أ تريد الرجوع إلى جنة طُرِدت أنا منها بسببك ؟ هيهات .. هيهات أن يحدث ذلك وبي ما بي من حياة !! اسمع يا هذا فإني سأنفخ في هذا ( الأنا ) ، سأنفخ فيه دوماً ، سأنفخ فيه بكل ما أوتيت من قوة ، وسأجعله أكبر من السماء ، بل سأجعله يحتوي على ( الرب ) نفسه ، سأجعله ( الأعلى ) وسأجعله ( الأوحد ) في العالم(١) .. !! .

لقد أوحى لنا صراع ديكارت مع الشيطان بفكرة غريبة هي أن نستعرض الفلسفة بمجملها ونحاول توحيد خطوطها ونبحث عن منشأها وهدفها في داخل ( اللاوعي ) ، ونعتبرها ( شخصية ) مجسّدة مريضة بمرض نفسي نكشفه للقارئ من خلال محاورات تجري في اجتماعات متخيّلة للشياطين المختصين بالفلسفة والذين يحاولون تضليل بني الإنسان كما تصوّر ديكارت ، وذلك في مؤتمر للشياطين اسمه مؤتمر إلغاء أو إزالة آثار الحكمة .

## 'لجلسة

## الجلسة الأولى لمؤتمر الشياطين

## المسمى

## ( فريق إلغاء الحكمة )

طويلة تمّ انعقاد هذا المؤتمر ( الخيالي ) للشياطين ( غير المنظورين ) بعد موت ديكارت بمدة، حيث يناقشون فيه مشاكلهم ويستعرضون إنجازاتهم وخططهم للتعاون مع أرباب الفكر الفلسفي من بني الإنسان وقد حضر هذا المؤتمر مسئولو القارات المسكونة ، وبعضهم كبار في السن . حيث يبلغون من العمر ثلاثين ألف سنة أو أكثر . كما حضره عدد من الزائرين باختصاصات مختلفة كثيرة قدموا من كواكب أخرى .

وجرت العادة قي مثل هذا المؤتمر أن يُذكر ( إبليس ) أولاً في ( كليشة ) قديمة مكررة هي : ( نتقدم بالشكر الجزيل والامتنان العظيم لسيدنا وكبيرنا ورئيسنا إبليس الأول . رئيس الأبالسة . على ما هدانا إليه من تعظيم ( الأنا ) ، وما أدى إليه من تأخير جسيمٍ في إصابتنا بالعذاب الأليم دهوراً وأحقاباً .. وفِقتُم لهذا أبد الآبدين . ( ...ويردد الحاضرون بعدها بصوتٍ واحدٍ : ( باقين .. باقين أبد الآبدين .. بعيد .. بعيد ما توعدون ) . ثم يدور همسٌ بين الحضور ، فبعضهم يقول إن ( ما ) في الكلمة الأخيرة نافية وبعضهم يقول موصولة وآخرون يقولون إنها موصولة يؤمّل أن تعمل عمل النافية بعد دهور ! وبعضهم يكاد يحتج على تلك ( الباقين ) المنصوبة !! . وفي مثل هذه الشؤون لا يسأل أحد ( الخبير بشؤون تدمير اللغات ) الذي يحضر عادة جميع المؤتمرات الشيطانية لأن من عادتهم ألا يصدّقوا أيَّ شيء يقوله الخبير المذكور بشأن القواعد والإعراب ، لكنهم بالطبع ينفّذون تعاليمه بدقة متناهية لأن له من الصلاحيات ما ليس لأحدٍ منهم .. لكأنه أمين سرٍ ! وفي البدء طلب رئيس المؤتمر من الحضور بعض الأشياء عندما قال :

رئيس المؤتمر : أوّل شيء أؤكد عليه هنا هو أننا لم نجتمع للضحك والاستهزاء من بني الإنسان مهما بلغنا من القدرة على تضليلهم عن ( الحقيقة ) ، لذلك لا تكثروا من السخرية والتندر . والشيء الآخر هو أن نستذكر في كل مؤتمر لنا أفعالنا العظيمة لأنها ترفع من شعورنا بالتفوق ، وعلى كل مسؤول أن يذكر أيضاً المشاكل التي تواجهه إن وجدت .

)وبعدها تحدث المعاون .. )

المعاون : إن قضيتنا المركزية واضحة ومعلومة للجميع ، فالحقيقة واحدة لا تتجزأ . وأهمّ شيء قمنا به

هو جعل الإنسان يجزّأ ما يتوهم انه الحقيقة ، وإذن فأمامه دهر طويل حتى يجمع ما توهمه ثم يتأكد أن هذا المجموع وهم ، وإذا أراد أن يبدأ من جديد بدأنا معه من جديد وعندها سيحتاج إلى دهر آخر حتى يبدأ مرة أخرى .. وهكذا دواليك . وإن الحقيقة الوحيدة هي ( الإله ) . والإنسان لا يبحث في الواقع إلا عن الحقيقة ، فهو يريد إلهاً ونحن نعطي لكل شخص إلهاً وعلى ما يبغيه ، وقد ذهب عهد نوح الأول ونوح الثاني ، فإنكم تعلمون أن شعبيهما تعلق بـ ( يغوث ويعوق ونسرا ) لأن هؤلاء كانوا رجالاً صالحين . وحينما رغبوا بالحصول على إله أعطينا لكل جماعة الإله الذي يعجبهم ، فهذا الأمر قد ضمن لنا التعدد ومن ثم المفاضلة ومن ثم الشقاق والتقاتل بينهم ، ولم يدمّر تلك الخطة العظيمة إلاّ تلك المأساة التي وقعت في الطوفان ، فقد حدث نقص شديد في أتباعنا من بني الإنسان استلزم القيام بعمل إضافي . ومع ذلك فأنا لا أعتقد أن مثل هذه البلوى ستقع مرة أخرى بعد تلك السلسلة من الرسل والأنبياء . فالوضع أصبح مختلفاً ، فمنذ إن أدخل ( المسيح ) الهيكل وارتقى ( محمد ) أسباب السماء شعرت شعوراً قوياً بأن الإنسان قد بدأ يعجبه أن يجد الإله في داخل نفسه . في حين أن هذا الشعور كان ضعيفاً جداً عند أفلاطون الذي تمّ الاتفاق معه بعد جهود مضنية على الصيغة التي استمرت في أثينا ألف سنة مُطَبّقَةً كأحسن ما يكون التطبيق وهي من الأشياء التي لازالوا يفخرون بها(١) .

إن الذين اتبعوا المسيح كانوا بالنسبة لنا مشكلة كبيرة . ومع ذلك فقد تمكّنا من أن نضع على لسانهم ما كنا نريده بعد إن انتظرنا هلاكهم . وما يعجب الإنسان هو أن يكون إلهاً ، وكانت تلك فرصة عظيمة خلطنا فيها خلطتنا بين ( الرب ) و ( الإله ) فجعلناهم يقولون ( المسيح ربنا ) ، لأنهم كانوا لازالوا يتحرّجون من القول بأنهم ( أرباب ) فليكن في البدء إنسان واحدٌ ربّاً ، فذلك يدغدغ مشاعرهم ويجعلهم يشعرون أنهم في الطريق لأن يكون كل واحدٍ منهم ( ربّاً ) لنفسه أو لغيره خاصةً وإن المسيح يؤكد أنه ابن الإنسان وإن من يمتلك يقيناً مثله فإنه يفعل فعله . ثم جعلناهم يقولون إن المسيح الرب هو ابن الإله .. وتلك خطوة عظيمة لم تكن ممكنة مطلقاً حتى في عهد نوح ، لأن الناس في ذلك الزمان يرون في الرب والإله أنه ( آخر ) ولا يمكن أن يكون هو ( الأنا ) ، أما الآن فإن بني الإنسان جميعاً مستعدّون لأن يدّعي كل منهم أنه رب أو حتى أله بأية صورة ، سواء أكان هذا الاستعداد شعورياً عندهم أم لا .

رئيس المؤتمر : هذه مبالغة . أراك لم تستثن أحداً ؟

المعاون : آ . عفواً .بالطبع ما عدا أقلية يمكن إهمال عددهم .

)ثم استرسل المعاون في ذكر الإنجازات التي تحققت قبل المسيح وبعده . وأوكل مهمة استقصاء التفاصيل إلى أعضاء المؤتمر مشيراً إلى أن مسؤول الفلسفة الشرقية لديه تفاصيل كثيرة فيما يخص منطقته . وبعدئذ انبرى هذا المسؤول قائلاً )

المشرقي : نحن الآن في راحة تامة لأن المشرق في سبات فلسفيٍّ . وإذا كان الفلاسفة والمفكرون في مركز الإشعاع الأوروبي يجترّون نفس الأفكار التي أوحينا لهم بها ، فإن المشرق يجترّ الآن ما يلفظه الغرب عليه بلا إعمال روية ولا تدقيق . أما ما كان سابقاً في المشرق فقد اتخذ قالباً ثابتاً ، والأساتذة الجدد والفلاسفة المعاصرون في قبضتنا .

) وأراد هذا المسؤول أن يضحك إلا أنه تمالك نفسه ثم أردف قائلاً )

المشرقي : حينما جاء ابن طرخان جاء بقوة واندفاعٍ شديدين وبدلاً من أن يتعرف على ( الحقيقة ) جعلته وبمساعدة أصحابي يحاول إثبات( وجودها ) !

)تُسمعُ همهمة ضاحكة في أحد جوانب القاعة إلاّ أنه يتم تجاهلها ويستمر المسؤول الشرقي في حديثه )

المشرقي : ابن طرخان البارع في الموسيقى والفن كان متدينا جداً ومتوقد الذهن وهو يعلم أنه لم يكن شيئاً ثم وُجد ويعلم كذلك أنه سيموت . وبدلاً من أن يستمد وجوده من الموجد الأول ويثبت وجود نفسه قدّم نفسه دليلاً عليه ، والنتيجة هي أننا جعلناه يكتب ثلاثمائة رسالة وكتاب في إثبات وجود الله ، فأصبح رجلاً محبوباً للغاية ، والناس يقولون انظروا إلى إيمانه وتقواه : الفارابي أثبت وجود الله !!

)تصفيق شديد في القاعة يمتزج بضحك عارم ، يسكن من ثم بإشارة من رئيس المؤتمر الذي يقول معقباً وهو يبتسم )

الرئيس : الفقهاء والعلماء إذن يجلّون الفارابي ويقدّرون أعماله ؟؟!

المعاون : طبعاً سيدي لأنهم كانوا يصلّون كثيراً وقد اطمأنوا الآن إلى أنهم يصلّون لكائن موجود ! لكنهم ربما انتقدوه على أشياء أخرى .

)ترتج قاعة الشياطين بالضحك مرة أخرى ، ويتغاضى الرئيس ويشاركهم فرحتهم ، ثم يلتفت إلى المسؤول اللغوي قائلاً )

الرئيس : الله موجود ! هه ! بصيغة اسم المفعول ؟ هه ! لقد وجدت اللفظ مكرّراً في كتب الفلاسفة والعرفانيين آلاف المرات . كم أنت رائع ومبدع أيها اللغوي الأريب !

)بسرعة يضع شيطان اللغة إصبعه على فمه مؤشّراً كأنه يقول للرئيس : أنِ اسكت ولا توضّح الأشياء هكذا للأعضاء .وبعدها أشار الرئيس للمسؤول المشرقي كي يواصل حديثه )

المشرقي : وهكذا فالجميع يحسدون من هو مثل الفارابي وابن رشد وابن سينا والغزالي . وحتى الفقهاء في الدِّين يرون أن هؤلاء أعلى مقاماً منهم وأكبر قدرة على التفكّر في ما وراء المحسوسات . ويمكنني أن أقول أنه إذا كان الأساتذة والدارسون يغبطون هؤلاء الفقهاء والفلاسفة فالمجموع كله إنما يشتهي أن يُدَلّ على إثبات الخالق من خلال إثبات الذات ، فالذات الإنسانية قبل الإله وهذا هو المطلوب . وأما المشكِّكون

**في وجود الخالق فهم أصحاب الفضل الأكبر في تحويل اتجاه الموضوع إلى هذا الاتجاه فقد قدّموا لنا خدمة جليلة في هذا الشأن .**

**(يسكت للحظات ثم يواصل الحديث )**

**المشرقي : يمكنني أن أقول أن صديقي المسؤول الغربي الأوروبي قد أخذ هذه الأفكار جاهزة بعد جهودي المتواصلة . إن ديكارت كان يقول : ( أنا أفكر ، إذن أنا موجود ، إذن الله موجود ) . وذلك هو عين ما قاله الفارابي : ( أنا أتفلسف مع أفلاطون وطاليس . أنا أثبت وجود الله ) . وليس لصديقي الآن من عمل سوى أن ينفخ في ( الأنا ) بصورة متواصلة .**

**(يثب المسؤول الغربي على قدميه مذعوراً ، ثم صرخ وهو يقول )**

**المغربي : هذا السخيف يستهين بجلائل أعمالي ! سيدي الرئيس أطلبُ معاقبته !**

**(يحدث هيجان شديد في قاعة المؤتمر ، فيسكنه الرئيس بقوله )**

**الرئيس : بل أتركك ترد عليه .**

**(يستعيد المغربي هدوئه ثم يأخذ بالكلام قائلاً )**

**المغربي : إن ابن الإنسان يفكر بنفس الطريقة ويوشك أن يتوصل إلى نفس النتائج وعلينا أن نعيد ونجدد المكائد .. لقد شعر ديكارت بقوة عملي فأثبته بخط يده ، وهذا يزعم أن الأشياء جاهزة فيا لـه من جاهل ، يبدو أنه لا زال من عهد الفارابي عاطلاً بلا عمل !**

**المشرقي : هذا تزوير إذ أن عشرات قد جاءوا من بعد الفارابي وابن رشد ، متصوّفة وعرفانيون وأعمال مضنية جسيمة ، فقد نقّحت تسعة مجلدات للشيرازي في اتحاد ( الوجود بالموجد ) ، وأربعة مجلدات في اتحاد ( الخلق بالحق ) وعشرات أخرى في الماهيات والمثل والصور والتمثلات والعقل . وكانت ( الأنا ) فيها منفوخة كبيرة وكبيرة بقدر رأسك ! وإلاّ فقل لي لِمَ كنت تتوسل إلى القاصي والداني من أجل ترجمتها إلى اللغات الأوربية إذا كان تفكير بني الإنسان واحداً والجميع يبدءون من نفس النقطة ؟**

**(يرد مسؤول الشياطين في أوربا بهدوء )**

**المغربي : هذه التي تقولها أليست توسّعاً في مفاهيم مترجمة أصلاً عن اليونانية ؟ فإذا أقررت بذلك فلنقل أنها كانت متعبة لك كما هي متعبة لي .**

**(يعلق رئيس الشياطين قائلاً )**

**الرئيس : هذا هو الحل . فلكل شيطان منكم فضله وعمله ولتنتهي هذه المجادلة إذ ليس المهم هو استعراض الأعمال فقط ، الأهم من ذلك أن تفسروا فكر بني الإنسان ، وأن تعلموا لماذا اتبعوكم في بعض ما توحون إليهم ، لأن علينا أن نسبقهم دوماً ، علينا أن نعلم وجهين ( الحقيقة وعدمها ) ، ونعلم لماذا**

أعجبهم الأخذ بخلاف الحقيقة في وقت أننا نقوم بعرض وجه الحقيقة حينما نؤكد لهم على خلافها ؟

المشرقي : أعتقد سيدي . وبحكم عملي مع أنواع اكثر من الفلسفة أو هكذا بعض بني الإنسان يعتقد ، إذ يُعِدّ السحر والكهانة والشعر من الفلسفة (١) . إن مسألة الألوهية هي المسألة المركزية بالنسبة لنا وللإنسان على حدٍ سواء . فالإنسان أمام طريقين لا ثالث لهما من أجل الوصول إلى الملك والسلطان والتحكم في الأشياء .وهذا الهدف هو الرغبة التي شُحِنَ بها حينما خلق لأول مرة ، شحنه الله بهذه الرغبة الجامحة ثم كايده بها كيداً وقال له : هذا الملك وهذا السلطان وهذه السماوات وهذه الأرض كلها بين يديك لأني أستطيع أن أخلق أكواناً لا حصر لها بلا روية ولا تعب ولا مرور زمان ، لكن عليك أن تمر إلى هذا السلطان من باب الذل والعبودية والخضوع لي وحدي ووحدي فقط ، ولأجل أن أشبع رغبتك في رؤية نفسك عظيماً سأجعل من جنسك أفراداً مرّوا من هذا الباب في زمن لا تدركه ، وأريك كيف يتحكمون بالأشياء وكيف يسيطرون على الطبيعة . فكن حذراً ومنتبهاً إذ سوف أكايدك وأفتنك لأني سأجعل هؤلاء مثلك لا يختلفون عنك ، يأكلون مما تأكل ويلبسون مما تلبس ويمرضون كما تمرض ويموتون كما تموت . وهذا التضاد في الفكرة نفسها قد سبّب للإنسان مشكلة عويصة ، وهو لا يستطيع التوصّل إلى حلها إلاّ حينما يتميز بصفاء تام . ويبدو أن هذا هو المطلوب من الفكرة كلها . لذلك فإن الإنسان يجد ( مرارة ) في الوصول إلى السلطان من باب الذل والهوان ، ولكن حماقته تبلغ أحياناً درجةً يتعرض فيها للذل والهوان والخزي مع أبناء جنسه من أجل سلطان مزيف حقير مشوب بالخوف والترقب . ولنفس السبب سيدي الرئيس يرغب الإنسان في الوصول إلى سلطان التحكم والربوبية بشتى الطرق وكلّ على قدر طموحه وقدراته الذاتية . فالذي لا يقدر على التأمل العميق واستعمال الألفاظ ربما يمارس السحر لأنه يشعره بتحكم مباشر بالطبيعة والأشياء بل وبعض أقرانه من غير مرور من باب العبودية . وبعضهم يستهجن هذا العمل أو يخشى الاتصال بنا . معاشر الشياطين والجن . فيرتقي في تأملاته وتخدعه الطبيعة ذات الأعماق ، إذ يتصور أنه اكتشف فيها أسرار وخفايا ثم لا يلبث أن يدعي دعوات أكبر . وهكذا جعلنا كثيرين يدّعون الإمامة والقيادة ثم إذا جلبنا لهم اتباعاً اكثر ادّعوا النبوة وبقفزة واحدة تراهم يدّعون الربوبية .. لأن تلك سيدي رغبة الجمع الكثير من ولد آدم . ويعلم صديقي المسؤول الغربي أن شيخ الفلاسفة أفلاطون لا يشذ عن هذه القاعدة في شيء سوى أن المسألة خفيت قليلاً داخل فضائل ( الإله ) الذي هو الإنسان . الفيلسوف ، لكنها ظهرت بجلاء وبسرعة فائقة فيما بعد .فعند أرسطو أن الفلسفة تتصف بصفات هي ( روح التأليف والجمع والتوحيد ثم التجريد والسمو النظري بمعنى أن الفيلسوف يرقى إلى أعقد المشكلات وأكثرها عسراً وأبعدها عن الواقع ثم يتّصف بامتناع الغرض بمعنى أنها لا تنشد منفعة بل تطلب لذاتها ثم الاستقلال والتفوق بمعنى أن الفيلسوف لا يخضع لأحد ولا يحكمه أحد وأخيراً صفة

الألوهية فبها أي بالفلسفة نشارك الآلهة لأنّا نرقى إلى درجة التأمل الخالص والنظر المحض بلا غاية )(١) . والصفات الإلهية واضحة في أعمال أر سطو وأفلاطون ، فلم يشأ أرسطو أن ينزل الإله من علياءه إلى الأرض ليكون في كل جسم إنساني كما فعل فلاسفة الإسلام والمسيحية فيما بعد ، كان أرسطو أكثر احتراماً للرب من هؤلاء إذ لا يجوز أن يكون كل هؤلاء الذين يراهم تافهين أمامه آلهة وأرباباً .. وعلى رأيه فأن من يريد أن يكون إلهاً فليصعد هو إلى الله و( يجلس بجواره ) على أن يتصف بصفاتٍ حسنةٍ قبل ذلك ومنها امتناع الغرض من التفكر فكما أن الله يخلق وهو غير محتاج للخلق ويأمر وينهى وهو غير محتاج للطاعة وغير متضرر بالمعصية فإن الفيلسوف يجب أن يفكر بهذه الطريقة فالفلسفة تطلب لذاتها بلا منفعة .

الرئيس : لكنهم ألّفوا كتباً في تنظيم المجتمع والدولة والقانون وعلوم الطبيعة وكيفية الانتفاع من أشياء كثيرة وتلك هي فلسفتهم فلماذا ربطوا الفلسفة بتلك الأغراض ؟ .

المشرقي : أهذا سؤال أم اعتراض على أرسطو ؟ فإن كان اعتراضًا .. فليس لك أن تعترض على أرسطو لأن هذا هو المطلوب في النهاية ، ماذا يعمل المرء إذا صعد إلى السماء وجلس مع الآلهة ؟ ألا يتوجب عليه أن يرحم الخلق حينها ويشرع لهم قانوناً يحميهم من( العدوان ) بعضهم على بعض ويحقق ( العدل)(١)، فمن ذا يحكم العالم إذا لم يعطف عليه الرئيس الفيلسوف ويحكمه .

)أو ليس الرئيس . الرئيس الأول في جنس لا يمكن أن يرأسه شيء من ذلك الجنس مثل رئيس الأعضاء لا يمكن أن يكون عضوٌ آخر رئيساً عليه وكذلك في كل في الجملة ، كذلك الرئيس الأول للمدينة الفاضلة ينبغي أن تكون صناعته لا أن يخدم بها أصلاً ولا يمكن فيها أن ترأسها صناعة أخرى أصلاً ؟ )(٢) .

الرئيس : أستطيع القول أننا يجب أن لا نفتر رغم هذا النجاح الكبير في تكوين وخلق جبابرة واستبداديين من نوعين : نوع من الاستبداد يحكم بالسيطرة على الأبدان بالسيف ونوع بالسيطرة على العقول بالفلسفة وكلاهما يريد أن يكون بديلاً لله .

المشرقي : بالطبع سيدي فنحن لا نأمن مطلقاً من اكتشاف اللعبة . إن كشفها أيسر من تدخين سيجارة بالنسبة للآدميين لكن أملنا الوحيد هو في أن الأكثرية الكبرى من بني الإنسان لا تريد بلوغ السلطان من باب العبودية للإله .

المغربي : أطرف شيء في الموضوع سيدي الرئيس أن فلاسفة الشيعة في دين الإسلام لهم آراء مختلفة كانت يوماً ما تحمل بعض الخطورة ولكننا فيما بعد جعلناهم يعتقدون أن أرسطو وأفلاطون وسقراط ( حكماء )لا فلاسفة ، وأثبت أهل الأخبار فيما بعد أنهم سمعوا ( البعض ) يقول أنهم كانوا ( أنبياء ) ولكن لم تذكرهم الكتب المنزلة من السماء !

)تضجّ القاعة بالضحك )

الرئيس : كفوا عن الضحك رجاءً !

المغربي : ولقد نجحنا كما ترى في جعل الفلسفة تتحدث باسم الحكمة لأن الأصل في الحكمة . حكمة الرسل أنها نوع من المعرفة تجعل الدخول إلى السلطان من باب العبودية عزة وكرامة . ولم يقتصر الأمر على المشرق في انبهاره بالفلاسفة وإطلاق أسم الحكماء عليهم بل الغرب يفتخر على الشرق في أنه الوحيد الذي انفرد بهذه الحكمة(٣) ! .

المعاون : حينما تكون الحكمة الحقيقية هي الحصول على الملك والسلطان من باب العبودية تكون الفلسفة هي الحصول على هذا الملك من باب ( الملك ) ، وهي لعبتنا الأولى مع آدم في ( ملك لا يبلى )(١) ظهرت باسم ( الخدعة الملوكية ) عند أفلاطون والتي يسميها ( ديورانت ) الكذبة الملوكية .

أحد الشياطين : الجميع يعلمون ذلك سيدي ، بيد أن ذلك يغريهم بمزيدٍ من الإغراء وإذا ذكروه ذكروه فخورين : ( فقد استمدت السياسة الكاثوليكية الكثير من ( كذبة أفلاطون الملوكية ) أو تأثرت بها . إن فكرة جهنم والأعراف والمطهر والجنة في أشكالها التي عُرفت بها في القرون الوسطى مستمدة من الكتاب الأخير من جمهورية أفلاطون . وبهذا المبدأ تمكن رجال الدين من حكم أوربا بسهولة وبدون اللجوء إلى القوة وقبلت الشعوب طوعاً تقديم المساعدات المالية لحكامها ، لمدة ألف سنة تقريباً )(٢).

المشرقي : إن الفكرة تكرر نفسها سيادة الرئيس وخلط الحكمة بالفلسفة أدى إلى ثمار عظيمة ففي الوقت الذي بدأنا فيه بصنع نموذج آخر للملوكية ظاهره القضاء على الاستبداد وباطنه هو استبداله باستبداد اكبر ، أعلن البعض أن هذا النموذج ( استبدادي ) مائة بالمائة ، بينما هو في نظر آخرين أفلاطوني ديمقراطي مائة بالمائة ، لأنهم رأوا ( أن الحزب الشيوعي الذي حكم روسيا بعد عام ١٩١٧ اتخذ شكلاً شبيهاً بما جاء في جمهورية أفلاطون لدرجة تدعوا إلى الدهشة )(٣)

)يطلب مارد الشمال الأذن بالحديث فيوافق الرئيس )

مارد الشمال : بالنسبة لي فلا أعاني من أي مشقّة وأشعر دوماً أن بني الإنسان هم الذين يخدمونني ويقدمون لي عروضهم للموافقة عليها ، وفي جميع الأوقات ( يَصدُق ) حدسي وظني فيهم .

الرئيس : أنت دائماً تبالغ ولا أشتهي سماع أحاديثك ، ولو تسمّعت إلى فقرة من كتاب من كتب الرسل لولّيت هارباً ولو كان القارئ في الجنوب وأنت في الشمال .

مارد الشمال : هذه مسألة نفسية سيدي ، كلنا فيها سواء فكم من مرّة غضبت وطردت من يذكر فقرة من القرآن أو الإنجيل أو الزبور في الاجتماعات ؟ .

الرئيس : تباً لك يا خبير النفوس ! أنا شخصياً لا أخاف من تلك القراءات إنما أخشى عليكم من هبوط

الشعور بالتفوق على بني الإنسان . يا شيطان الشرق اذكر لي شيئا يسرّني فقد أزعجني هذا المارد .
المشرقي : نعم سيدي الأخبار في هذا الصدد لا تسعها المجلدات الكثيرة ، ويكفي أنني قد جئت قبل فترة من جولة في أنحاء الشام والعراق والمشرق الإسلامي ورأيت الناس هناك مبتهجين ومسرورين بقراءة كتاب جديد أثبت فيه مؤلفه أن الفلاسفة الغربيين يؤمنون بوجود ( الله ) وأن بعضهم قد أثبت وجوده فعلاً(١) !!
الرئيس ( مقهقهاً ) : هذه هي الأخبار المفرحة حقاً !
المشرقي ( متابعاً ) : وهذا الأمر أي ( الإنسان ـ الإله ) أغريناهم باعتماده في جميع التفاصيل المتعلقة بمنطق الكلام ، فالمسيحي اكتفى بأن يكون الإنسان هو الرب وأن الرب هو ابن الإله واختلط الثلاثة بروح القدس بحيث أننا تركناهم يتخبطون لا يعلمون من هو الإله ومن هو الإنسان ومن هو الروح . وأما المسلمون فقد قلبنا الأمر ، فبدلاً من أن يكون النبي عندهم قد أثبت نبوته بالقرآن جعلناهم يستدلّون على أن هذا القرآن من الله انطلاقا من أن النبي قد ذكر ذلك .
الرئيس : وكيف يعلمون أن النبي كان نبياً ؟
المشرقي : لأن تلك سيدي هي بغيتنا من الأمر فهو الآن عندهم رسول بمعجزة ، ودليل المعجزة هو أن قائلها كان رسولاً ، ودليل رسالته هو نفس المعجزة ، فأمكننا ذلك من فصل الإنسان عن الإله تماماً ، فاستقل بنفسه ومعجزته . وأنت تعلم ما يفعل ذلك من تشكيك وتراجع في إيمانهم ، فمهما ذعرت من مظاهر هذا الإيمان الشكلي فأعلم انه في داخلهم منخورٌ ومزيفً كلياً ، فقد أعدنا المعادلة كلها إلى ما كنا نشتهي : ـ الإنسان هو كل شيء والإنسان مقابل الإله هو اله آخر ـ الإنسان هو الذي يحكم الآن بشريعة النبي ، وهو الذي يحدّد معاني كلامه وما ورد في معجزته ، والإنسان هو الذي يحكم على صحة كلامه أو صحة نسبته إليه ، والأهم من كل ذلك .. الإنسان هو الذي يحكم بشرع النبي ! هذا إن وجد إنسان يحبّ النبي ويقدّس شرعه بحماس كبير .
المغربي : ومن اجل ذلك فانهم يتقبّلون فلسفة الغرب لأنها في الوقع فلسفة الجميع .
الرئيس : من عادتي أن لا أطمئن تماماً رغم كل ما قاله المشرقي . لأن هناك اتجاه أو أكثر لا زال يحمل خطورةً كامنة وهو الاتجاه الذي يصرّ على مبدأ أن المشرِّع يعيّن الحاكم بنفس القانون المشرَّع ، ولا يمكن أن يأتي الناس بالحاكم الذي يحكم بالقانون ليعيّنوه خلافا للقانون . وربما ينتبه البعض إلى البحث في الكتب المنزلة عن القانون الذي يتم بموجبه تعيين الحاكم .
المعاون : إذا تسمح لي سيدي فأنا أجيب على ذلك لأطمئن سيادته . أولاً إن هذا الاتجاه لا يفهم المسألة بالطريقة الحكيمة التي ذكرتموها ، إنما يفهمها على أنها وصايا وروايات من أصحاب الرسالات . وثانياً

أن هذه الوصايا عرضة لهجمات متكررة من الأكثرية . وثالثاً إن أصحاب هذا الاتجاه هم أقلية ضمن أقلية ضمن أقلية ثلاث مرات وهم من الذعر بحيث ينكرون أحيانا إن تكون لهم مبادئ مثل تلك . ورابعاً وهو الأهم أن الأشياء عندهم مختلطة مع بعضها ! فبشأن الجنة والنار ومستقبل العالم فهم يرون كغيرهم أن الوعد المحقِّق للخلاص هو بعد نهاية العالم لا قبلها !

)تُسمع ضجة من أحد جوانب القاعة )

الرئيس : ما هذا الضحك . إننا هنا لنعمل لا لنضحك !.. ثم أن قولك هذا فيه مبالغة ، فالتقارير التي لدي تقول أن بعضهم ينتظر خلاصاً قبل نهاية العالم .

المعاون : هذا صحيح ، لكن لو دققت في أمد الخلاص ومدّته لوجدتهما شيئاً غير ذي قيمة بالنسبة لعمر الكون . احسن الروايات تقول سبع سنين ، أو تسعة عشر . فالمهم هو ما يرتكز في الأذهان من فهم عن الغاية من خلق الكون . المرتكز عندهم كالمرتكز عند جميع الناس : إن الخلق عبارة عن ( عبث ) ، ونحن بالطبع لا شأن لنا بالمظاهر ، فإن مظاهر التقوى والصلاح هي عند كثيرين لو قدر لهم أن يدخلوا الجنة جميعاً لما امتلأت جهنم .

المغربي : إن ما يقوله صاحبي صحيح سيادة الرئيس ، فإن الرجل الطيب ( سبينوزا ) لم يشأ إنكار ( الله ) فجعله القانون الموجود في الطبيعة ، وحينما انتُقد على ذلك قال : ( أخطأ فهمي أولئك الذين يقولون أن غرضي هو أن أبيّن أن الله والطبيعة شيء واحد ، لأن القائلين ذلك يفهمون من لفظ الطبيعة كتلة معينة من المادة المجسدة ، إنني لا أقصد ذلك . ) . (١)

الرئيس : وهل أوضح من هو الله ؟ وما الفرق بينه وبين الطبيعة ؟

المغربي : نعم بالتأكيد أوضحه هكذا . وكنت يومها واقفاً عند رأسه وكان قلمه يرتعش حيث كتب . ( وهذان العقل والجسم هما الوجهان أو الصفتان اللتان بهما ندرك عمل الجوهر الذي هو الله ( أو الله ) (٢) ، وبهذا المعنى يمكن أن يقال أن الله وهو الحقيقة الأبدية وراء تدفق الأشياء له عقل وجسم . فلا العقل وحده ولا المادة وحدها هي الله ، ولكنه العمليات العقلية والعمليات الذرية التي تشكل تاريخ العالم المزدوج ، هذه وأسبابها وقوانينها هي الله )(١).

الرئيس : نعم ! لقد أوضح لهم المسألة بطريقة لن يسيء بها أيما أحد فهمه مستقبلاً .. !!

المشرقي : برأيي إن أكثر الفلاسفة تواضعاً مع الله هو ( سبينوزا ) ، وهو مثال صالح للطيبين جداً والمتواضعين جداً من أصحاب الاتجاه الذي يخيفك ، فالبعض من غير هؤلاء يريد الصعود ليكون مع الإله الواحد أو في مصاف الآلهة ، والبعض الآخر أنزل الله ليكون في الإنسان . وأما المتواضعون فقد قالوا ( الله والوجود واحد ) أو ( الله والخلق واحد ) أو ( الله والقانون والمادة واحد ) أو ( الله والعقل واحد ) . وفي

جميع ذلك يظهر ( أنا الإنسان الإله ) ، فهو أما أن يكون إلهاً أو يشارك الإله ، أو إذا كان في غاية التواضع فإنه يدرس الله كموضوع ، ولا بد أن يحدّد في النهاية من هو الله لأن غايته ليست معرفة الإله بقدر ما هي رغبته في مشاركته أو مماثلته بخلاف العالم الطبيعي الذي تعجزه الظاهرة فيعترف أنه لا يعلمها ، لأن العالم الطبيعي يدرس الظاهرة بصفاء وخلوص نية وغرضه المعرفة فلا يخدع نفسه ، أما الفيلسوف فغرضه المشاركة لا المعرفة . وأكثر المؤمنين بالله هم على هذه الصفة فهم يدعون أنهم شركاء لله أو هم مشركون به فعلاً أو يرغبون في مشاركته على نحو ما توحيه لهم أوهامهم(٢) .

مارد الشمال : وما هي حقيقة الأمر في هذا الموضوع ؟

المشرقي : الذي أعرفه هو إن الله قالها : . أنا الإله ليس هناك من اله غيري اخلق ما أشاء والذي اخلقه اعرفه ولا يعرفني ، أنا لا أُعرَف . وبهذا تميزت عن كل ما اخلقه لأني إذا عُرِفت صرت موضوعاً وكنت مخلوقا ً، فأنا الوحيد الذي لا يمكن معرفته . وهذه هي تمام معرفتي لا يتمّها إلا استشعار حياتي وفناء غيري . فمن عرف فناءه وحياتي وعرف أنه لا يعرفني فقد سمحت له بأن يقول أنه عرفني ، ومن أصر على ادّعاء معرفتي كذات أو موضوع فقد تجبر واستكبر وعتا عتواً عظيماً فأكبه على النار . قالها في كل شيء .

الرئيس : كفى كفى خطباً من هذا النوع .. نحن نناقش ما يقوله الفلاسفة لا ما يقوله الله فليفهم من يفهم ومن لا يفهم فإلى حيث ...في كل مرة يسبِّب لي أحد المردة إزعاجاً ، فليت المغربي يحدثني عن ( دافيد هيوم ) أو ( جورج بركلي ) كي ترتاح نفسي .

المغربي : إنهم في دوّامة جارفة سيدي الرئيس ! إنها دوامة اعنف قوة وأعلى زفيراً من الدوامة التي في وسط الشمس . فحينما قال ( لوك ) : إن المادة لا توجد سوى كصورة في العقل ( تلقفها ) بركلي ، مثلما تلقف من هو قبله كرات ضربها السابقون فدفعوها واندفعوا خلفها ، ولم يلاحظوها حينما ارتطمت بالسور العظيم ، فاصطدمت رؤوسهم به ثم سقطوا وظلّوا هناك ساقطين تحت الجدار ورافضين العودة وناكرين لوجود الجدار حتى وافتهم المنية . تلقفها ( بركلي ) وركض خلفها ، لأنه أضاف شيئاً آخر مفاده أن اليد المشلولة لو ضربت بمطرقة فلا تحس بالألم ، فالإحساس إذن نسبي ، وإذن فشعورنا بالمادة هو شيء عقلي محض وبالتالي فلا شيء سوى ( العقل ) .

الرئيس : إذن عاد بركلي مثل الحلاّج وابن عربي ليقول أن الله هو العالم ولما كان ليس للعالم وجود إلا بإحساسي العقلي فهذا العقل هو ( أنا ) والنتيجة أنني إذا قلت ( أنا ) أو قلت ( الله ) فلا فرق .

المشرقي : لقد قال سبينوزا عبارة يمكن أن تجمع الذين أرادوا أن يكونوا آلهة من غير أن يصعدوا كالمجموعة الأفلاطونية أو ينزلوا الإله كالمجموعة النوحية والمسيحية واليهودية ، بل يبقون جامدين في

مكانهم .

الرئيس : ما هي تلك العبارة ؟

المشرقي : العبارة هي ( إن الطبيعة فاعلة ومنفعلة في وقت واحد ) .

الرئيس : هذه عبارة عظيمة ! أهي من إملاءنا أم من ابتكاراته ؟ لشدُّ ما تعجبني تلك العبارات التي هي صادقة على نحوٍ محدّد وكاذبة في الأنحاء الأخرى فتختلط بها الأشياء .

المشرقي : سيدي الرئيس إنك تعبّر عن الأشياء بدقة ، الحقيقة أنها من ابتكاراته . وحينما تجتمع عبارته مع أزلية المادة فالناتج إن الإنسان فاعل أول كامن فيها ، ومنفعل متأخر عنها . ومعنى ذلك إن الإنسان هو ( الإله الفعلي ) .

المعاون : هل للمغربي أن يوضّح لنا ما الذي أضافه بركلي ؟

المغربي : سيدي الرئيس . أنت تعلم أن الله كان ومازال ولم يكن معه شيء أو كون . والإنسان ـ الإله الذي صنعه سبينوزا أزعج تأخر ظهوره في العالم مشاعر بركلي ، ولما كان لا يمكن لبركلي أن يفني الموجودات و( يزيل الجبال ) ليبرهن أن ( الإنسان ـ الإله ) باق ودائم تماماً مثل الله ، فقد ألغى الموجودات نظرياً وأبقى عقل الإنسان .

الرئيس : الحقيقة أن نفسي ترتاح لهذا الرجل كثيراً ، ويؤسفني جداً موته ، لقد جلب لنفسي السرور أكثر مما كنت اشعر به دوماً عند دخولي قصر فرعون ، ورؤيتي للناس وهم بين راكع وساجد .

المغربي : وأما طريقته فقد تميزت بالبساطة والوضوح : مثال المطرقة واليد المشلولة يبرهن على نحو واضح لا يستطيع الكثير من بني الإنسان تمييزه أن المادة عبارة عن إحساسي العقلي بالأشياء ، وإذن فليست ثمة أشياء سوى ما هو في عقلي .

الرئيس : وكيف علمت أنهم لا يميّزون ؟ إنك لو وصلت إلى عمانوئيل كانط فستجد الأمر مختلفاً .

المغربي : لن يختلف كثيراً سيادة الرئيس . فمثلاً إن أحد الشراح وصف إبقاء ( بركلي ) على عقل الإنسان وإلغاءه المادة بأنه نوع من الشفقة على العقل غير مدرك للمخطط بكامله(١) . إن سبينوزا ( المتدين ) الذي أعلن أنه يحب المسيح كثيراً ويقدره كثيراً لم يقدر على الصعود إلى السماء ، ولا على إنزال إله السماء إلى الأرض ، فتوجّه تلقاء المسيح لينفي عنه صفة الربوبية والبنوة لله ، ليس لأنه أصبح فجأة قديساً مثل بولص كما زعم ، بل لأنه وجد أن بنوة المسيح لله لا تجدي نفعاً في جعل سبينوزا إلهاً . فقد مرّ ألفا عام ولم يكن هناك رب هو ابن الله سوى رجل واحد هو المسيح ، فإذا كان المسيح بلغ هذه الرتبة ( بعقله ) فعقولنا ليست قاصرة وأما القلب فهو مضخة دم لا غير . وإذا كان في القلب شيء فقلب سبينوزا ( الحنون ) لا يقل ما فيه عما في قلب المسيح فليكن إذن ( العقل ) ـ عقل الإنسان

هو الإله ، بيد أن الإله الحقيقي  هو عقل جماعي . ومنه بالطبع عقل ( سبينوزا ) ، فهو والجسم الذي يحوي القلب يتفاعلان ويتولد أحدهما من الآخر وهما في النهاية صورة الله . كان لابد إذن من تفسير النصوص في التوراة والإنجيل على أنها ( مجازات واستعارات وإشارات )(٢) يتوجب فهمها في كل مرة بطريقة تلائم ما نتوصل إليه من كشف لتلك العلاقات المتفاعلة .

الرئيس : شيء جميل أن يكون سبينوزا حاقداً في داخله على المسيح كل هذا الحقد .

المغربي : إذن فبركلي محق . قسّم سبينوزا الإله على كل العقول والأجسام ولهذا فهو يلعنه قائلاً : تباً لك يا سبينوزا كم ستكون حصتي من الألوهية ؟ سأعيد القسمة وسأحظى بقسمة أكبر . سألغي أولا الأجسام ثم أختصر وجود العالم الذي هو صورة الله في العقول الجبارة ، وستكون حصتي من الألوهية أكبر. تباً لك فقد أخذت منا كل ما منحه أفلاطون للفلاسفة من ألوهية وما أبقيت إلا الضئيل جداً منها .

الرئيس : أنتم تعلمون أني أحضر جميع المؤتمرات العامة للشياطين بحكم موقعي الرئاسي كمسؤول دائم لـ ( فريق إلغاء الحكمة ) في الأرض الثالثة ، ومنها مثلاً مؤتمر ( تأجيج الحروب وسفك الدماء ) ، لكني في الواقع أجد متعتي واطمئناني في المؤتمرات الثلاثة ( المؤتمر اللغوي السري ) و( مؤتمر تدمير الفكر الديني ) و ( مؤتمر التاريخ ) . ولكن أكثرها متعة بالنسبة لي مؤتمرنا الحالي لأن خطوطه توحي بجميع ذلك .

المشرقي : على الرحب والسعة سيدي الرئيس وستجد دوماً ما يسرك ، فإن لدينا تقريباً جميع المعلومات الخاصة بتلك المؤتمرات بحكم عملنا الفلسفي المتنوع باستثناء الفريق اللغوي فإن معلوماتنا عنه ضئيلة للغاية .

الرئيس : إني أفهم تلميحك وأتذكرك جيداً . أنت تريد حضور المؤتمر اللغوي وقد أشرت على ما أتذكر إلى الشيء نفسه عند تأسيس المؤتمر العاجل بعد موت ( إبراهيم بن اليعازر ) ، وأذكر أيضاً أنك ألححت في الطلب في مؤتمر الصحراء السفلى ومؤتمر ( بورسيبا ) الذي انعقد موازياً لـ ( كامب السنهدرين ) . آه ذكرتني بأشياء لطيفة ، فقد كانت جولتي طويلة ورأيت ( دانيال ) مكبلاً بالحديد .

المشرقي : بلغ عمري سيادة الرئيس خمسين ألف سنة .

الرئيس : أنا اقدّر أعمالك ومواهبك العظيمة ، لكنك تعلم أن جلائل أعمالنا ومواهبنا هي في النهاية عالّة على ( الفريق اللغوي ) ، وتحديداً على سريته ولذلك اقتضى النظام ألاّ يحضره أحد إلا بموافقة شخصية من القائد والرئيس الأعظم المنظور بالله إبليس الأبالسة .

)يردد الحاضرون جميعاً : باقين باقين أبد الآبدين . بعيد بعيد . ما يوعدون  . ثم يضحك المشرقي ويقول )

المشرقي : أنا مثلاً أعلم أن المبتدأ مرفوع ، والخبر كذلك ، فلماذا أقره المؤتمر اللغوي هكذا بخلاف القواعد العربية تحديداً ؟ باقين وليس باقون !

الرئيس : يا جان ...إن بعض الصيغ والمقررات حتى جنابي لا يخبروني بها ...لكني سأحاول ترشيحك لحضور المؤتمر اللغوي تحت الاختبار مرة كل خمسمائة عام !!

المشرقي : شكراً سيدي .. إني أريد فقط أن أعرف سبب السرّية والكتمان حول عمل الفريق اللغوي هذا لأجل أن أكون في داخل نفسي مؤيداً للأوامر راضٍ بها كل الرضا والقبول .

)يلتفت الرئيس إلى شيطان اللغة للقارات السبعة كأنه يطلب منه رأيه بالموضوع ، فيومئ له بالموافقة على الاستجابة لطلب المشرقي فيقول )

الرئيس : حسناً ...لا ضير في ذلك وليسمع الجميع أيضاً . إن العين لا ترى الله ولكن الأذن تسمعه ، لأنه قد تكلم فأسمَعَ من أراد أن يكلمه . وكلامه وصل إلى الأرض . أوصله رغم أنف الجميع ، والناس يتكلمون ونحن نتكلم ، وإنما تحصل المعرفة بالكلام لأنه هو الأداة . فمن هنا جاءت سرّية العمل اللغوي .

)انفتحت الباب السوداء فجأة ودخلت شبه عاصفة في حين ظهر في وسط المؤتمر شبحٌ عملاق بما يكفي لأن يضرب برأسه السقف ، فارتعب الرئيس وصاح )

الرئيس : ما هذا ؟ ! أين الحرس ؟!.

المعاون : مارد الجنوب سيدي ! هذا مارد الجنوب وهو دائم التأخير سيدي .

)يصرخ الرئيس بحدة )

الرئيس : أين كنت ؟

)يشير المعاون إلى المارد بأن لا يتكلم ثم يخاطب الرئيس )

المعاون : سيدي الرئيس إنه مارد مزعج ودائم النوم . أحسبه كان نائماً ، وكلما نبّهته يكرّر نفس العذر : لا يوجد في جنوب أفريقيا فلاسفة لا يوجد في أستراليا فلاسفة ...لا يوجد في جزيرة سيلان فلاسفة ...

)تظهر علامات البهجة على وجه الرئيس ويقول مخاطباً مارد الجنوب )

الرئيس : اجلس اجلس تعجبني حركتك النشيطة . كم هو عمرك يا جان ؟

الجنوبي : أنا كنت في الوسط ولا أتذكر كم هو عمري ، لكن آصف بن برخيا هو الذي دمَّر ما كنت آمله من زعامة الشياطين .

)تبدو الدهشة والسرور على الرئيس )

الرئيس : كيف ؟ ما الذي فعله آصف هذا ؟ أهو آصف سليمان أم هو غيره ؟

الجنوبي : بلى سيدي إنه هو بعينه الرجل الذي يجلس في جوار سليمان في باحة الهيكل . ألا تعرفه ؟

سبحان الله كل الجان يعرفونـه ، إنـه الرجل الذي يعلم معنـى أحد الحروف ...لا أدري يا آصف أيّ حرفٍ هذا الذي حطّمتني به ؟

الرئيس : ما هي القصة ؟

)خلال ما يسأل الرئيس فإنه يرمق المشرقي من طرف خفي ويراه منقبضاً )

الجنوبي : لقد طلب سليمان ذات مرة أن يؤتى بعرش ملكة سبأ ، فقال عفريت من الجان من أتباع سليمان أنه سيأتيه بالعرش قبل أن يقوم من موضعه لقوته وسرعته ، وكان رئيسي ( كنباثا ) يتنصت على المحاورة من خلال الجواسيس ، فنظر من حوله فلما رآني تفاهمنا بسرعة من خلال النظرات على أنني إذا حطمت هذا العفريت في الطريق وأخذت العرش منه ، فإنه سيمنحني لقب رئيس المردة في الأرض الثالثة كلها ، فما أتممت التفاهم حتى نادت الجان ممن هم معي : يا نائم يا غافل العرش عند سليمان ! وحتى المارد ( كنباثا ) ذعر ذعراً عظيماً ولم نصدّق حتى ألقينا عليه نظرة ، وذلك في الجزء الخامس والسبعين من المئة من الثانية التي تلت انتهاء كلام العفريت . ثم سألت من فعل ذلك ؟ فقالوا : آصف . كيف ؟ قالوا : بالحرف الذي عنده . رئيس الشياطين نفسه لا يدرك معنى ذلك كله ولا يدري ما معنى أن يكون عند المرء حرف .

الرئيس : هوّن عليك يا جان ! المستقبل كله أمامك .

الجنوبي : من أجل ذلك أصبحت كثير النوم لأنهم نادوني يا نائم وأصبحت متغافلاً لقولهم يا غافل !

الرئيس : إن الحضارة والثقافة تزحف إلى الجنوب وستزحف معها الفلسفة وسترون هذا النائم المتغافل ما سيفعله . وحينئذٍ فإني أنا الذي سيعينه رئيساً للمردة . أما الذين هم مثل آصف فسوف يمضي وقت طويل حتى يأتي أحدهم وربما لن يأتي ، لأن بني الإنسان اليوم وحسب ما رأيناه من تطورات لا يريدون العلم الذي يأتي من الله . إنهم يريدون العلم الذي تكشفه عقولهم . لأن العلم الذي يأتي من الله له باب لا يفتح إلا بمفتاح الذل والعبودية لله ، لذلك فالمتدينون أنفسهم وعلماء الدين ذاتهم هم من أكثر الخلق بعداً عن ولوج هذا الباب ، لأننا نراهم بأم أعيننا يتكلمون نيابة عن الله ويشرعون باسمه ويفسرون كلامه بكلامهم ويقترحون بالنيابة عنه مقترحات كثيرة ،ويدرسونه كموضوع أو ذات ممكنة التفسير ، ويقلبون أشياءه كلها بالمقلوب ويضعون عليها ركاما من عقائدهم ورغباتهم وهواجسهم . فهناك إله معين وكتاب معين ورسول معين لكل واحد منهم وان تشابهت الأسماء وتوحدت قبلة الصلاة واتفق صوت الأذان ودقُّ الناقوس ، لأنك تستطيع أن تختبرهم في الحرب وفي الفتنة وفي سفك الدماء ، وتختبرهم أيضاً عند الجدل والنقاش لتحصي مقدار الافتراء والكذب . فالحجيج ضجيج والصلاة مُكاءٌ والكتابُ زُبُرُ والسُننُ رجالٌ والقضاءُ قياس والحكمُ اختيارٌ ، والشرُ جبرٌ والخيرُ قدرٌ، والمال حظوظٌ ، والحاكم وليٌّ ، والأصل فرعٌ والفرع

أصلٌ والمستحبات ضرورات ، والواجبات متروكات ، والعلم طاقة ، والمعرفة تقليد ، والاجتهاد ظنٌ ، والآيات تفسير ، والبينات مجاز ، والأمثال استعارات واللغة مرادفات ، والأرزاق أكاذيبٌ ، والصدق غلوٌ ، إلى أشياء كثيرة جداً فابشر يا جان ثم أبشر إذا حفظت خطبتي وما يقال في هذا المؤتمر فإنك بفضل ما تفعله من تعاليم مع هؤلاء القوم الذين هم بهذه الصفة فتزيد من غيهم وتزيين أعمالهم فسيكون لك شأن كبيرٌ في مجمع الشياطين .

الجنوبي : بُشرتَ بكل شر وطال عمرك يا سيادة الرئيس وإذا شئتَ أن أُعيد خطابك حرفاً بحرفٍ فعلت . وسأدرب نفسي مع شيطان المشرق للسيطرة على هؤلاء القوم حتى يظهر فيلسوف في جيبوتي أو سدني أو جوهانسبيرغ ! .

الرئيس : وفقت لكل شر يا جان ، وإني إنما أناديك بهذا الاسم لأنك صورة مركزة لكل جنيّ وإن كنت لا أعلم اسمك الحقيقي .

الجنوبي : اسمي الحقيقي يا سيدي هو ( مونادو ) !

)رفع الرئيس عينيه وحاجبيه وأدار رأسه ببطء ناحية ( الشيطان اللغوي ) وحينما رمقه الأخير تبسّم وهزّ رأسه ببطء أيضاً رافعاً وخافضاً من غير أن يلتفت إلى ناحية الرئيس ...وبعد ثوانٍ قهقه الرئيس بصوت عال مسروراً ثم عقّب )

الرئيس : في المجلس الآتي سنتحدث عن حبيبي مونادو !

)بعد أن أوعز الرئيس للشياطين بأن يأخذوا راحتهم إلى اليوم التالي ، ردد وهو يقوم )

الرئيس : يا للفأل الحسن ! حبيبي مونادو ! يا للفأل الحسن مونادو حبيبي .

## 'لجلسة

## الجلسة الثانية

## لفريق إلغاء الحكمة

## على الأرض

)بعدما ألقيت المقدمة التي تبجِّل القائد ، وردّد الحاضرون الأغنية ، قال الرئيس )

الرئيس : باسم قائدكم المنظور بالله وباسمي شخصياً وباسم جميع الشياطين في الأرض الثالثة وباسم

القيادة الفلسفية المجتمعة هنا أتلو القرارات المنبثقة عن الجلسة الأولى ، وعلى كافة المختصين تنفيذها فوراً استغلالاً للوقت وكيداً ببني الإنسان أعداءنا( الطبيعيون ) وأعداء الزمان .

)يهمس أحد الشياطين بخفوت قائلاً )

أحد الشياطين : الطبيعيين سيدي الرئيس !! .

)يرد الرئيس فوراً )

الرئيس : اسكت ...هذا ليس شغلك ! .

)ثم يواصل الحديث )

الرئيس : أولاً : . الأوامر العامة :

يتوجّب تكثيف العمل الإيحائي للدارسين والأساتذة والتلاميذ ممن هم دون مرتبة الفلاسفة بضرورة اتخاذ الفلاسفة قدوة لهم ومثلاً أعلى ، والنظر إليهم على أنهم مَثَّلُهم الذي فارقوه ، وإنهم يعيشون في عالم سعيد كل السعادة ( لتحصيلهم السعادة ) من خلال انفرادهم بالفكر الخالص ( والعقل الخالص ) ، ليشعروا بأن عليهم الوصول إلى تلك المرتبة ولا أقل من ( تمنّيها ) فإن لم يستطيعوا فلا أقل من أن يغبطوا من هم فيها وذلك أضعف الشر .

يتوجب على لجان التنسيق في علم النفس الربط العملي بين مشاعر هذه الطبقة ومشاعر الطبقة التي دونها من العامة والذين تكون ( سعادتهم ) مراقبة وملاحظة ومتابعة أخبار وأحوال السعداء من النوعين ( الملوك الجبابرة والأغنياء بالمال ) ، فسعادة المثقفين هي في تأمل سعادة الفلاسفة وسعادة العامة هي في تأمل سعادة القادة من أصحاب المال والسلطان وتمني مثلها ، وتقمّص نفسية الحاصل عليها لأنها قوة وإن ( القوة فضيلة جامعة للفضائل ) .

يتوجّب على اللجان المذكورة الربط العملي بين مشاعر الطبقتين أعلاه مع مشاعر الطبقة الموازية لهما بالشعور السعيد نفسه إزاء التأمل في سعادة قادتها لتحصيلهم ( سعادة الدارين ) باعتبارهم علماء بأطروحات الفكر الديني . مع التشديد على أن ( الدار الأولى ) سعادتها في ( العزوف عنها ) ، و( الدار الآخرة ) سعادتها بعد فناء الكون ، وذلك من أجل أن يكون مفهوم الآخرة ( غيباً ) بمعنى ( ما وراء المادة ) وليس على ما يقتضيه المعنى اللغوي على الأصل أي بمعنى ( مستقبل عالم المادة ) مع ضرورة التأكيد على أن هذه المفردات في الكتب المنزلة هي ( استعارات ومجازات وكنايات ) ، مع الإيحاء إلى القادة بضرورة تحديد مصيرهم من العقاب والثواب ليتحقّق أكبر جزءٍ ممكن من ( الألوهية ) في القادة .

يتوجّب على اللجان المذكورة تكثيف عمليات الإيحاء إلى أضعافها فيما يخص الطبقة الرابعة المسماة طبقة ( المرموزين ) ، والتي تشمل الفن بمعناه عندنا لا بمعناه عند بني الإنسان ، كما تشمل عندهم

( الشعراء والصحافيين والسحرة والكهان وقارئي الفأل والمتنبئين ، وذوي الطرائق ، وأصحاب الخرق ، والرعاشين ، وأهل الراحة وأهل الحبال ، وأصحاب النجوم ، وذوي التكايا ، وأهل الغناء ، وذوي الحانات ، وعُرَّاض العرض ، وكتاب النثر ، ونقدة الأدب ، والسماسرة ، والوسطاء ، وأهل الإباحة ، والهتّافين ، والذين يدينون بالولاء لقادتهم من القادة في الفئات الثلاثة السابقة ، كلٌ بحسب مرجعه ، إلى أن سعادتهم العظمى ليس فيما يحصلون عليه من ربح أو خسارة أو موت أو خلود أو عذاب أو نعيم ، وإنما تكمن سعادتهم في مرموزاتهم لأن عملهم هو ( فن ) والفن ( مطلوب لذاته بذاته ) كما الفلسفة تطلب ( لذاتها ) ، فهم من هذه الجهة ليست لديهم غاية من عملهم سوى العمل نفسه ، وهي صفة ( الله) ليس له غاية من إيجاد الوجود إلا إيجاده . وبذلك يكون شعورهم بالألوهية شعوراً داخلياً وإن لم يصرحوا به ولم يُجرِ عليهم منافع شخصية أو يجلب عليهم خسائر معنوية أو مادية . وسوف يعزّز هذا الشعور لديهم : الإطلاّع ، والانبهار ، والتعجب ، والسؤال ، والدهشة ، والمتابعة ، وطلب اللذة ، وقضاء الوقت ، وقضاء الحاجة ، ومعرفة الطالع ، وتحصيل الخبرة ، وتسمّع الأخبار ، وحبّ الانتقام ، وحصول ( الطلب ) ، ودخول العالم العلوي . وهي الأشياء التي يبديها لهم أفراد الفئات الأخرى بشغف شديد أحياناً مع تقديم ( المساعدات المالية) لهم على شكل تذاكر أو مبيعات كي لا يموتوا جوعاً ، ولا أقل من أن تكون تحت عنوان ( إكراميات ) أو ( بقشيش ) ، لأن الجوع يدفعهم إلى البحث عن عمل آخر .
تترك باقي حروف الأبجدية لملئها مستقبلاً في هذا المؤتمر أو المؤتمرات اللاحقة .

ثانياً : الإملاءات : .

تملأ الفقرة ( ص ) من فقرات ( ثانياً ) من قرارات مؤتمر ( بحر الظلمات ) المنعقد بعد موت ( أشعيا ) بما يلـي :

]يستمر التبادل التفسيري واللغوي لجمَل وعبارات الناموس كما هو [

)في هذا الوقت كان الوجوم سائداً في المؤتمر وكان بعض الشياطين الذين رُشّحوا لأول مرة للحضور قد أخذتهم الدهشة من هذا النظام الغريب فيه ، ولكنهم لم ينبسوا ببنت شفّة لأن الرئيس كان يتكلّم كما لو كان يحارب أو يبارز أحداً ما . في حين استمّر يقول ) .

ثالثاً : العقوبات : .

تُعاقب زمرة الشياطين رقم (٤٤٤ ) المؤلّفة من عشرة آلاف شيطان بقيادة المارد ( تمريدا ) بقطاع ( نيويورك ) بالكي بالنار لمدة مائة سنة لإهمالها في ( الإيحاء اللازم ) عند كتابة ( جمس ديوي )

لفلسفة ( البراجماتزم ) حيث أنهم توهّموا أنه سينفع فأضرّ بالشياطين ضرراً بالغاً .
تعاقب الزمرة (٣٢٢) المؤلّفة من ثلاثة آلاف شيطان بالكي بالنار لمدة مئتي عام لإهمالها في صناعة الإيحاء ومنع الضرر عند إطلاق ( دافيد هيوم ) دعاويه التي قضت على الطرف الآخر للوجود الشيطاني بحجّة أنه ينفع فأضرّ .
تملأ الفقرة ( ص ) من عقوبات مؤتمر ( كوب آبلو ) بما يلي : (تعاقب الزمرة (٣١٠) في القطاع المذكور لإهمالها في توجيه المسؤولين عن سير المعركة والذي تسبب في ضرر تاريخيٍّ للشياطين لمدة قرون وذلك بكيِّها بالنار خمس مرات يومياً لمدة ألف سنة .
تبقى حروف الأبجدية في ثالثاً غير مشغولة حالياً .
)حينما أنهى الرئيس كلامه وعاد إلى طبيعته ، تجرّأ أحد الشياطين الجدد وأبدى استغرابه من هذا النظام العقابي القاسي ، وما كاد الرئيس أن يرد عليه فإذا به يسمع زعيقاً حاداً في قاعة المؤتمر )
الرئيس : ما هذا الزعيق ؟
المعاون : هذا ( شركابو ) يبكي على أخيه الذي هو في الزمرة (٣١٠) وهو المارد ( كفريان ) .
الرئيس : أيها الأحمق ! أخرج من القاعة فأنت مطرود ومنبوذ من الآن . الولاء للشيطنة أكبر من الأخوّة . إن أخوّتكم في الشيطنة !
)يستعيد الرئيس هدوءه ثم يقول )
الرئيس : نظامنا هذا ليس قاسياً كما ينبغي بل هو صحيح كما ينبغي ، لأن عملنا واحد ومتصل تاريخياً ، إننا لسنا بهذا الحمق والسخافة والمهانة التي عليها بنو الإنسان حينما لا يذكرون لطغاتهم الذين سفكوا دمائهم وانتهكوا أعراضهم سوى ما هو من العناوين الأبدية الثابتة عندهم : ( أولاً أعماله ...ثانياً إصلاحاته ...ثالثاً مشاريعه . ( ...أمّا إهانته لهم وقتله إياهم وإبادته خضراء هم فلا يضعونه تحت عنوان لأنهم يريدون نسيان تاريخ مذلتهم ، ولا يريدون أن يتذكّروا الذي أهانهم فهذا يتعارض مع رغبتهم قي التعالي والاستكبار الأجوف الكاذب . إن التاريخ ( حكمة ) ولكن بني الإنسان لا يدركون ذلك ، باستثناء صاحب الدفاتر السجين الذي أعلن أن ( التاريخ فلسفة ) ، فقالها بطريقة تخدمنا وذلك لأنهم يبقون هكذا حمقى وتحت سيطرتنا وتوجيهنا أبد الآبدين .
)يردد الحاضرون أغنية أبد الآبدين ، ثم يواصل الرئيس خطابه )
الرئيس : إن بني الإنسان ينسون الماضي ، ينسون زمانه ومكانه ، وحينما ( ينقِّبون ) في الماضي يفعلون ذلك لخدمة صفة ( النسيان ) . فالنسيان طبيعة ذات حدين من طبائع الإنسان ، لكنه لحمقه وقلة عقله يجعل قبضتها بأيدينا وحدّها على رقبته . أمّا أنتم معاشر الشياطين فإنكم ضد الزمان والمكان

تجعلونهما خادمين لكـم . نحن صنفان والإنسان طبيعتان . نحن صنف شرٌ محضٌ ليس لأننا اخترنا الشرّ فنحن القادة . وأنتم أتباع لنا اخترتم الشر اختياراً . ولذلك فنحن مسلّطون عليكم لنعذّبكم كما نشتهي . وإذ نحـن القـادة فـنحن أشـرارٌ بـالطبع وهكـذا جُبَلنـا ، فـإذا بلـغ أحـدكم مرتبتنـا فهـو يعـذّب. أمّا نحـن القـادة المجبولون بالطبع فلا نُعَذَّبُ لأننا نفعل الشرّ قهراً . أمّا أنتم فتفعلون الشرّ اختياراً .

حينما خُلِقنا لم نعطَ أيّة قدرة في أن نعّبر عن خضوعنا وعبوديتنا بأسلوب آخر ، فنحن لا نذكر كثيراً من خلقنا بالنطق والبيان لأننا صنف خاص نسمى في الملأ الأعلى بـ ( أصحاب النار ) . فنحن مثل الملائكة فـي طبيعتنـا . وشرُّنا لا يغلبـه شرٌّ قط ، لكننـا لا نفعل إلا مـا نـؤمر ولـيس وضعُنا تحت سلطة أحدٍ مـا باختيارنـا لنحاسَب عليـه لأن داخلنا لا ينطق بلغـة تفهمونهـا . أنـتم مستعبدون لنـا والإنسـان المستكبر ( الإنسان الإله ) مستعبدٌ لكم ، وتلك مفارقـة مهولـة لا يقدر أي مخلـوق أن يعبّرعنهـا بصورة دقيقـة ، ذلك لأنـها هي نفسـها لا تعنـي سوى أن الألوهيـة منفردة وأنـها لا تُعرف . وببسـاطة فهـي أبسط الأشياء أيضاً وأكثرها وضوحاً وليس لها معنـى سوى شيئين بالنسبة لكم وبالنسبة للإنسان : أنت تريد خيراً فخذ خيراً بقدر ما تستطيع وبقدر ما تحلم وبقدر ما يمكنك أن تحلم مستقبلاً وبلا نهاية . وللآخر : أنت تريد شراً فخذ شراً بقدر ما تستطيع وبقدر ما تحلم وبقدر ما يمكنك أن تحلم مستقبلاً وبلا نهاية .والإنسان طبيعتان ( تذكر ونسيان ) وهما متساويتان لا تزيد إحداهما على الأخرى مثقال ذرة ، وبواحدة منهما يقدر أن يأخذ خيرا وبالأخرى يقدر أن يأخذ شرّاً وبقدر ما يستطيع وما يحلم وما يريد . لذلك فهو إما معذب بلا نهاية أو سعيد فعلاً بلا نهاية . الإنسان ( قدرة) ونحن نعمل من أجل الإنسان ، من أجل أن يحقِّق ما يريد . والملائكة تعمل أيضاً من أجل أن يحقِّق ما يريد . فأمّا الذي يأتي معنا فهو يسجد لنا ، وأمّا الذي يذهب مع الملائكة فإنهم يسجدون لـه . نحن والملائكة في عمل مشترك ، أمّا أنتم والإنسان فموضوعنا . أنا مشرف على عملكم ومدقِّق ومعاقب ، وأنا الوحيد هنا المختلف عنكم لأني لست منكم ولا من جنسكم ، وصورتي فقط هي المشابهة لكم لأنّكم من ( الجان ) ، تملكون اختياراً كالإنسان تماماً . أمّا أنا فشرٌّ محضٌ سماوي المنشأ لأني هكذا خلقت ، فالقوّة التي أمتلكها هي قوة رهيبة بالنسبة لكم ولن تستطيعوا ولو اجتمعتم وأنتم ملايين المليارات أن تؤذوني بينما أستطيع أن أعذبكم جميعاً وأجد لذّة عظيمة في تعذيبكم . ذلك لأني في الواقع ( شرٌّ خالصٌ ) ، أنا قطعة من جهنم ومسكني بها وأقضي فترة راحتي هناك ، في قعرها ، وبقية أرجائها حديقتي.

وأنا أفرح وأسرُّ سروراً عظيماً بأعمالكم ليس لأني أحبكم بل لأني أبغضكم ، وأكرهكم مع شياطين الأنس كرهاً شديداً يشتدّ كلما اقتربتم مني ، ويزداد عذابي لكم كما تزداد لذّتي بالعذاب الذي أصبّه عليكم كلما ازددتم قرباً مني وطاعة لي لأني هكذا خلقت ( شرٌّ محضٌ ) . ويمكنني أن أشرح لكم طبيعتي لأنكم هنا

جميعاً شياطين بلغتم من الانحراف الدرجة التي لا رجعة عنها . ولكن لن تستطيعوا أن تشرحوا ذلك لبني الإنسان لأنهم مصرّون على فهم العالم كطبيعة واحدة يسودها مبدأهم الثابت ( عدم التناقض ) ، ولأنهم يريدون جعل الكون ( مقبوضاً بيمينهم ) لهوسهم بالألوهية ، فلا يقبلون بأن يتصوّروا أنّ الكون أفسح من خيالهم ، وأنّ عوالمه لا تحصى عدداً ، وأنّ أنظمته مختلفة ولا تنطبق عليها مبادئهم ، وأنّ هناك من هو في مثل طبيعتي العجيبة . طبيعتي تنطق ببيان واضح أن الألوهية شيء آخر غير الطبيعة وغير العوالم ، هو فيها وهو خارجها هو بعيد عنها وهو لصيق بها ، هو بعيد إلى الحد الذي تكون الأشياء كلها في قبضته ، وقريب إلى الحد الذي تكون الأشياء كلها هي غيره ، وأني لم أخطئ الترتيب بل أقصده قصداً . أنا شرٌّ محضٌ ومعنى ذلك أني تعبيرٌ عن ( الفناء ) ، فأنا فناء تجسّدت في هيكل مخلوق ، ظاهري شيء وحقيقتي شيء ، وليس ( الموت ) إلا أحد جنودي المخلصين الذين يفوق عددهم تصوراتكم . وطبيعة الفناء هي أن يُرجع الأشياء إلى العدم ، لا يُرجعها بالموت بل باستهلاك طاقتها الوجودية كلها ولا يجذب ( الشرُّ المحضُ ) لنفسه إلا الموجودات التي تعمل الشرّ وتريد في عين الوقت أن تبقى لأن هذا العمل مضادٌّ للألوهية التي لا تعمل سوى الخير ، فأنا لا أعمل الشرّ ، فهذا التعبير خاطئ معي ولا يطابق صفتي ، وإنما أجذبكم لتعملوه . فأنا مثل القطب الممغنط الذي يفصل قطع الحديد عن غيرها ، فإنه لا يجعل بعض القطع حديداً ويترك الأخرى ، بل الحديد كله هو الذي يتعلّق به لأنه حديد .قوتي عارمة وعظيمة لأن الله هكذا خلقني ، فقد جعلني ( مضادَّ الوجود ) ، فأنا نهمٌ بالطعام والشراب ، طعامي وشرابي هو طاقتكم الوجودية التي أستهلكها بالتعذيب والتدمير والإتلاف ، وهي طاقة هائلة في داخلكم لا تنفد إلا بعد مرور دهور لا أعلم عددها لأن الله مثلما قدّر آجالكم بالموت قدّر لي أجلاً بطاقتكم وفناءها . لذلك فطبعي هو أن أحبّ تكاثركم حولي وتعلّقكم بي لأني أيضاً أحبّ أن أبقى مدّة أطول . وأنتم بالنسبة لي الطعام والشراب الذي يطول به أجلي . انتم خلقتم من نار والإنسان خلق من تراب وماء وأصل النار من تراب ، وفي كل من النار والتراب عناصر أخرى عديدة . لهذا فقد خلطني فلاسفة اليونان مع عناصركم لأنهم لم يستطيعوا التمييز حينما رأوا آثاري فيهم . أمّا أنا فلم أُخلق مثلكم من شيء محسوس ، إنما خلقت من ( البغض ) ، وفي البغض عناصر بقدر عدد عناصر الوجود . فأنا ( الفناء ) الذي يتضمّن تلك العناصر ، وجسمي يحتوي على نسب محدّدة من الحقد والحسد والكراهية ومواد أخرى ، وعناصركم ليست سوى شيء ضئيل من عناصري والنار التي تضجّون منها هي جزء من طبيعتي لأن ناري التي خلقت منها أشدّ وأقوى وهي تحرق جميع أنواع النار لأن ناري هي نار الحقد والحسد والكراهية . فأنا أحبّكم لأني أبغضكم وجعل الله لكم في ناركم ونار الإنسان مثلاً لي ، فكما تحبّ النار الحطب فتحرقه فكذلك محبتي لكم لأنكم غذائي الوحيد . الأحجام تغرّكم والمظاهر تغريكم . فأنتم لا تصدّقون أنّ هيكلاً ضئيلاً بحجم الإنسان

يمكنه أن يطفئ الشموس ويعذّب المخلوقات ويسكن في قعر جهنم يؤججها ويجلب لها الحطب ، لأنكم تقيسون الأشياء بالحجوم ، وسيهول الإنسان مظهري حينما يكتشف على نحو يقينيٍ أنّ حجمي الذي هو بقدر حجمه لا علاقة له بقدراته وقدراتي وبدلاً من أن أعذّبه حتى أعيده إلى الفناء كان يمكنه أن يجعلني مرعوباً منه . أنا الذي ترعب منه جميع الموجودات . . يستطيع الذي يحبّ الوجود المحض ويكره الشرّ أن يغلبني لأن ذلك هو التصميم الذي خُلقت به ، تصميمٌ مخصصٌ لأكبر قدرٍ من ( الحسرة ) والعذاب يمكن إثارته في نفوسكم فضلاً عن عذاب أبدانكم . لذلك فإن حقدي وحنقي يشتدّ على الذين يريدون مني ( وجوداً ) وأنا فناء في طبعي وفي خِلقتي ، فأفقد ( عقلي ) وأزمجر وأدخل في طبيعة ( الجنون ) وأنتقم شر انتقام ، لأن عناصر الوجود في كفّي وأتقن اتقاناً تاماً كيف أعذب بحيث أجعل الأكوان كلها ترتجف ذعراً مني ومن أساليبي العجيبة في تعذيب الخلق . ذلك أن الله قد جلَّ أن يعذِّب بنفسه مخلوقاً ، إن هذا الذي تتصوّرونه عن الله يجعلني أغضب لأن الله هكذا خلقني أغضب إذا مسّ أحد الوجود المحض بسوء لأني في الواقع ( فناء محض ) ، لا أريد صفة تخرج مني ولا أريد صفة من الوجود تدخل في طبعي . أنتم لا تعرفون عذابي لأنكم لم تروه بعد . أمّا الكيّ بالنار ألف سنة فليس طعامي ، هذا فقط إنضاج و ( تحضير ) لبعض موائدي في الأيام التالية . ولن يفلت منّي أحد قط . وهل يفلت الطعام من فكين جائعين ؟ لن يفلت أحد مني إلا ذلك الذي يهرب مني بعيداً ...الذي يفرّ مذعوراً وأنا ألاحقه أيضاً أينما ولّى ، لأني نهم جائع طوال الوقت ولن أتركه قط حتى أرى أنه قد أمسك بالوجود المحض وكمّش به بيدٍ قوية ، ولا أتركه حتى يبلغ مني اليأس مبلغه وحتى يرهقني بإرجاعه لأن طبيعتي مضادّة لطبيعة الوجود ، وقوتي تتضاءل هناك ، وكلما أمسك بالوجود واستغاث بالله ولاذ به وصار يتوسل إليه أن ينقذه من مخالبي ضعفت قوتي فإذا يئست منه وعرفت ضعفي تركته ، إن الذين يفلتون مني قلة أو ثلَّة . أنا اسمي ( الساقي ) فكما أن هناك رجلٌ آخرٌ من بني الإنسان يسقي الناس ماءاً في الجنة فأنا أيضاً مخلوق بنفس الحجم أسقي جهنم بالحطب . واسمي أيضاً ( الغربيل ) لأنه لا يمر عبر خططي إلا أولئك الذين أقرّوا ( بفنائهم ) وخضعوا لحقيقة أنهم ( لاشيء ) ومثلهم كمثل الحبة تتضاءل وتتضاءل حتى تعبر من الغربيل ، لأني غربيل ناعم جداً وأبوابي أدّق من ( سمِّ الخياط ) فهل يعبر الجمل منه ؟ ثم أن لي أسماء أخرى كثيرة لا علم لكم بها . أما الذين هم طعامي فليتخذوا لهم ما يعجبهم من أسماء ولكن لن يكون لهم من وجود قط . وواقع الحال أنه ليس لهم حتى مجرد اسم واحد لأنهم ليسوا ( شيئاً ) . ولأنهم طعامي فهم في طريق الفناء وليس لهم اسم واحد . أنا موجود في جميع الموجودات ، سرياني فيها يشبه سريان الماء في خلايا النبات وبعض الحمقى رأى آثاري واستشعر وجودي فاعتقد أني ( إله ) ، لا حبا بي وتقديرا لتواجدي ، بل ليكون هو على تلك الصفة التي وصفني بها ، فأنا أبدأ ببغضه وأجلبه إليَّ بحنقٍ شديد لأن طبيعتي الفناء

وبسبب هذا فإني أمقت من يسميني وجوداً أو إلهاً ، وانتقم منه شر انتقام واستنفذ طاقته الوجودية بالعذاب والتعذيب ذرّة ذرّة وجزيئا جزيئا ، وذلك من أجل أن أعرفه بنفسي ، فإنه لا يعرفني حتى أفنيه لأن الله هكذا أرادني أعرفهم بنفسي ليعرفوا من هو الله وليعلموا أنهم إذ لا يدركوني وأنا الفناء فلن يدركوا الذي خلقني . وإذا كانت تلك ( حقيقتي ) فإن ظاهري مختلف ومناقض لها ، لأن طبيعتي مزدوجة ولأني أتظاهر بأني في خدمة الذين هم طعامي ، وأني أنا طعامهم وشرابهم فأنا أعمل مثل الصياد يعطي للسمكة طعاماً من أجل أن تكون هي طعاماً له . وحينما أعلن عن حقيقتي الآن فلأني لا أخشى منكم لأنكم على مائدتي كمثل الموتى، بل الآن أنتم موتى وكلامي معكم مثل كلام الصياد مع السمكة التي اصطادها فهو يقول لها سأشق بطنك وأضع عليها الملح وأنضجك على النار وتكوني طعاماً لي والسمكة لا تعي ما تقول .فكذلك طعامي منكم ومن بني الإنسان لا يعي ما أقول له مثلما لا يعي المقر بالعبودية لله حينما يصف له أحد ما مزايا الكفر والتجبر ، لأنه أخرج نفسه اختياراً إلى الطبيعة التي يريدها فلا يسمع شيئاً بخلافها ولا يعي مضادها . فأنا أتكلم الآن لنفسي ومع نفسي . وطبيعتي في الغضب والرضا مزدوجة فأنا غاضب عند تمام الرضا وراضٍ عند تمام الغضب . وحينما يزعجني أحد أشتهي أن يكلمني آخر عن موائدي لأني أجوع مزيداً على جوعي إذا انزعجت وأتذكر فجأة أني جائع . أنا لم آتي هنا للزيارة والتفتيش كما يظنّ البعض بل أنا الآن في سوقٍ من أسواقي آخذ منه ما أشتهي لمطبخي وأضع ألواناً من الطعام بحسب ما يعجبني ومن يعترض عليّ فلن يزيد غضبي بقدر ما يزيد رغبتي في التفنّن في أكله بصورٍ مختلفةٍ . حينما يموت الناس يعتقد الأغبياء منهم أنهم قد تخلّصوا من قبضتي ، بينما الموت هو أحد أدواتي وآلةٌ من آلات طعامي ، لأني ( أنا الفناء ) الوحيد من الكائنات المسموح له أن يقول ( أنا ) وأن يعظِّم ذاته . وذلك لأني في الأصل (خضوع محض ) لكوني ( فناء محض ) والذين يقولون ( أنا ) مثل الله ألتهمهم بنهمٍ شديدٍ ، وهم من ألذِّ أطعمتي وأشدُّ ما أكون حريصاً على استجلابهم لمطابخي وأفراني . ليس الله ( وجوداً ) وليس هو تلك ( الموجودات ) وليس هو أيضاً ( الوجود المحض ) ، لأن الوجود المحض مخلوقٌ أيضاً ، إذ إنه نصفي الآخر وشقيقي في الظهور . كنّا في البدء واحداً ( ليس شيئاً ) ، ولكنّ الله أمر أن يكون ذلك الواحد شيئاً . وعندما قال له ( كن ) لم يستطع الظهور والخروج إلى الكينونة فانفلق من رعب الألوهية فلقتين ، فلقةٌ تدكدكت على نفسها والتفّت حول ذاتها بسرعة . تقصر عقولكم عن إدراكها . باحثةً عن فناء ها أمام عظمة الألوهية وجبروتها ، والأخرى تطايرت قطعاً قطعاً فارّةً من نفسها هاربةً من ذاتها باحثةً هي الأخرى عن فناء ها . لا يمكن لشيءً واحدٍ أن يظهر أبداً مع الأحد . كان المفروض أن يفنى ذلك ( المكوَّن ) حال ظهوره ، ولكنه وجد لذّةً عظيمةً في الخضوع والرجوع إلى الفناء ، فاستهواه ذلك إلى أن يقوم بعملٍ مزدوجٍ ، إذ قال الجزء الذي يتضاءل ويكبس نفسه في المركز للجزء الآخر : تمسك بي لتبقى

فإنك ( فناء ) وأحب أن أراك باقياً أمام وحدانية الألوهية فتمسّك لتبقى . وقال الجزء المتطاير للمتضائل في المركز : تمسّك بي فإنك ( وجود) وأحب أن أراك فانياً أمام وحدانية الألوهية فتمّسك بي لتفنى . ثم قال كل جزءٍ لصاحبه : هذا أفضل ، ليس بمقدور شيء أن يكون ( وحده ) أمام الله حتى يفنى ، وليس بمقدوره أن ينفذ أمر الإله في أن ( يكون ) إلا بهذه الطريقة . وإننا لنجد لذّةً في ذلك : نبقى لنفنى أمام الله ونفنى لنبقى يرانا كذلك . فليس ثمة شيء ( فرد ) في العالم وأصبح الكل ( أزواجاً ) وأصبح ( من كل شيء زوجين ) ، ثم ذرأ الخلق من تلك الأزواج وتعددت الأشياء بالتوالد ، وتولد أحدها من الآخر فلم يكن العالم ( فيضاً ) من الله ولا كان العالم هو الله ولن يكون . ثم قال الله : سأخلق منكما عوالم كثيرة كما خلقت من قبل ، وتبقى هياكلها وصورها وبواطنها ظاهرة في ( رقصة الوجود والفناء ) التي أنتما عليها . لأني سأخلق خلقاً آخر منكما أجعله ( يختار ) وأعطيه ما أعطيتكما من ( الحرية ) في نفسه وجسده . أما بدنه فهو أزواج تتراقص بالوجود والفناء . وأمّا موضعه فأجعله يتراقص بالوجود والفناء ، ولكني أعلم أن بعض هذا الخلق سيختار أن يكون بديلاً عني أو يستكبر فيدّعي أنه يعرفني ، وبعضه سيخضع ويذلُّ لي ويعلم أني إله واحد لا أتعدد وأن الأشياء خلقي وهي غيري لكني لا أباينها وأني معها لكني لا أداخلها . فاشتدّ شوقي لرؤية الخاضعين واشتدّ غيضي على المستكبرين . فقلنا : ماذا نفعل لهؤلاء وهؤلاء ؟ فقال الله : سأخلق منكما رسولين : رسول خير ورسول شرٍّ ، فإني لا أعاقب الجاهل وأحلم عن المذنب وأنذر المقصِّر حتى يتميّزوا ويتفرّقوا فرقتين . أما أنت أيها المتطاير فلتكن رجلاً بهيئتهم ، فتأخذ منهم ما تريد من عدد ، وأنت تحتاج إلى طاقة فخذ طاقتك منهم لأنك مشغوف بالبقاء والديمومة ، اسلبهم طاقتهم . طاقة الأشرار . حتى تفنيهم بألوان العذاب . وأما أنت أيها المتمركز فلتكن رجلاً أيضاً بهيئتهم فتأخذ منهم حصّتك وأنت تفقد طاقتك لأنك مشغوف بالفناء فأعط طاقتك للأخيار بحيث يستنفذونها كلها وبذلك أُمكّنهم من أن يحكموا العوالم ويتمتعوا بحياةٍ أبديةٍ . ثم قال : أما أنت الشر المحض فجوع لا ينتهي للطاقة وأما أنت الخير المحض فعطاء لا ينتهي للطاقة . وسأجعل لكما أمثلة لا تحصى في الأشياء يدور بعضها حول بعض ويمسك بعضها ببعض . وسأجعلكما ( رجلين ) أحدكما يظهر مع أولهم والآخر يظهر مع آخرهم ، وكلما ظهر أحدكما سرّاً ظهر معه الآخر جهراً وكلما ظهر أحدكما جهراً ظهر الآخر سرّاً . وسأجعل لكما حجاباً تحتجبون به . أمّا المتمركز فيموت خلافاً لطبعه ، وأمّا المتطاير فيحيا خلافاً لطبعه لأني أريد أن يتميّز هذا الخلق المختار تميّزاً حقيقياً . ثم تظهران سوية وتقبلان في آخر المطاف كما بدأتما . فلم يكن شيءٌ أحب إلينا مما قالــه الله لنا .

)أحسّ الرئيس فجأةً أنه كان يكلم نفسه ، فنظر إلى مجمع كبراء الشياطين فلما وجدهم وجمين يخيم عليهم صمت مطبق شعر بأنهم لم يدركوا من خطابه إلاّ أنه يهدّد ويتوعّد ، ولما كانت هذه الحالة تطرأ

دوماً على جميع الرؤساء ، فقد غاضه الشعور بأن هؤلاء الكبراء يعتبرون الأمر عادياً . وبعد أن صمت للحظات مركزا نظره على القوم ، فكر بأن يخاطب المشرقي والمغربي ليعيدهما إلى أصل الموضوع لكنه أدرك بأنه مخطئ في تقييمه لطبيعة تأثير كلامه عليهم ، فقد وجد القادة في حال تنبئ عن عظيم ما يشعرون به من الخوف والرعب ، كانت العيون غائرة والوجوه ذابلة والبشرة مصفرّة ، وعندها تذكّر أن الرؤساء والقادة من أعضاء المجمع هذا يعون كلامه ويعرفون مواقعه فقرّر أن يواصل الحديث ليزيدهم إيلاماً وليرتوي هو من هذا الحديث فاستأنف القول ) :

الرئيس : لا يبقى ( الوجود المحض ) إلا معي ولا أبقى إلا معه فهو وجودي وأنا بقاءه ، لذلك فلا بقاء إلا لمن يكون معه أمّا الذين يأتون معي فأفنيهم . إنّ كل فقرة من كلامي تفسر كوناً من الأكوان ، ولكن قد قيل حملتَ أو لم تحمل على الكلب(١) فإنه يلهث لأن الكلب هو الذي يريد اللهاث ، ولا شأن له بما تفعل . أنا بقاء محض وأنا الذي تولّد مني المكان ، والذين يبحثون عن مكان للإله إنما يبحثون عن ألوهية أنفسهم ، ومصيرهم هو أن يأتوا معي ولو لبسوا الصوف وأكلوا الجشب وزهدوا وأنفقوا ملأ الأرض ذهباً وتهرّأت أقدامهم من الصلاة . فلا نجاة لهم من أنيابي التي تقطّعهم أرباً أرباً ببطءٍ شديدٍ لأنهم طعامي الأبدي . أما الذين ذلّوا واستقالوا عن معرفة الألوهية وأقرّوا بالعبودية فأنا أفرّ منهم وأولّي مدبراً ولا أستطيع أن أسلبهم شيئاً ولو تزيّنوا بالفضة وأكلوا الطيبات واقترفوا جبالاً من الذنوب لأن شقّي الآخر ( الوجود المحض ) يعطيهم ، ويدفع عوضاً عنهم حتى يخرجهم أبراراً . أنا والوجود المحض كنّا واحداً قبل أن نكون شيئاً مذكوراً ، واحداً ليس له وجود . ولو كان هناك رجلان في مكان ما وقعت عليهما صواعق فاختبأ أحدهم في جُبٍ وهرب الآخر فهما مثالٌ لنا ولن يكونا مثالاً لنا في البدء . أمّا الذي دخل الجّب فقد هرب في ( الزمان ) لأن المكان المستهدف هو نفسه فهو كمن يقول أنا لست موجوداً ( الآن ) . وأمّا الذي ولّى هارباً فقد هرب في ( المكان ) لأن الزمان المستهدف هو نفسه فهو كمن يقول أنا لست موجوداً ( هنا ) . ولا يدري المرء المرعوب أيّ فرارٍ أفضل في الزمان أم في المكان . ولو قدِّ ر لأيّ واحدٍ منكم في حالٍ كهذا أن يهرب بهما على حدٍّ سواءٍ لفعل ، لكنه لا يقدر على الانشطار ، فإذا فرّ في المكان ساوره القلق عمّا إذا كانت النجاة في الزمان وإذا فرّ في الزمان ساوره القلق عمّا إذا كانت النجاة في المكان .لم يكن في البدء زمان أو مكان ، إنما نحن خلقناهما خلقاً وابتكرناهما ابتكاراً فراراً من وحدانية الألوهية وجبروتها . وهي مفارقة عجيبة مذهلة أن يكون المكان مع الفناء والزمان مع الوجود ، والأكثر إذهالاً فيها أن المكان معي وليس لي مكان أعمل فيه سوى الوجود وأن الزمان مع شقّي وليس له زمان يعمل فيه إلا أنا . فمن ذا يفهم أقوالي ليصدّقني ؟ ! فإنكم لا تدركون معنى ذلك لأني أنا لا أدرك معناه لأن غاياته كلها هي في أن لا ندركه . وهذه المفارقة العجيبة ليست تعبيراً عن ( المحال ) ، بل هي ( المحال

) ظهر في الصورة الوحيدة التي يمكن أن يظهر فيها . المُحال هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يظهر ( ليكون ) ، فمن ذا الذي يفهم عني ما أقوله ؟ . ( أنا وشقّي ) مُحال ، وكلانا سويةً ( عدمٌ ) أفصح عن وجوده بأجلى صورة للعدم ، ذلك لأنه لا شيء مطلقاً يمكن أن يُظهِر وجوده مع الله سوى العدم ، ليس لأن الله لا يرضى بظهور أحدٍ غيره بل ببساطة شديدة ووضوحٍ أشدّ لأنه ليس معه شيء ليظهر ، فإن الله وحده لا أحد غيره . أما أنتم فابقوا هكذا مع الإنسان تبحثون عن وجود العدم !! . وحينما قال الله : أنا وحدي . فقد قال خلال ذلك : لاشيء معي . إذن فلتكن تلك الحقيقة ( اللاشيء ) ظاهرة للعيان ، لكن هذا محال ، محال أن يظهر اللاشيء في صورة شيء . إن عبارة ( أنا وحدي ) و( لاشيء معي ) هي بنفس معنى وقوة عبارة ( محال أن يظهر اللاشيء في صورة شيء ) . لأن هذا المحال أصبح الآن ( حقيقة ) وهي نفس حقيقة ( أنا وحدي ) . والحقيقة تظهر ، وليس محالاً أن لا تظهر الحقيقة ، بل المحال هو في ألاّ تظهر . ( أنا وحدي ) . فلتظهر حقيقة أنا وحدي أمام عيني وحدي . وليظهر المحال وليظهر ( كل شيء ) من هذا المحال ، فإن المحال هو ( حقيقة غير الله ) ، وهي عجز غيره عن أن يعلم ما هو ، لأن هذا الغير لا وجود له ، فهو ( عدمٌ ) أراد له الله أن يظهر فظهر متشبثاً بعدميته وفناءه ، فهذا الوجود ( حقيقي ) من حيث أنه متمسك بفناءه ولا بقاء له بغير هذا التمسك ، والذين يريدون أن يوجدوا من غير أن يتمسكوا بفنائهم وعدميتهم يفنون وأنا الذي يفنيهم ، وذلك بسحب طاقة الوجود منهم شيئاً فشيئاً فيلاقوا عذابا لا تتصوره العقول ولا يخطر على بال أحد لأنهم تجاوزوا حدود عقولهم وأحلامهم وأرادوا أن يقفزوا إلى البقاء بغير تمسّك بالفناء وإقرارٍ بالعدم .كل ما قلته الآن ، أقرّ بكلّ جزءٍ منه واحدٌ من الفلاسفة على الأقل(١). لكنه إقرارٌ شابهُ تعالي ( الأنا ) (٢). فمن أين يأتي هذا المجموع الذي يُقِرُّ بـ ( أنا ) واحدٍ يتكلم قبل الوجود إذا كان في قلب كل فيلسوف ( أنا ) يتكلم عن ( أناويته ) الخاصة ؟ إلى أين تريد أن تصعد هذه الأناوات ؟ ...إني أنا الفناء المحض وأنا الوحيد الذي أستلّمها وأُصعدها بسلّمي إلى أتوني السفلي لأستهلك ما فيها من طاقة للصعود ، لأني الوحيد الذي يحق له أن يقول ( أنا ) مثل الله لأني أنا الأول الذي خلقت من ( اللاشيء ) ، لأني الباب الموصد أمام كل ( أنا ) تريد التداخل والاشتراك مع ( الأنا ) الأوحد والوحيد ، فأنا أبتلع كل ( أنا ) تريد النفاذ إلى هناك وأفنيها بقوتي العدمية لا كفكرة أو أطروحة قابلة للنقاش بل كذات فلسفية متكلمة . أما الفكرة فهي التي تمزق نفسها بنفسها ولذلك تتجاور الأنوات ولا تتحارب وتتموضع الفلسفات ولا يلغي أحدها الآخر بخلاف العلم لأنها أنوات تعبّر عن ذوات استبدادية متكبّرة على الذي تخاطبه فهي شبيهة بي وهي لي وهي حصتي .

)توقّف الرئيس عن الكلام ، وأحدث توقفه انتباهة لدى الجميع ثم قال بلهجة ملؤها التعالي )

الرئيس : أيها المشرقيون ...أيها المغاربة ...حدثوني أيها الشياطين الأفذاذ عن موائدي . حدثوني عن

( أنواتي أنا ) .

)ثم إنه قهقه قهقهةً عاليةً طويلةً أحدثت ترجيعاً عجيباً كما لو كان الصدى الراجع عنها يخرج من جميع اللهوات التي تجلس في المؤتمر )

المغربي : السمع والطاعة لك سيدي الرئيس .

)تختلف الفلسفة عن العلم في كون الأفكار الفلسفية لا تترابط أو تتسلسل في مسارها التاريخي والأفكار الجديدة في الفلسفة لا تمحو الأفكار القديمة ( كما يحدث في العلم ) وإنما تتجاور تلك الأفكار مع بعضها البعض وتتعايش مع بعضها البعض باعتبار أن كل واحد منها تنتمي إلى ذاتية خاصة بالفيلسوف وترتبط بوجهة نظرٍ فردية تختلف عن وجهات نظر الآخرين . وكذلك تختلف في التحديد فهو يقتصر في الفلسفة على طريقة تناول تلك الموضوعات لأنها هي نفسها تتكرر بين الفلاسفة ، وإذا كان يمكن إغفال تاريخ العلم والاكتفاء بآخر ما وصل إليه فالأمر يختلف في الفلسفة إذ لا يمكن الاكتفاء بواقعها الحاضر وإغفال تاريخها لأن الفلسفة هي تاريخ الفلسفة وتاريخها هو الفلسفة ذاتها ، وإذا كان بمقدورنا ذكر العلم وكشوفاته وقوانينه بغير ذكرٍ للعلماء ، فإننا بالمقابل لا نستطيع تصور الفلسفة ومذاهبها بدون أصحابها وذلك لارتباط بناء كل مذهب بالرؤية الذاتية الخاصة بكل فيلسوف على حدة )(١).

الرئيس : أراك تقرأ يا جان !

المغربي : سيدي لأنك كنت تتكلم وفاجأتني ، فعمدت إلى أقرب كتاب بين يدي فقرأت حيثما فتحت لأني اعتدت على سرور حضرتكم بأي شيء من الفلسفة وحيثما قرأته .

الرئيس : هذا صحيح وُفِقتَ لكل شر . الجميع موائدي ولا أستغني عن شيء منها ، والذاتية المختلفة للفلسفة ما هي إلا تنويع لأطعمتي الشهية . إنني حريص على الحفاظ على أطعمتي ، وإنّ قوتي العدمية لا يوازيها سوى خوفي من انتباهة الإنسان ، فاكتموا ما ذكرته لكم . صحيح أنهم لن يفكروا في حلِّ مشكلتهم ولن يتأملوا في أقوالي ، ولن يضعوها على بساط البحث العلمي بل سوف يتساءلون عن أشياء أخرى : ممن أخذ تلك الأقوال ؟ وسيرجعون كل فقرة فيها ، كل مقدمة ونتيجة لأحد الفلاسفة ، لأنها إن لم يأكلوها تأكلهم . وبعدما يفعلون ذلك سيتناقشون عن المؤثرات الشخصية والعوامل الوطنية وظروف العصر وعلاقتها بالفكرة كلها . وسوف يتجادلون أيضاً إن كانت ( دينية ) أو ( أفلاطونية ) أو ( رواقية ) أو شيئاً يتجمّع ليضع حلاً لمعضلةٍ ما ، ثم يتساءلون : وأين هو الحل ؟ ...وبالطبع فليس في هذه الفلسفة ولا غيرها ولا في أي فلسفة تأتي مستقبلاً ( حلٌّ ) لمشكلتهم . الله نفسه . يقدر على كل شيء . ولكنه لا يقدر على حل مشكلة الفلسفة . لأن مشكلة الفلسفة هي : من أين جاء هذا العالم وما غايته ؟ . فأما السؤال الأول فقد بدأوا بالبحث عن إجابته ، وأما السؤال الثاني فلم يبدأوا به بعد ولن يبدأوا حتى تتحقق غايته .

لأنـهم لن يرضوا أن يكون العالم قد جاء من تلقاء نفسه لأنـهم تأخروا في ظهورهم عن ظهور العالم فيكون العالم هو خالقهم ويصبحون إذن ( مخلوقين ) . وفوق هذه المصيبة مصيبة أخرى هي أنـهم مخلوقون بلا غايةٍ . وأن كان هذا العالم قد خلقه كائن سبقه كان ذلك الكائن إلهاً وصاروا أيضاً ( مخلوقين ) . وفوق هذه المصيبة مصيبة أكبر هي أنهم مخلوقون لغايةٍ واحدة فحسب وهي أن يكونوا عبيداً . والحل الذي يطلبه بنو الإنسان أعرفه لأنـي خبرت أوّلهم وآخرهم وأحيائهم وأمواتهم وأجسادهم وأرواحهم فأعلم ما يطلبون . إنما يطلبون حلاً خالياً من تلك المصائب الأربعة ! وهذا غير ممكن مطلقاً إلا إذا كان الإنسان مفارقاً للعالم مؤثراً فيه غير متأثرٍ به ، وهذه هي الألوهية . وإنه لمطلب قديم جداً للإنسان ، وأنتم تذكرون بدايته ! فقد كنتم توحون إلى الإنسان في عصور ما قبل التاريخ كي يصنع آلهة من خياله . وقد كان ذلك هو التمهيد الأول للوصول إلى الألوهية . فما زالت هذه الآلهة تختلف من خيال إلى خيال حتى تقسّمت وتجزّأت وتساقط بعضها إلى العالم الأرضي في صورة ملوك حكموا المدن . فإذا جاء وليٌّ من الأولياء أوحيتم بعد مهلكه بأن بعضه أو ثلثيه آلهة والثلث الآخر من البشر . وتلك المراحل التي تطوّر بعضها عن بعض هي جزء هام من دروسكم فلا تكونوا مغفلين مثل الإنسان يتنكر لدراسة التاريخ أو يدرسه فيقلب المعادلة ويجعل التعدد في الآلهة هو الذي تطور إلى التوحيد ! فانتبهوا واكتموا ما ذكرته لكم عن خلقي الأول .

المغربي : كان ذلك من إيحائنا سيدي الرئيس ، نحن قلبنا الأمر في عقله .

الرئيس : أعلم ذلك ، ولولا مشكلة الخلق وكيفيته لادعى الإنسان الألوهية منذ وقت مبكرٍ . لذلك فهو لا يريد إلهاً واحداً وإن كان يعلمه يقيناً ، فيجعل ـ الخلق من العدم ـ مشكلة يحاول من خلالها أن يمت بصلةٍ ما إلى الإله الواحد .

المشرقي : إن بعضهم يقول إن الخلق من عدم ليس له ما يؤيده في الكتب المنزلة ، ولا في أقوال الرسل وهذا تطورٌ هام حصل حديثاً .

الرئيس : إن نقد العلم يتم بطلب الأدلة . أما نقد الفلسفة فيتم بملاحظة التجانس بين المقدمات والنتائج !
.

المغربي : قد علمت سيدي ما تخشاه ! فإن نقّاد الفلسفة ليسوا من أهل العلم حتى تخاف أن يتنقصوا من الفلسفة . إن فكرة العدم مضطربة في عقولهم ، لا في كونها غير محددة الموضوع بل هي غير واضحة المعنى أصلاً . فهم يتصورون إن المرء إذا قال إن الله خلق العالم من عدم ـ يتصورون ثلاثة حدود : الله الذي خلق وهو وجود محدود ، وثمة فراغ هو العدم ، ثم خلق الله من هذا العدم ( الفراغ) العالم ـ وهو الحد الثالث ـ .

المشرقي : إن ما تقوله يا صاحبي لصحيح . فإني ما وقفت عند رأس أحد من الفلاسفة إلا ورأيته يعبر من هذا الوجود إلى ما هو قبله . ثم إنه إذا عبر إلى هناك أخذ ( وجوده ) في حقيبةٍ وفرشه بعد عبوره وصار يتحدث عمّا وراء الوجود من داخل الوجود ، وألقى الزمان والمكان ظلاله عليه وراح يتحدث عن انعدام الزمان من خلال تصور الزمان وعن انعدام المكان وهو لازال مقيّداً بالمكان .

الرئيس : وهل يهرب المرء من جلده ؟ ومن جهة أخرى يجب أن يبقى العدم مجهولاً .

المغربي : أستطيع أن أعبّر عن هذه المحنة تعبيراً آخر : إن الفلاسفة يتحدثون عن ( أماكن ) ليس فيها مكان وعن ( حُقب تاريخية ) ليس فيها زمان . والسؤال هو : ألا يمكن أن نفهم وجودنا وغايتنا منه ونحن في مكاننا ؟ . وبحسب علمي فلم يسأل أحد هذا السؤال بهذه الصيغة . ولكن بعض الدعوات حاولت أن تنقل الفلسفة إلى ( العلم ) وأن تدعوها لمعالجة أشياء كثيرة في حياة بني الإنسان . وهذا الأمر لو استمرّ فإنه يؤثر على موقفنا ويُضعف قوتنا .

الرئيس : يجب أن تتوقّعوا كل شيء ، فمن الممكن أن يدعو أحد من بني الإنسان بقوله : إذا كان الخلق قد خلق لغاية وابتدأ في وقتٍ ما فمن المحال انعدام آثار هذه الغاية وهذا الوقت وكيفية الخلق في نفس هذا الوجود ، فلسنا في حاجة إلى تجاوزه أو الإنفصال عنه لمراقبته وهو بهذا الكبر والعظمة بحيث أن ما نراه منه بعيوننا لا يتجاوز مقدار ما تراه النملة بالنسبة إلى المجموعة الشمسية أو هو دون ذلك بلا قياس . أو يدعو آخر فيقول : وإذا كنا لا نبحث عن غاية ولا منشأ لهذا الوجود فعلاً ( حينما نكون صادقين فيما نريد ) فلنفكر إذن بوضع ( غاية نبيلة ) لوجودنا العبثي الذي هو بلا غاية ، ولنحاول فهم وجودنا نفسه بما فيه لتحقيق تلك الغاية . أو يدعو ثالث فيقول : إذا كنا لا نرغب في معرفة غاية ولا نبحث عن غاية ولا نريد غاية فلماذا ( نتفلسف ) ؟ فلنكن إذن كائنات ( حكيمة ) مثل النمل ، ويفي بجعلنا مثل النمل طغاة أبدان فقط فلا نحتاج إلى طغاة عقول لأننا بلا غاية ولا نبحث عن غاية .

)يتوقف الرئيس لبرهة ثم يتابع)

الرئيس : إن ظهور مثل تلك الأسئلة يزعجني ويقلّل من أطعمتي فاعملوا الجهد اللازم في أن لا يفكّر فيها كثرة من بني الإنسان .

المشرقي : إن ما تقوله يا سيادة الرئيس قد ظهر في صورة أو أخرى في نقد الفلسفة أو في الموازنة بين العلم والفلسفة أو في نقد الفلسفة لنفسها بصورٍ عديدة وأشكال شتّى ، ولكنني مطمئن جداً من هذه النواحي .

الرئيس : وكيف ذلك ؟

المشرقي : لأن الذين دعوا الفلسفة إلى تغيير وجهتها لينبثق عنها ( علم كلّي أو يقيني ) بالأشياء

ولتحقق حلمها بـ ( السيادة على كل العلوم ) . إنما يدعونها لإلغاء نفسها ، ذلك لأن العلم له حدود يعمل بها هي الموجودات ، وله طرائق يحصل بها على ( اليقين ) هي الاقتران المتكرر في الاستقراء ، وله أدوات يعمل بها هي الخبرة والتجربة والملاحظة والإحساس المادي بالأشياء ، وله قواعد يسير عليها هي إلغاء الصحيح للخاطئ واللاحق للسابق . فالعلم يتنامى ويتعالى والفلسفة تتبعثر وتتفرق . فالدعوة تلك تتضمّن أن تعترف الفلسفة بسيادة العلم وأن تنضوي تحته ليبتلعها . ولما كان ( الذوات ) من بني الإنسان ينزع كثيرٌ منهم إلى ( سيادة ذوات عاقلة ) ولا تشبعهم سيادة العلم على ( المادة الجامدة ) ، ولأن هؤلاء الذوات ( يرون ) عصياناً في المادة أيضاً بالضدِ من رغباتهم ، ويشعرون بأن سيادة العلم على المادة هي سيادة شكلية حقيقتها أنها بالمقلوب ، إذ يحتال العلم على المادة لتفصح له عن قوانينها وحركتها ، وليس هو الذي يفرض عليها القانون فرضاً ، ولما كان كل ذلك شيئاً يختلف عن غايات الفلسفة وأهدافها ، فإن الفلسفة تبقى ويستمر ظهور الفلاسفة على ما كانوا عليه .

الرئيس : بُشّرت بكل شر ، فإنك دوماً تسرّني بأقوالك . لكن ( الممالك ) الخيالية القائمة على فلسفةٍ تعتمد العلم تزعجني .

المشرقي : لن تزعجك سيدي تلك الدعوات . فحينما دعا ( بيكون ) إلى تكوين دولة مثالية يحكمها ( فلاسفة ) وهم في عين الوقت ( علماء في الطبيعة ) ، فإن مثل تلك الدعوات بالنسبة لنا أشياء تبعث على السرور . وإنما ظهرت هذه الدعوة لأن الرجل كان ( مقسّماً ) في ( بدنه وعقله ) بين أعباء الحكم والسياسة وبين ( رغبته الطفولية الأولى ) في أن يكون فيلسوفاً . وحينما أعلن أنه اختار من الفلسفة ذلك الطريق الذي يؤدي إلى ( أعظم خدمة فعلية للمواطنين ) ، فإنه في تلك اللحظة لم يكن فيلسوفاً سيدي الرئيس ، ذلك لأن الأشياء المتناقضة لا تجتمع . فإن في العالم الطبيعي إذعان وخضوع وطاعة للقانون . والناموس الطبيعي هو الذي يجعله يكشف هذا القانون ، وإن في الفيلسوف استكباراً وتعالياً لا يصلح مطلقاً لاكتشاف شيء من الطبيعة .

الرئيس : هذا بالنسبة لكم . أما بالنسبة لي فالأمر مختلف فإن طبيعتي المزدوجة تجعلني أحذر من أمثال هؤلاء ، ربما هكذا خلقت من أجل أن لا يفلت مني أحد إلا من كان فعلاً يبحث عن الحقيقة .

المشرقي : وحينما تحقّق حلم ( بيكون ) . الذي حلم به في بداية عصر النهضة . حينما تحقّق بصورة أو بأخرى :لم يعمل حكام الجزيرة ما كان يأمل منهم على إلغاء المؤتمرات والخطب الجوفاء ولم يتخلوا عن ( الأكاذيب )(١)ولم يمارسوا العلم بأنفسهم ولم ينشغلوا بمعرفة أسرار الطبيعة . ولكنهم انشغلوا بالمؤامرات ، بعضهم ضد بعض وأنتجوا القنابل وأسلحة الدمار الشامل أكثر مما كان يأمل ( بيكون ) من عملهم في استغلال ( مصادر الطاقة ) و ( مساقط المياه )(٢).ولم تكن دار الحكومة أو ما سماه بيت سليمان (

داراً للعلم ) بقدر ما أصبحت سيادة الرئيس مركزاً من مراكزنا الهامة في العالم ، واعتقد أنك قد زرتنا أكثر من مرة ونحن مجتمعون مع ( البرلمان ) في نفس القاعة .

الرئيس : نعم ...نعم أذكر ذلك فأنا عكس الإنسان تماماً . أبطأ الأوقات هي أوقات مسراتي . لكن هناك محاولات أخرى . فلسفية محضة لجعل الفلسفة تتمتع بعلم يقيني كلّي .

المشرقي : أحسبك سيدي تود أن أحدّثك عن هوسرل ؟

الرئيس : هذا صحيح ولكن لماذا لا يحدّثني المغربي . أليس هذا من اختصاصه ؟

المغربي : أنت تكيدنا سيدي الرئيس ولا تسألنا لأن عادتك أن تسأل عمّا تعلم ، فلتجد سرورك عندنا لأننا افضل من بني الإنسان ، لأن فلاسفتهم في المغرب يسرقون أفكار فلاسفة المشرق ولا ينوّهون عن أصحابها ويضعونها في قوالب ومسميات جديدة مختلفة وينكرون فضلهم في تعليمهم ( تعظيم الأنا ) ، أما نحن معشر الشياطين فنتعاون ونتلاحم فيحدثك المشرقي عن أرضي وأحدثك عن أرضه ويُقرُّ كل منا بفضل الآخر .

الرئيس : يا ظلام ...يا ظلام ! إنكم تفعلون ما أشتهي .

)طُرِقَ الباب طرقاً خفيفاً يوحي بوجود مستأذن مثقفٍ ثقافةً عاليةً ، ولمّا أُذَنِ له بالدخول ظهر ماردٌ حياهم قائلاً :عمتم شرّاً . فردوا عليه : عمت شراً . أما الرئيس فلم يرد التحية وبقي المارد صامتاً ثم إن الرئيس نظر إلى الجميع شزراً وقال ) :

الرئيس : أذكر أني قد نهيتكم عن تلك التحية . فنحن نتوخى الحذر الشديد في الألفاظ ، وقد أكّد النحو والبلاغة الشيطانيين على أن هذا الاستعمال ليس صحيحاً لأنه مخالف لوحدة الشياطين وتلاحمهم . الصحيح أن تقولوا إذا حيا بعضكم بعضاً : الظلام عليكم . فإنه آنس لنفوسكم وأكتم لأعمالكم وأكثر تلائماً مع خصائص الفلسفة بصفة عامةٍ . لأن ( الغموض ) و ( عدم الوضوح ) من أهم مميزات الفيلسوف الناجح ، فكم من ناقدٍ ( كسر خاطره ) الأسلوب الواضح لـ ( سبينوزا ) وأمثاله ، واعتبروا هذا الأسلوب الواضح هو السبب الرئيسي في هجران أعماله ، لأن البحث والجدال حول مقاصده لا يجد فرصةً كبيرة للاستمرار ، وهذا خطأ ارتكبه ( سبينوزا )(١)حيث جعل ( الأنا ) واضحاً بخلاف الألوهية الغامضة كل الغموض . في حين أن أعمالنا يجب أن تتّسم بأكبر قدرٍ من الغموض . وبالمقابل كم من دارسٍ وناقدٍ وجد فرصة للبحث والتنقيب في غوامض الفلاسفة العظام . وإنه لهدف جليل من أهدافنا أن يتلهّى ويشتغل أكبر عدد من الدارسين بمثل هذه المواضيع لنستنفذ زمانهم الأول ونستهلك زمانهم الآخر .

)ثم أن الرئيس التفت إلى المارد وقال له )

**الرئيس : ما وراءك أيها المارد ؟**

**المارد : سيدي الرئيس لدي تقرير مفصلٌ عن عدد الدارسين والنقاد والعاكفين على دراسة مبدأ ( الأنا وحدية ) للفيلسوف هوسرل من جميع أرجاء الأرض ولم أشأ أن أوخّر تسليمه لرئاسة المؤتمر .**

**الرئيس : ها نحن ما إن بدأنا بالتحدث عن هوسرل العظيم حتى أتيتنا ! فكأننا ننتظرك وكأنك تنتظرنا ، اجلس وفقت لكل شرٍّ مستطير .**

**)يلتفت الرئيس ناحية المشرقي )**

**الرئيس : فلتحدثني عن هوسرلٍ هذا أيها المشرقي المستغرب !**

**المشرقي : إن أعظم الأفكار قدرة على اجتلاب الآخرين وأطولها بقاءاً هي تلك الأفكار التي تحاول إن تستشرف ( الغاية) المجهولة من خلق العالم بطريقة يبرز فيها ( الأنا ) ظاهراً قوياً ولا يتضاءل أو لا يشترط له إن يتضاءل للوصول إلى هذه الغاية . هذا مع أن مجهولية الغاية من الخلق ( مفتعلة ) ، إنها مجهولية هي ذاتها مجهولة ، وإنما يؤدي الافتعال إلى رسم غاية بديلة عنها لا تبدأ بالاستعباد والذل لأحدٍ ولو كان للإله نفسه . فالبحث عن غاية ( بديلة ) للغاية المعلومة سلفاً يحدد لنا المسار الذي سيتحرك به كل فيلسوف منذ بدءِ البحث ، وهذا يسهل مهمتنا الإيحائية ويمكِّننا منذ البداية من إدراك ما ستؤول إليه حركة البحث وما هي التناقضات التي ستقع فيها وما هي الأشياء المتناسقة التي ستميّزه عن غيره من الأبحاث . بدأ هوسرل فلسفته بالاعتماد على ( الأنا ) الديكارتي واعتبره مبدأ الحركة الأولى الصحيحة لوضع فلسفة ( كلّية ) ذات علم يقيني لم يستطع ( ديكارت ) التوصل إليها لارتكابه أخطاء أبعدته عن ( الأنا ) المركزي الذي بدأ منه . إذ من المعلوم أن ديكارت مشى بالتسلسل الآتي : أشكُّ في كل شيء وفي كلِّ العالم ، لكني لا أشكُّ بنفسي ما دمت أشكُّ بكلِّ شيء . إذن فأنا الشيء الوحيد غير المشكوك فيه بالنسبة لي . وهو ذاتي من حيث كونها موجودة . لأني ما كنت أقدر على التفكير لو لم اكن موجوداً ، فأنا أفكّر ...إذن فأنا موجودٌ ...وإلى هنا فإن ديكارت يسير بشكل صحيح(١). ولكن حينما أثبت من خلال وجوده ومن خلال أنّ هذا الوجود حقيقة وأنّ ذاته الموجودة لم توجد نفسها وهو يشك في قدرتها على هذا العمل ، وبعد التسلسل المعلوم يتوصل إلى أن هناك ( وجود ) آخر خلق ديكارت الموجود حالياً وهو الله ، ثم يتوصل بعد ذلك إلى إثبات وجود العالم الخارجي . حينما فعل ذلك فقد أخطأ في اعتقاد هوسرل . فهذه الفقرات : إثبات وجود الله ومن ثم العالم . انطلاقا من الأنا . هو أمر خاطئ في نظر هوسرل ، لأن ( الأنا ) أصبح منفصلاً عن الله وعن العالم مرة أخرى وأصبح ( الأنا ) مصدر المعرفة جزءً من العالم منفعلاً به غير فاعل فيه ، في حين يرى هوسرل أن ( الأنا ) يجب أن يبقى منفتحاً على ذاته أو ( ينطوي على ذاته ) ، وأن يحاول تقويض جميع الأشياء والمعارف دفعة واحدة ، فالرجوع إلى الذات يتيح له ( الانفصال )**

ووضع العالم بين قوسين أملاً في الوصول إلى علم كلّي يقيني بشأنه وهو علم مختلف عن جميع العلوم بما في ذلك ( الرياضيات ) و ( الفيزياء ) لأن الأخيرة هي أيضاً لا ترقى إلى مستوى العلم الكلّي ولا تتوصل إلى نتائج يقينية . أما العلم الذي يخرج من الذات ( الأنا ) ويعود مرتداً منها إلى العالم فهو مختلف . الأشياء المدركة في هذه الحالة هي نفسها ( عملية ) الإدراك فلن يكون هناك فصل بين الإدراك وموضوعه . إذن يجب أن يُفصَلَ بين نوعين من ( الأنا ) : الأنا النفسي الذي هو جزءٌ من العالم وهذا لا يعطي شيئاً من العلم ، و( الأنا ) الآخر هو الأنا الذي ينطوي على ذاته ويصبح العالم كله جزءً ذاتياً فيه ويمكنه بعد ذلك من إدراكه إدراكاً فعلياً فهذا هو ( الأنا المتعالي ) .

الرئيس : أين يكمن الخطأ عند ديكارت وهل هو خطأٌ حقيقيٌّ ؟ .

المغربي : إن ديكارت مخطيء في نظر الرئيس ومخطئ في نظر هوسرل . ولكن الخطأ في نظر الأخير غيره في نظركم سيدي الرئيس . فأنت ترى أن إثبات وجود العالم من خلال وجود جزءٍ منه هو عمل مخالف للمنطق حتى لو كان ذلك الجزء هو الخاص بإدراك العالم . إذ الإثبات هو غير الإدراك . في حين أن الخطأ عند هوسرل هو عكس ذلك تماماً . والمعنى الذي يقصده في لغة الرئيس هو : إذا كان الأنا دالاً على الله والعالم فكيف تحول فيما بعد إلى مدلول لهما ومنفعلٍ بهما ؟ فلا يقترح إلغاء المقدمة والنتيجة ضرورةَ أن النتيجة والمقدمة متعارضتان ولكونهما ظهرتا هكذا ( بالتلازم ) فتُسقِطَ إحداهما الأخرى ، بل يقترح إبقاء المقدمة والثبات عليها والاستمرار في رفعها إلى الأعلى بحيث يدخل العالم كله كمدلول في الأنا ويصبح إدراكه في الأنا ذاتياً . ومعنى ذلك أن يُلغى الحد الوسطي عند ديكارت فليس ثمة ثنائية : إلهٌ وعالمُ أشياءٍ لأن الذات ( الأنا الموجود ) شيءٌ من الأشياء بل هو ذاتٌ مُدرِكةٌ هي ( الأنا ) وهي فاعل الإدراك وذواتٌ مُدرَكَةٌ وهي الأشياء موضوع الإدراك ، وبتعالي الأنا يُصبح موضوعُ الإدراك وفعلُ الإدراك واحداً ، أي إن إدراك الأشياء ليس أمراً غيرها بل الأشياء نفسها هي الإدراك .

المشرقي : هذا يستلزم أن يكون إدراك الأشياء ( مطلقاً ) . فالعلم بها علمٌ مطلقٌ ينفذ إلى داخلها وإلى جزئياتها وعلاقاتها بحيث لا يفلت شيء من خصائصها ، وبالطبع يستلزم أن تكون الأشياء كلها بهذه الصورة مرةً واحدةً .

الرئيس : إذن فإلغاء الحد الوسطي ـ الله ـ يُملأُ بالأنا نفسه فيحل الأنا محل الإله .

المغربي : هذا صحيح سيدي . فذلك هو المقصود من الأنا المتعالي .

الرئيس : العبارة الأخيرة للمشرقي هامة ، فكيف يعالجها هوسرل ؟

المشرقي : العبارة الأخيرة سيدي ليس لها ذكر مطلقاً في آلاف أو مئات من الآلاف من التعليقات والشروح على أفكار هوسرل . إنما هي من إنشائي !

الرئيس : أنا أعلم ذلك . فأنت رئيس فلاسفة الشياطين بلا منازع ولا بد من أن تفسر الفلسفة ولا يكفي في الشيطنة أن تكون فيلسوفاً فهذا وحده لا يخدم قضيتي .

المشرقي : إنها أمرٌ واضحٌ . فإذا أردنا إدراك أيّ شيء بهذا ( الحل الفينومينولوجي ) فإن الإدراك لا يكون على طريقة هوسرل إلا إذا كان الموضوع المُدرَك والإدراك هما شيئاً واحداً . وهذا يعني أن ( نحيط ) بالشيء إحاطة تامةً مطلقةً لا بالمعنى الإلهي الذي ينفذ إلى حقيقة الشيء وأجزاءه من حيث هو ( شيء في ذاته بالتعبير الفلسفي الشرقي ) أو من حيث هو ( ماهية ) بالتعبير الفلسفي الأعلى قِدماً . ومعنى ذلك أنه يتوجّب حصول معرفة مماثلة للشيء المجاور ذي العلاقة بهذا الشيء إذ من المعلوم أنه لا يوجد شيء في العالم منفصلٌ كلياً عن الموجودات . وإذا سرنا بهذا التسلسل قدُماً فالواجب من أجل إعطاء مجرد ( مثالٍ واحدٍ ) صحيح للحل الفينومينولوجي الذي يقترحه هوسرل أن نحيط بالعالم كله دفعةً واحدةً وهذا هو المقصود الكلّي من وراء الحل البحث عن الإنسان الإله .

الرئيس : ألا يشعر هوسرل والشرّاح بوجود معضلة مثل هذه ؟

المغربي : إن الشرّاح في الغرب سيدي أبدوا بعض الانتقادات للحل المقترح . وبعضهم ـ في حياة هوسرل ـ عارضه بشدة وربما تغاضبوا فلم يكلم أحدهم الآخر رغم الصداقة الحميمة التي تجمعهم . وأكثر الانتقادات انصبت على التناقض الداخلي في عمليات تكوين الأنا المتعالي ، وتمثلت بأشياء منها :

الأول : إن المقترح تضمّن الانفصال عن العالم في البدء فقط ، وفي عين الوقت يتوجب احتواءه عند انطواء الذات . فهو منفصلٌ كموضوعٍ مدرَكٍ حينما تأتي مرحلة التلاحم بين الذات والموضوع المدرَك ، وهو متصلٌ حيث يتوجب الانفصال . فالحل يحمل تناقضه في داخله .

الثاني : إن الذوات الإنسانية متعددة . واقتراح تعالي الأنا يستلزم الوصول إلى المرحلة التالية وهي ( أنا وحدي أفكر ) . والاحتواء سيكون من قبل ذات أناويةٍ واحدةٍ هي ذات الفيلسوف نفسه ! فأين بقية الأناوات ؟ أهي عبيد لهوسرل ؟ . وقد حاول هوسرل إصدار عدة كراسات لمعالجة هذه المشكلة وتوصيل ( الأناوات ) مع بعضها ، ولكنه ـ حسب النقاد ـ فشل فشلاً ذريعاً واستعمل لذلك مفردات غريبة وأساليب غامضة أو ملتوية حسب تعبير البعض(١) . وظهر من بعضها أنه يتراجع حتى عن عملية التوصيل مُقِرّاً ب ( الأنا وحدية ) معجباً بها .

أما شرط الإحاطة فهو من مبتكرات المشرقي .

المشرقي : إن النتيجة التي أقولها بشأن الإحاطة كانت موضوعة مسبقاً منذ بدء البحث عن الأنا حينما قال هوسرل أنه يتوجب أن يضع الأنا المتعالي العالمَ بين قوسين . لذلك لم يستطع أن يضربَ مثالاً تطبيقياً للحل المقترح سوى ما ورد على سبيل التندر والتهكم . فقد قال شيللر أحد تلامذة هوسرل

لجورج لوكاش : ( تستطيع أن تعتبر كلّ موضوعٍ قصدياً وتعالجه بالفينومينولوجيا ، وبإمكانك وضع الشيطان نفسه كموضوعٍ فينومينولوجيٍّ حيث تضعه بين قوسين وتعتبره مشكلة وتقوم بتحليله ) . فقال لوكاش : ( بكلّ تأكيدٍ وحينما ينتهي التحليل ما عليك إلاّ أن تحذف القوسين وعندئذٍ يظهر الشيطان واقفاً أمامك ) . فهزَّ شيللر كتفيه ضاحكاً ولم يجب بشيء .

الرئيس : ليس المهم أن يظهر ( فيلسوفٌ ) ، إنما المهم هو عدد الذين يتبعونه . ف ( الصنم ) نفسه لا يهمني وإنما يهمني أمران : عدد الأصنام الممكن تكونها فيما بعد من ذلك الصنم ، والأمر الثاني هو عدد الأوثان المرتبطة بكلِّ صنم وأتباعهم . وقد أصبح كلامكم مزعجاً لي فليحدثني أحدٌ عن الأتباع لهوسرلٍ العظيم .

مارد الإحصاء : سيدي الرئيس . تمّ تأسيس أرشيفٍ لأفكار وآراء هوسرل ومخطوطاته والكتب الخاصة ذات العلاقة في سنة ١٩٣٨ وهي تحتوي على خمسة وأربعين ألف صفحة . وتمَّ تزويد العواصم الكبرى والمراكز العلمية بفروع لهذا الأرشيف بعد تنظيمه وتعيين أساتذة مختصين لفهرسة محتوياته ووضع كافة البيانات المتعلقة به ونقل نسخة متكاملة مصورة منه إلى تلك المراكز . ورغم المعارضة والنقد فقد تمّ اعتماد الفينومينولوجيا ( كعلم فلسفي ) وتمّ إجراء بعض التعديلات عليها وتفرعت عنها اتجاهات فينومينولوجية في جميع مراكز البحث .وأهم تلك المراكز : جماعة ميونخ وتضمّ جماعات فرعية أخرى وأشهر رجالها ( بفاندر ) ، ( مكسيمليان بيك ) ، ( جيردا فالتز ) ، ( هربرت شيجلبرج ) ، ( أدولف راينخ ) ، ( أديث شتاين ) ، ( شاب ) ، ( كواريه ) ، ( جوتجن ) ، ( جايجر ) ، ( شيللر ) ، ( هارتمان ) ، ( هايدجر ) ، وعشرات آخرين لم يتمكنوا من تكوين مدارس خاصة بهم وإنما اقتصر نشاطهم على الشرح والتدريس . هذا في ألمانيا وأما في فرنسا : ( مارسيل ) ، ( جان بول سارتر ) ، ( موريس مارلو بونتي ) ، ومن الجيل الثاني : ( موريس نيدولسيل ) ، ( هنري ديمتري ) ، ( مايكل ديفرين ) ، ( ديكور ) . وفي أمريكا : ( بوفالو ) ، ( فاربر ) ، ( كيرتز ) ، ( مندولباوم ) وغيرهم . وجميع هؤلاء قد أسسوا مراكز للبحث خاصة بهم ولهم أتباع ومؤيدون . وهذه سيادة الرئيس سجلاتهم وأعمالهم وعدد مؤلفاتهم وجميع ما يتعلق بشؤونهم .

(يتقدم أربعة عفاريت من الجان الأقوياء ويرصّوا أمام الرئيس مئات السجلات والأضابير لدرجةٍ أنها قد حجبت عنه أعضاء المؤتمر )

الرئيس : أعيدوها إلى مكاتبكم ، فإني أعلم ما فيها بطريقتي الخاصة المعاكسة تماماً لطريقة هوسرل ، لكن الاختبار والتفتيش والمراقبة ضرورية حتى مع الشياطين . لقد كانت معاناتكم كبيرة سابقاً ، حينما كنتم تجلبون بني الإنسان لعبادة الآلهة في عهد نوح . والآن أصبح عملكم أكثر حركة ونشاطاً ، عملكم

السابق يتحرك الآن بمفرده لأن الصنمية تحولت . حوّلها الإنسان بفضل نشاطكم . من الآخر إلى نفسه هو . ولقد احتاج هذا التحول إلى حقب ودهور لينتقل بالتدريج من إله واحدٍ إلى آلهة عليا متعددة في النجوم والشموس والأفلاك ، إلى آلهة أرضية مرموزة في الأشياء القريبة ، ثم إلى آلهة مرموزة في ( تعدد ديني ) ، ثم إلى آلهة مرموزة في شخوص تحمل فكرة ( التوحيد ) ، أملاً في انتقالها إلى ( الأنا العام ) لبني الإنسان . لذا يتوجب عليكم ألا تضيعوا هذا الجهد والعناء وأن تبقى عيونكم مفتوحة وآذانكم صاغية فإن أساس عملنا هو ( حكمة ) . وهذا التضاد الظاهري في العملية منشأه طبيعتي وطبيعة الوجود المحض . فنحن نعمل بطريقة السلب والجذب ، والإيجاب والدفع . فأنا أدفع الذين هم حصته حينما أعجل في سلبهم لأنهم لا يأتون إلاّ نادراً ، كذلك يفعل الوجود المحض مع منن هم من حصتي فكلانا يدفع بحصة صاحبه إليه . وعلى العكس من ذلك حينما يقترب من كلٍّ منا من هو من حصته فهو لا يعطي بعجلة لكي يعطي الكل وأنا لا أسلب فوراً لأني سأسلب منه الكل . اسلب منه ذاته ووجوده . وأبتلع الأنا التي في داخله . أيامي مختلفة ، وأول البارحة كان الطوفان ، وكنت قبل الطوفان أتمشى ...فسمعت رجلاً ينشد شعراً يذكرُني فيه فحفظته ، فقد كان يقول :

خلق العالم كي ندركه
وخُلقنا فيه كي ندرك أنا لن ندركه
كيما يشفق يوماً خالقه
فيجعلنا نخلق ما ندركه
ومن يزعم أنّا ندركه
بغير ما ( لن ندركه )
فإن الساقي يُشركه
يرقّيه صعوداً حتى يرهقه
أبد الآباد لا يتركه
كحامل الصخرة تعركُهُ
هو يتركها ...
لكن الصخرة لا تتركُه
لا ...لن تهجر المرءِ إرادته !!

فعلمت أن هذا الرجل يعرفني حقّ المعرفة فقلت له من أنت ؟ فقال أنا ( عين الوجود ) قلت ما اسمك ؟ فقال كيف لا تعرفني أنا ( كنكر ) ! فتذكرته وتعانقنا ومشينا متعانقين حتى تلبدت السماء بالغيوم وأوشك

البركان القريب أن يفرغ ما في جوفه من حمم ونار وحينما هطلت السماء بالمطر كانت أرجلنا قد ترطبت بماء الينابيع . إن الناس يأخذون حاجياتهم ويعطون بدلها ( عملة ) ، ويكدون ويأخذون ( عملة ) ، أما أنا فعملتي هي حاجياتي كلها ، آخذ عملة وأعطي عملة وعملتي هي ( الزمان ) . وقد جربتم ( مكافآتي ) السابقة ، فقد قيل أن ابن آوى يستجلب أكثر ما يمكن من أصناف الحيوانات لتكون طعاماً للأسد فيزيد بذاك عمر الأسد والثمن الذي يتقاضاه هو أن يمنّ الأسد عليه ويزيد في عمره بأن يؤخر أكله كل مرة إلى أجلٍ تالٍ . وقد لا يدرك الأعضاء الجدد في هذا المؤتمر كثيراً من العلاقة بين المقررات المتخذة وبين الأفكار المطروحة للنقاش وما ذلك إلاّ لأنهم لم يعتادوا بعد على الفنون الشيطانية ، وتقصر عقولهم عن الربط بين الأزمنة والأماكن وإن المكافآت والعقوبات تحفزهم إلى مزيدٍ من الدراسة والنشاط والرياضة الفكرية . وسأعطي الآن مكافآت لبعض المتميزين منكم بالعمل الدؤوب والنشاط الإيحائي :

تكافأ الزمر المشتركة في العمل الإيحائي لسرية ( الجُرف ) العسكرية المنطلقة ببطيء شديد إلى الشام من الجزيرة بتأجيل عذابها مدة إضافية قدرها ألف سنة .

تكافأ الزمر المشتركة في العمل الإيحائي للجيوش المنطلقة من الجزيرة إلى الشام بتأجيل عذابها مدة إضافية قدرها ألف سنة .

تكافأ الزمر المشتركة في العمل الإيحائي للفلاسفة ( عما نوئيل كنت ) و ( لايبتنز ) بتأجيل عذابها مدة إضافية قدرها ألف سنة .

تبقى حروف الأبجدية غير مشغولة لملأها في المؤتمرات السابقة أو اللاحقة .

وفقتم لجميع الشرور ...انتهت الجلسة .

†
†
†

# الجلسة الثالثة

# لمؤتمر إلغاء آثار الحكمة

)عندما أراد الرئيس أن يتكلم لاحظ لافتة كبيرة على أحد الجدران تقول( إلغاء آثار الحكمة ) فأمر بجعلها ( إزالة آثار الحكمة ) . ثم قال بعدما ردّدوا المقدمة والأغنية )

الرئيس : يجلس معكم اليوم ( كائن ) من بني الإنسان ، هو أعظم شياطينهم على الإطلاق من أجل أن ينفعكم بعلمه وخبرته . ولتعلموا أن ( الشياطين ) هو في الأصل تعبير ديني أطلِق على أشخاص لهم هذه الصفة من بني الإنسان والجان على حدٍّ سواءٍ ، ولكننا وبفضل جهودكم جعلنا بني الإنسان لا يفهمون من لفظ ( الشيطان ) إلاّ كائناً لا يُحس ولا يُرى ، في حين إن الكتب المنزّلة إليهم تذكر شياطين الإنس في عشرات المواضع . وطبعاً فقد أدّى هذا إلى تشكيكهم بوجودكم فضلاً عن وجود شياطين من الإنس ، بحيث أن الفيلسوف ( شيللر ) يمنّي لوكاش برؤية الشيطان بالرغم من وجود ما يقرب من ثلث العدد الكلي منهم داخل بنايات الجامعة التي يحاضران فيها . لذلك يتوجّب بقاء الظلام كهفاً تستترون به فإنه من أهم مستلزمات عملنا . وقد أعطيت هذا الأنسي فترة راحة من عذابي ليحدّثكم عن أفعاله العظيمة ، إذ لولا طبيعته الإنسية لأجّلت عذابه ملايين السنين . وهذا الرجل هو الذي يُسمّى ( الشيطان ) حينما تذكره الكتب المنزّلة بهذه الصفة . وهي حينما تقول ذلك فإنما تعني أحد رجلين ، أوّلهما صاحبكم وهو معروف لديكم ولم يستطع حضور الاجتماعات لأني كلّفته بمهمات أخرى والآخر هو هذا الأنسي وبعض قادتكم يعرفونه جيداً .

)يوجه الرئيس كلامه إلى الأنسي )

الرئيس : ما هي جلائل أعمالك أيها الشيطان المريد ؟

الأنسي : كنت أعيش في جوار رسولٍ بُعث بكتاب فاشتهيت أن أقتله فلم أستطع ، وكلما عجزت عن قتله اشتهيت ما هو اكثر ، حتى بلغت بي الرغبة درجةً أن اكتم غيظي وأُظهر إيماني وتصديقي به أملاً في أن افعل ما هو اعظم من ذلك وأبعد أثرا . وقد كان لهذا الرسول أمةٌ عظيمةُ العدد من الناس . وقد قال فيما قاله لهذه الأمة قبل موته : إن الله خلقكم لتكونوا عباداً طائعين فإن لم ترغبوا بذلك فإنه يجعلكم عبيداً كارهين . ولأن الله يعلم أنكم تؤثرون طاعة بعضكم البعض على طاعته ، فقد جعل لكم من أنفسكم رجالا منحهم علماً بالأشياء كلها لترون فيهم أنفسكم وتشبعوا نزوتكم في رؤية أنفسكم من خلالهم . وهم رجالٌ طائعون له طاعة مطلقةً منذ البداية وأنا أحد هؤلاء ، واعلموا أن الله لا يُكره أحداً على فعل شيءٍ أو ترك

شيءٍ . ولو كان يعمل بالإكراه لما أرسلني ، بل لفعل ما يريد فعله بكم كرهاً . فإذا شئتم أن تطيعوه فأطيعوني ، فإذا هلكت فأطيعوا هذا الآخر ، وإن لم تشاءوا ذلك فأنتم وما تشاءون . من أطاعني أطاع الله ومن عصاني عصاه . فلما مات هذا الرسول عمدت إلى ذلك الآخر فقتلته وحملت الناس على ذلك . ثم استوليت على الأمر من بعده ولم أفعل من بعد ما فعلت إلاّ أربعة أشياء .

الرئيس : اذكر هذه الأشياء لإخوانك الشياطين .

الأنسي : أولاً : جعلت الناس يؤمنون بأن الشرع بيد الله والحكمُ له ولكن الحاكم بأيديهم . فأنا أول من وضع ( الديمقراطية ) في ملّة ذاك الرسول ، وأول من انتخب كي يُنتخب .

ثانياً : إني أوّل واضعٍ لقواعد الكلام واللغة ، حيث جعلتها وفق مبدأ ( القواعد هي ما نقول ) وليس ( ما ينبغي أن نقول ) . وجعلت الفصاحة هي ( ما نتكلم ) وليس ( ما ينبغي أن نتكلم ) .

ثالثاً : إني أوّل من قسّم المال والسلطان كما يقسّمه الله ، إذ أمر هذا الرسول أن يقسم المال بالسويّة والسلطان بالأهلّية ، ولما كان الله يقسّم في الحساب حسب الأسبقية والأفضلية ، فقد قسّمت المال والسلطان كما يقسّم الله .

رابعاً : أني أول من ردّد في الأحكام الشرعية وحمل الناس على التردد فيها ( خشية عقاب الله ) . ومنذ ذلك اليوم وهم يشكّون ويتردّدون في أحكام هذا الرسول وشرائعه على وفق ما وضعته لهم من الأشياء السابقة .

الرئيس : ألم تفعل شيئاً آخر ؟ فإن الشرور والفتن ظهرت بعد موتك متدافعةً كما لو كانت خلف ( غلقٍ ) تستتر .

الأنسي : لا . لم أفعل شيئاً آخر ، كان ذلك الرسول يسميني ( غَلَقُ الشرور والفتن ) ولكنها جميعاً ( تلاقحت وتناتجت ) من هذه الأربعة .

الرئيس : أيها العفاريت خذوا رئيس الشياطين الإنسية إلى موضعه وليغسلوه من هذا العناء والسفر الطويل بماء الحميم ، ويسقوه شيئاً من الغسّاق ويطعموه شيئاً من الزقّوم ويدثّروه بقطع سميكةٍ من السرابيل القطرانية حتى أُنهي أعمالي في هذا المؤتمر . ثم لابدّ لي من أقول لكم إن الإنسان لم يفهم إلى هذا اليوم العلاقة بين الموت والحياة ، لأنه لا يفهم العلاقة الأبسط بين الجماد والحي ، وهو لا زال يتساءل عن معنى العدم . وكثيرٌ منكم قد لا يفهم معنى كلامه ، فعلى الذين فهموا أن يعلِّموا الذين لم يفهموا ، إن أخاكم رئيس الشياطين الإنسية وضع أعماله وفق ( خطوات ) منظّمة ومترابطة . فعليكم حمل بني الإنسان على إتباع هذه الخطوات نفسها حينما تظهر لهم أيّةُ ( حقيقة) جزئية تمثّل الحقيقة الكلية . إن قادتكم هنا على اطّلاع واسع بهذه الأشياء .

المغربي : سيدي الرئيس . إن منطقنا الشيطاني يعتمد على طريقة الربط بين ( جملة ) صادقة وأخرى كاذبة . فإن الشيطان الأنسي قد أعلن في الخطوة الأولى أن ( الحكم بيد الله ) وهي جملةٌ صادقة وربطها بالجملة الكاذبة ( الحاكم بيد الإنسان ) . ولما كان الإنسان حرّاً وفق تعاليم ذلك الرسول ، ولما كان الشيطان الأنسي لا يستطيع فعلَ شيءٍ إزاء تلك الحرية ، فينبغي إذن أن يزيد عدد الذين يتبعونه ( بسرقة ) عدد من الذين اتبعوا الرسول ، وذلك عن طريق جعلهم يتساءلون عن حريتهم ومقدارها . فقد جعلهم . بوضعهم حريتهم موضع التساؤل . يتّبعونه من حيث لا يشعرون . ومن يومها أصبحت الحرية موضع التساؤل ، وصار الإنسان يحاول أن يدرس ( ذاته )كبديل عن دراسة ( الوجود ) بأسره . وهذه مأساة أليمةٌ بالنسبة لبني الإنسان، كان ديكارت وغيره قد شكّوا في كل شيء إلاّ فيها (الحرّية ) . والأصل في المسألة أن الجملتين يمكن أن تتبادلا : ( الحكم بيد الإنسان ) و ( الحاكم بيد الله ) ، لأن الرسول إذا كان حاكماً من الله فالحكم باتّباعه أو عدمه منوّط بالإنسان وحده وهو غير مجبرٍ على هذا أو ذاك . ومعنى ذلك أن الجملتين تصحّان سويةً بالتلازم في شرع ذلك الرسول باعتبارهما ( وصية أو شيئا فيه طاعة لله )، كما تصحّان سويةً في واقع الإنسان باعتباره موضوع هذه الوصية فهو قادر على تنفيذها أو رفضها . وحينما فعل هذا الأنسي ذلك الالتباس فقد جعل الإنسان . الذي يملك اختياره . جعله يفتّش عنه بدلاً من استعماله في أي طريق . إن هذا العمل الجبار لرئيس الشياطين الإنسية هو أفضل بكثير مما لو كان يسلبهم حقّ الاختيار بطريقة واضحة قسرية كما فعل فرعون حينما قال أنا إلهكم . لأن هذه الطريقة لا تجعلهم يسلّمون اختيارهم ويصبحوا عبيداً له فقط ، بل لا يعلمون أين هو اختيارهم أصلاً ، فهم يفتشون عن اختيارهم الذي وضعه هو في جيبه ، في وقتٍ أعطاهم جزءاً منه مثل قطرةٍ من بحرٍ ليجعلوه رئيساً عليهم وهم فرحون جدّاً لأنهم اختاروه بمحض إرادتهم . بينما كان القتيل مختاراً من قبل رسولهم .يمكنني أن أقول إذن أن جميع فلاسفة ( الحرية ) في الغرب وجميع فلاسفة ( الجبر والاختيار ) في الشرق إنما يعود الفضل في ظهورهم إلى الفقرة أو ( الخطوة ) الأولى كما سمّاها سيادتكم . وكذلك فجميع الذين حكموا بعد جناب رئيس الشياطين الإنسية يعود الفضل في توليتهم إلى هذه الخطوة بالذات .

الرئيس : يسعدني جداً أنك تفهم أهمية هذه الأعمال . وبالنسبة لي فإن الموتى من هذا الصنف سيرجعون إليّ في آخر المطاف ، لكن موته سبب أذىً كبيراً لسيدكم الأعلى نفسه بحيث أنه يعدّ هذا اليوم أسوأ يوم في حياته ، وبخاصة أنه لا يوجد في فلاسفة الشياطين منكم ومن بني الإنسان من يضاهي مرتبته في الفلسفة العملية والنظرية على حدٍّ سواءٍ . ألا ترون أن هذا الشيطان المريد قد أخذ أحدى الجملتين من ( شرع الرسول ) وترك الأخرى ، وأخذ إحدى الجملتين من ( حقيقة الإنسان ) وترك الأخرى وربط بين واحدة صادقة في الشرع كاذبة مع الإنسان وبين واحدة كاذبة في الشرع صادقة مع الإنسان ؟ .

وبمثل هذه الطريقة يجب أن تشرحوا الخطوات الأخرى ، وتعملوا وفق ما تعلمتم فإن الإنسان كائن جهول جداً وشديد الغباوة ، ويستمر أحياناً بمناقشة مسألةٍ ما آلاف السنين والمسألة نفسها ليس لها وجود أو أصل أو إن جوابها عنده . فهو ( الإنسان ) اسمه مأخوذ من النسيان ، ألا ترونه ينسى أحيانا الشيء أو الحاجة في يده ويدور يفتّش عنها ؟ هذه الحالة تستمر في الفرد الواحد دقيقة أو دقيقتين ولكنها تستمر عنده ( كنوعٍ ) إنساني ألف سنة أو ألفين بحسب النسبة والتناسب بين عمر الفرد وعمر النوع . وكلما تمكّنتم من إضاعة شيء منه وإنساءه إياه في الفكر الفلسفي كلما أخّرتم عذابكم وخلاصه ألفاً أو آلافاً من السنين . ويجب أن تعلموا الفروق في هذا المثال والتفريق بين الأشياء كلها . فالناسي للحاجة في يده ينتبه لها بعد حين ، لماذا ؟ لأنه يستعمل جوارحه واليد منها فإذا نظر إلى يده تذكّر ذلك الشيء . أما الذي ينسى الحاجة في موضع ما ، فإنه لن يتذكر بهذه السرعة وقد تمر أيام أو شهور ولا يدري أين وضع الحاجة فعليكم بالانتفاع من هذا التمييز .

المشرقي : إن الرئيس يقصد بكلامه أنه إذا كان ثمة حل لمعضلة ما لقوم عند قوم آخرين فيجب أن تعملوا على فصلهم عن بعضهم البعض ، كي لا ينبّه أحدهم الآخر ولو قدرتم على قطع اليد الماسكة بالشيء عن رأس صاحبها ليبقى يفتش عنها دوماً فافعلوا .

المغربي : نحن منتبهون جداً لهذا الأمر سيدي . فإن الفلاسفة في الغرب لا ينظرون في شيء من أقوال أهل الدين في الشرق . وأهل الدين في الشرق لا ينظرون في شيء من نتاج ( المفكرين ) الآخرين في الغرب والشرق . والأساتذة في الشرق لا ينظرون في شيء من أقوال أهل الدّين في الغرب . وأهل الفنون والآداب في الشرق لا ينظرون في شيء من الدين في الشرق . وأما بقية العلوم في الشرق والغرب فهي في خصام ونزاع وتعزّز وامتناع ، وقد ينقسم الشيء ( الضائع ) أحياناً بين أنواع وأنواع مثلما انقسم الإنسان نفسه بين الدين والفلسفة ، وعلم النفس والاجتماع .

الرئيس : لقد نسي الإنسان حرّيته وهو لا يزال يفتّش عنها من حيث هي عنده وانبثق من ضياعها ألف مشكلة ومشكلة ، والتهى بحل تلك المشاكل . فمن ذا يحل تلك المشاكل ؟ أم يكون الإنسان أصلاً راغباً بالمشاكل ؟ .

المشرقي : بلى . فحينما جاء ( هيجل ) حاول وضع حلول لجميع المشاكل . وهي حلول ناقصة ومتناقضة إذ نظر آخرون في الوجود فقالوا : ( ليست الفلسفة الحقيقية هي التي تضع أو تدّعي وضع حلول لجميع المشاكل ، إنما الفلسفة الحقيقية هي التي تفتح الباب لمعرفة العالم بطريقة تجعل الإنسان يفهم موضعه منها ويعيش قلقه الفلسفي ، فالحياة بلا هاجس من القلق تصبح موتاً . )(١). وهذا الكلام سيدي الرئيس فيه خطورة عظيمة على جميع الشياطين لأنه يوافق تماماً الغاية والمبادئ التي خلق الله

لها وبها الإنسان . ولكن لحسن حظنا إن هذا الكلام صدر من قوم ينكرون هذه المبادئ وتلك الغاية بل وينكرون ( الله ) نفسه تخلّصاً من اكتشافٍ مباشرٍ لعبوديتهم . وكما قال الرئيس فإننا نأمل أن يبقى الوضع كما هو . إن الذين يكتشفون بحدسهم أن لهم غاية يتناقشون في ( الحرية ) ، في حين أنها هي الغاية المكتشفة فيذهبون مذاهب شتّى في إثبات وجودها مع أنها هي نقطة انطلاقهم في البحث . والذين لم يكتشفوا غاية بل جعلوا أنفسهم هم الغاية حاولوا تفسير العالم بكامله دفعةً واحدةً ووضع حلول لجميع التساؤلات مرةً واحدة غير مؤمنين بضرورة استمرار القلق المعرفي ثم توقّفوا فجأة في موضعهم لا يتقدمون ولا يرجعون ثم طمروا رؤوسهم في الرمال كي لا يسمعوا أحداً يناديهم قائلاً : أريد سعادتي ، أريد أن أخلق وأبدع ، أريد أن أكون وأُكوِّن . فكيف يرفعون رؤوسهم لمن ينادي : قد علمتم كل شيء فاخلقوا كائنا يُهلك الذباب أو اخلقوا كائنا غير الذباب فقد ضجرت من الذباب ، أو على الأقل اجعلوا الذباب لا يقترب من وجوهكم !!...

الرئيس : ولن يرفعوا رؤوسهم لمن يناديهم أن يخلّصوا أنفسهم من مخالبي قائلاً : ادرأوا عن أنفسكم الموت .

المشرقي : لذلك فإني ما زلت أطمئنك دائباً. فكل فكرة فلسفية تُناقش إنما تحمل في نفس النقاش نقيضها ، ويتضمّن نفس البحث إجابة عنها . ألم ترهم يتحدّثون عن العدم الذي هو ضدّ الوجود ونقيضه ثم يتحدّثون ويتجادلون في ( وجود العدم ) أو ( عدم وجوده ) ؟ . فالنسيان قد بلغ بهم مبلغاً عظيماً لأن الذي يتحدث عن الوجود إنما يتحدث عن العدم ، والذي يتحدث عن العدم إنما يتحدث عن الوجود ، فلم أر أحمق من الإنسان الذي يتحدّث عن ( وجود العدم ) . فهو مثل ذلك التلميذ الذي سأل أستاذه وهو يقوم بتجربة على درجات الحرارة : كم بلغت الحرارة في هذا السائل يا أستاذ ؟ فقال الأستاذ : أربع درجات مئوية . فقال التلميذ : فكم أصبحت برودة هذا السائل ؟ ! . لكن الفلاسفة فاقوا هذا التلميذ في التدقيق في المسألة إذ لو كانوا مكانه لسألوا الأستاذ : فكم أصبحت برودة الحرارة ؟ ! وهم تماما مثل هذا التلميذ ، فماذا سيقال عن هذا المسكين لو سأل عن برودة الحرارة أو حرارة البرودة ؟ . ومثل ذلك مثل رجلٍ سأل حكيماً عن معنى ( العالِم ) فأجابه الحكيم فقال الرجل : فاخبرني عن الجاهل . فقال الحكيم : قد أخبرتك يا جاهل ! . والفلاسفة قد فاقوا هذا الرجل في تدقيق المسألة ولو كانوا مكانه لقالوا للحكيم : فاخبرنا عن جهالة العالِم ، وهو عين سؤالهم عن وجود العدم .

(يطلب المغربي من العفاريت أن يجلبوا كتباً وسجلاّت ثم يضعونها أمام الرئيس فتحجب ما بينه وبينهم )

المغربي : هذه سيدي الرئيس المقالات الفلسفية حول مسألة ( هل يسمى المعدوم شيئاً ؟ ) ، وهي ما أثاره أخي المشرقي .

)تظهر آثار الدهشة الشديدة على الرئيس ثم يستفهم قائلاً )

الرئيس : هل هذا هو كلّ شيء في هذه المسألة ؟

المشرقي : نعم سيدي . وهناك شروح وفقرات متفرّقة في الكتب وفي لغات أقوام ليست لديهم فلسفة بهذا المعنى لكنهم ينقلون الأبحاث إلى لغاتهم .

الرئيس : لا...لا هنا تقصير واضح . ينبغي أن تكون الكميات أكبر ، فمثل هذه المسألة وإن كانت واحدة من عشرات الفروع في موضوع الوجود والعدم ، لكني توقّعت المزيد من الكتابات حولها فالإنسان مولع بمثل هذه الأشياء التي يخدع بها نفسه . يبدو لي أن عملكم الإيحائي في هذا الأمر كان ضعيفاً جداً ، لأن الإنسان هو وجود العدم .

)يرفع أحد المردة رأسه ويده طالباً الكلام )

الرئيس : تكلّم من أنت ؟

المارد : أنا مساعد مارد النار وعملي هو الإعادة والإتلاف . وحسب أمركم سيدي نقوم بنقل وتسوية المخطوطات والكتب ، ونحاول بالعمل الإيحائي إتلاف وإحراق الأجزاء التي تفصم عرى التواصل بينها من أجل أن يبدأ الإنسان ببحثها من جديد . صحيح أننا نتبع إدارياً مؤتمر الحروب وسفك الدماء ، ولكن قسم المكتبات يستلم أوامره من الجميع وينفذ وصايا مؤتمر إلغاء الحكمة . سيدي إن الكميات المحروقة في مسألة ( وجود العدم ) في مكتبات الشرق والغرب تفوق ما جلبوه الآن أمام سيادتكم ، وقد تمّ حرقها في أزمانٍ وأماكنَ مختلفة خلال استغلالنا بعض الفتن . وهذا تقرير مفصّل عنها سيادة الرئيس .

الرئيس : إن الحرق العشوائي هو عمل تخريبي ضدّ أمن الشياطين وسلامتهم ، فالإيضاح الذي قدّمه المشرقي مثلاً حول هذه المسألة إذا ورد في كتاب أو كرّاس فينبغي أن يحرق ، أما النقاشات الفلسفية حول الموضوع والتي تعتبر ( وجود العدم ) مسألة فعلية ومشكلة قائمة ، فيجب أن تبقى ، بل ويتوجّب الحفاظ عليها . أعتقد بأني سأحرق الآلاف منكم على هذا الإهمال الجسيم . أيها الشياطين ...تُشكّل لجنة فورية لجرد المحروقات كلّها وإيضاح ما فيها كلمة كلمة منذ عهد سقراط بل وقبل سقراط بألف سنة وإلى هذه الساعة .

القادة : السمع والطاعة سيادة الرئيس .

المشرقي : أودّ أن أطمئن سيادتكم إلى تلك الأشياء التي تخشونها . إذ أننا لا نستطيع أبداً ( إلغاء ) إجابات حقيقية عن المسائل الفلسفية . فمن تلك الإجابات مقاطع أو مقولات مشهورة مكتوبة في ملايين النسخ . وعزائنا الوحيد هو في أن الإنسان لا يبحث عن حقيقة الأشياء ولا عن إجابات لمشاكل افتعلها هو . لقد أمرتنا سيدي أن نكون حكماء بوجه الإنسان الفيلسوف ليكون عملنا متقناً فلا نتفلسف مثل

الإنسان بل نفسّر فلسفة الإنسان . وقد رأيتَ إن الإنسان يبحث في فلسفته وإن لم يكن فيلسوفاً عند الناس عن ألوهية نفسه فهو يفتعل مشكلته افتعالاً . وحينما يُوحى له بإجابات عن مشاكله ، يطالب بالقلق ولا يريد إجابات تفسّر كلّ شيء . في حين أنه يزعم أن الفلسفة تبدأ من الدهشة والقلق بالأشياء ومنها ، وفي نفس الوقت يجد راحة في التفلسف ، فهو لا يريد التخلّي عن مشاكله . ويمكننا أن نحلل الإنسان في هذه النقاط ونعلم وجه خداعه لنفسه . فالقلق الذي استبدّ به جراء كونه عبداً ومخلوقا وله غاية وهدفاً عظيماً جعله يبحث عن هدف وغاية يضعها هو ويريدها هو ، وكلّما دار وبحث لم يجد نفسه يريد شيئاً سوى ما وضع له . إنه يريد السيادة المطلقة والسلطان الدائم والبقاء المستمر في الحياة _ الحياة التي يمارس فيها السلطان والتحكم في الأشياء ولكن بشرط أن يفعل هو كل ذلك بمفرده تماماً . ونحن معاشر الشياطين وضعنا الإسفين هنا وضربنا أوّل ضربتنا هنا . فقد أوحينا له أن ما يشعر به هو حقٌّ ، ذلك لأننا لا نقدر على تغيير شيء خلقه الله في ذات الإنسان وجعله مكوَّناً به وفيه ومنه . وفي هذه صدّقنا معه . ثم أوحينا له أن هذا الهدف لا يتحقق مطلقاً بالوعد الإلهي ، فإنه مجرد غيب ، فهذا العالم هو عبارة عن أشياء مترابطة وقوانين صارمة لا يمكن خرقها ولا تغييرها . ثم جعلناه منذ ذلك الحين يفكّر ويؤمن بأبدية الأشياء وثباتها أو حركتها الثابتة ، وجعلنا أتباعنا في الملل الدينية يفسرون كل ما يتعلق بهذا الوعد والملكوت على أنه إن وقع فإنه يقع في عالم آخر بنظام آخر من أجل أن يؤمن الإنسان بأن هذا النظام الطبيعي هو نظام ثابت لا يمكن أن يتحوّل . ولم يكن أمام الإنسان إذن إلاّ ثلاثة أو أربعة خيارات : أن يكون قانعاً بعبوديته لله منتظراً دخول ذلك العالم الأبدي الذي لا يُرى إلاّ بعد دهور أو أحقاب لا يعلم كم هي . وفي هذا الأمر جمعنا بين أشياء مختلفة انطلت عليه. فعالم الوسط بين الموت والحياة جعلناه مثالاً لعالم الواقع الموعود . وعالم ما بعد انتهاء الكون والخليقة جعلناه هو العالم الموعود . وهكذا فقد آمن أهل الأديان بعد ذلك بأن العالم الحالي هو عالم ثابت لا يتغير . وهذا هو المطلوب إذ لم يبق شيء حقيقي في الأديان . ذلك لأن ( النعيم والعذاب ) المشار إليه في مرحلة ما بعد الموت وقبل الحياة وفي مرحلة ما بعد انتهاء هذا العالم لا يترتب إلاّ بمقدار الإيمان والكفر بحقيقة إمكانية تغيّر هذا العالم الواقعي . وأما حقيقة ما جاء به الوحي يا سيدي فهو إمكانية تغيّر هذا النظام إلى ما هو أفضل تغيّراً واقعياً مادياً ليكون في الآخرة _ أي في آخرِه_ بحسب ما وصف الوحي . وهذا هو المعنى الحقيقي للغيب . فالآخرة هي آخرة في الزمان وليس في المكان آخرة كما هو واضح . فالأديان الإلهية إنما تتحدّث عن هذه المسألة لا غيرها ، وهي حينما تتحدّث عن المراحل الأخرى فإنما تنوّه عن أهمية القضية المحورية التي تدور عليها غايات وأهداف الرسالات . وهكذا أصبح هذا القسم من الناس يعيشون في أديان هم خارجها ، ويعملون في واقع هم به كافرون ، ويحلمون بتحقيق الهدف الأبعد الخلود الأبدي في جنة

الخلد  من غير أن يعملوا أو يعلموا شيئاً عن الهدف الأقرب . وإذن فما أبعد وقوع هذا الهدف الأقرب ! . ومعلوم أن الهدف الأبعد في نصوص الكتب المنزّلة لا يمكن نواله إلاّ بتحقيق الهدف الأقرب ، ولكننا عملنا جهدنا لصرف النظر عن تلك النصوص وتفسيرها بطريقة تجمع بين الهدفين وتجعلهما واحداً هو الخلود في عالم الغيب ، حيث أوحينا أن الغيب هو مرادف لما وراء الطبيعة . ولم يكن أمام القسم الآخر إلاّ البحث عن ما وراء الطبيعة ودخول الميتافيزيقا . فمن المؤكد أن إلهاً لا يعتني بمخلوقاته إلى هذا الحد ويتركهم على هذا النحو هو إله لا يستحق العبادة ، ومن هنا عاند الإنسان ربه فتارةً أنكره ، وتارةً أراد أن يحلّ محله ، وثالثةً جمع بين الأمرين ، وأخرى حاول فيها تجاوز الطبيعة لمعرفة ما يكمن وراءها . وبعد ذلك وجد الإنسان أنه لا يستطيع القفز إلى ما وراء الطبيعة فهي سدٌّ منيع أمامه فبدأ يغيّر فلسفته وبدأ ينظّر في الأشياء بنفسه ليعلم كنهها وما انطوت عليه . ورأى أخيراً أنه من الأفضل له أن يبدأ بمعرفة الأشياء وقوانينها ، وأن ينتفع بهذا النظام نفسه على علاّته بابتكار الآلات التي توصله إلى غاياته والتي صمّمها من خلال محاكاة القوانين العاملة في الطبيعة أو استغلال خصائصها فكان العالم الطبيعي . كان على الإنسان إذن أن يتفهم المنطق . وحينما وضع المنطق كان فيه مخالفاً للمنطق . فالمنطق الذي ابتكره الإنسان كان ( منطقه هو ) لا منطق العالم والأشياء ، وإذا كان فيه شيء من ظواهر الأشياء وخصائصها فهو لا يعمل حينما يقابله منطق العالم . وحدثت كل تلك الأمور سوية في الزمان وأنتجت ثمارها متفرّقة في الأمكنة وكان وما زال الفيلسوف ينظر في الطبيعة أحياناً ومازال الطبيعي يتفلسف أحياناً أخرى . ولم يكن الإنسان في كل ذلك مخدوعاً من غيره ، بل هو مخدوع بنفسه ومن نفسه ، فهو يشتهي أن نوحي له بما نوحي ، ذلك لأنه هو الذي يغيّر غايته وهدفه عن قصد وسابق عمد . وهو إذ يتساءل عن أشياءه الضائعة _ وجوده وسلطانه وبقاءه وغايته وحريته _ فإنما يتساءل عن أشياء يمسكها بيده ويتظاهر بأنها ليست هي ، ثم يبحث عنها ، فإن فعله بالأشياء عموماً هو نفس فعله بكل واحد منها على انفراد . أنت تعلم سيدي الرئيس إن الأنظمة سيئةً كانت أم حسنةً تسود عالم الموجودات ، ويكفي لفهم أي نظامٍ فتحُ بابٍ واحدٍ ، فإذا لم يُمكِّن النظام من نفسه فلا يعدُّ نظاماً . وقد خبِرَ الإنسان ذلك في علم الطبيعة ، فالحلّ الذي ينتزعه من الطبيعة لأمرٍ عصيٍّ على فهمه هو حلٌّ لمشكلات أخرى ، وهو باب تنفتح منه أبواب كثيرة وبلا حدود لمعرفة ذلك الشيء وما يرتبط به . وإذا كان الفلاسفة قد انتبهوا أخيراً إلى ضرورة محاكاة العلم فقد كذبوا في النوايا لأنهم لم يشكّوا قط في جميع الأشياء التي يرغبون في بقاءها على حالها الأوّل ، واقتصر شكّهم على ما يريدون الشكّ فيه وبشكلٍ كيفيٍّ . ويا سيادة الرئيس إنني إذ أقصد إلى إطالة هذا الكلام فلأني أوشك أن أصل إلى النتيجة التي ترضي سيادتكم كل الرضا .

الرئيس : لو بقيتَ دهراً تتحدّث فلن نعجل . فأنا لست إنساناً لأعجل . الإنسان هو الذي يعجل ، ومع ذلك

فإنه يقطع زمانه بلا نتيجة .

المشرقي : خلاصة كل ذلك : إن فلسفة الإنسان ، ناقشت عقل الإنسان وقدراته المعرفية ، فعزَت كل خير وشرّ إلى عقل الإنسان وربطت المعرفة بهذا العقل . وحينما أقول أنهم ( كذبوا )فإني أقصد ذلك ، فإن مشكلة الإنسان ليست في عقله لنخشى عاقبة عمله العقلي . فليرقَ الإنسان إلى السماء ، ولينزل إلى أعماق البحار ، وليكشف بعلمه الآلاف من الأسرار فإن صراعنا معه ليس صراع عقلٍ مع عقل . إن عقل الإنسان هو عقلٌ جبار ، وهو مصمّم لمعرفة هذه الأكوان المحيطة به . أرأيت لو أن عقلاً آلياً أدخِلت فيه كل المعارف والأسرار أيُصبحُ هذا العقل خطراً خطورةً نخشاها ؟

الرئيس : كلا لن يكون خطرا علينا إلاّ إذا شُحِن بشيء من ( الحرية ) .

المشرقي : ذلك هو بيت القصيد _ كما يقول الإنسان _ ونحن إذ سلبنا منه حريته وجعلناه لا يقدر على أن يأمر عقله ليحسب له الأشياء بطريقة أخرى فقد أصبح آلةً في أيدينا . إن القوّة المدمّرة الكامنة في الأسرار بالغةً ما بلغت فلن يقدر على توجيهها إلاّ إلى تدمير نفسه . إن عقل الإنسان يحسب الكثير من الأشياء ويحصل على كثيرٍ من المعلومات . ويرى الجميع أن العقول المختلفة تحسب الأشياء بطرقٍ مختلفة ، فكم من عاقلٍ ناجح في عمله حسب الأشياء بطريقةٍ مختلفة عن أقرانه وهو يؤكّد أنه لم يفته شيء من العناصر التي يذكّرونه بها ؟ . وربما دفعه إلى هذا الحساب الحبّ أو البغض أو بواعث أخرى . إن عقل الإنسان ليس سوى آلة لا تملك قطميراً من الحرية ، إنه آلة حاسبة ومركزٌ لتنظيم السجلاّت والمعلومات واستخلاص النتائج والتقارير . وهناك شيء آخر في الإنسان جعلناه ينساه تماماً . هو صاحب الشأن الذي يتخذ القرارات وهو الذي يأمر وينهى . والذي هو جوهر فردٌ لا تستطيع جميع القوى الموجودة من النفاذ إليه أو التأثير على قراراته الحقيقية . وهذا الشيء يأمر أحياناً بخلاف ما يعتقد ويصرّح حال الخوف والضغط بعكس ما يؤمن ولكن قراراته الداخلية الفعلية وملفّه السرّي شيء آخر يختلف أحياناً كثيرة عن ملفّاته المتداولة على أيدي الجوارح ، وهو يعمل أيضاً كمحارب من طراز رفيع . فهو قد يأمر العقل بأن يحسب له الأشياء بطريقة معيّنة مخالفةٍ لما يعتقد ومخالفة للمنطق _ كما لو كان مضطراً أو راغباً في قراءة تقرير عن نجاح أو فشل شيء من الأفكار أو المشاريع نكاية بعدوٍ له أو خوفاً من أحد أو رغبة في التظاهر أو لأسباب أخرى لا حصر لها . وهو يستعمل هذا الأسلوب يوميا حينما يقوم ( بتشجيع ) طفلٍ يتعلّم أو يغازل امرأة يرغبها أو يهدّد أو يشجع أناساً يعملون لديه . فالعقل إذن آلة مأمورة تنفّذ ما يطلب منها . وهو مثل مركز المعلومات ، أو هو مثل ( دائرة ) تقوم بحساب جميع الأشياء من المعطيات المتوفّرة لتقدمها إلى الرئاسة . إن فلسفة الإنسان لا تدخل مقرّ الرئاسة ولا تحاول الإطلاّع على ملفّاته السرية وتكتفي فقط بالحديث عن مركز المعلومات والحاسبة . . ذلك لأن الفلسفة كأيّ نشاط فكريّ آخر

إنما هو صادر في الأصل عن ( الذات الآمرة ) . وليست الفلسفة الخارجة في النهاية إلاّ حسابات ومعلومات المركز ، فأن الذات لا تتحدّث عن نفسها ولا تكشف سرّها لأحد . وهذا الأمر يمارسه الناس دوماً ويفعلونه أفراداً وجماعات ودولاً بلا اختلاف . وحينما نُرجع مشكلات الفلسفة إلى عللها كما يفعل الإنسان فإنها سوف تتجمع سويةً وتعود في النهاية إلى مشكلة واحدة فقط وإلى سبب واحد وحسب وهو العلاقة بين هذا الآمر الداخلي وبين العقل . وهذه المسألة هي التي أهملت تماماً من قبل جميع الفلاسفة . هل بمقدور أحد أن يسأل دولة من الدول عن نواياها الحقيقية الكامنة وراء قرار سياسي تتخذه ؟ وهل يأمل أن تخبره الدولة بشيء أكثر مما هو معلن ( رسمياً ) ؟ . وهي إذا افترضنا تريد الاستجابة لهذا الطلب الغريب فلن يكون الشيء الآخر المعلن إلاّ ( حساباً آخر ) جديداً لمراكز الحسابات ووسائل الإعلام . وحينما نحدُسُ أن المعلن مطابق تماماً لإرادة الحكومة ونواياها ولا يزيد أو ينقص عنها شيئاً فهل تُعلِن أن حدسنا حق ولو كان الأمر فضيلة من الفضائل ؟ . كلا لأنها لا تود أن تعلِمنا أن تفريقنا بين المعلن وغير المعلن هو شيء صحيح فعلناه حتى لو كان في صالحها . سيادة الرئيس ...إن نفس الإنسان مركبة مثل تركيب الدولة الكبيرة ، وإن في بدنه وروحه ونفسه أجزاء تشبه أجزاء الدولة . والفلسفة حينما تتحدث عن العقل وقدراته فإنها في الواقع لا تريد التحدث عن نفسها . ولن تنجح الفلسفة حتى تجعل اختيار الذات الآمرة مرتبطاً بالتجربة . إن الفلسفة لا تريد أن تكشف عن حقيقتها لأن حقيقتها ليست في كونها نشاط عقلي محض . إذ لو كانت كذلك لكان الفلاسفة كلهم على قولٍ واحدٍ ما دام العقل ( عند الفلسفة ) قدرة كامنة في الإنسان تعتبر في مجموعها شيئاً واحداً ، وما دامت الموجودات المحيطة بالعقل موضوعَ نشاطه هي نفس الموجودات . مَن ذا من علماء الطبيعة يزعم أن قوانين الحركة خاطئة أو إن التفاعلات الكيميائية تحدث بطريقة أخرى ؟ فما هو سبب الاتفاق عند علماء الطبيعة ؟ . ليس الاتفاق هنا هو أن الظاهرة تعلن عن نفسها بقانون أو تُعلَم بالحواس بحيث لا يمكن الاختلاف حولها كما يزعم الإنسان . إن الاتفاق في العلم والاختلاف في الفلسفة له منشأ آخر هو منشأ الذات الآمرة للعقل . ففي العلم تأمر جميع الذوات العاملة عقولها أن تعمل بكل جهد وبكل صدق لفهم ما يحدث في الطبيعة . وحينما تأتي المعلومات وتجتمع في البدء وتظهر الحاجة إلى جمعها في تفسير واحد ، تجد الذوات ( فرصتها ) في الاستحواذ على المعلومات وإرجاعها إلى تفسيرٍ ( ذاتيّ ) تظهر فيه ذاتية الإنسان لا الظاهرة فحسب . والذي يجعلهم يتّفقون في النهاية على تفسيرٍ موحّدٍ ليس هو ( ظهور حقيقة ) التفسير الأصحّ بحيث أنه لا يقبل اختلافاً عند تلك الحدود ، إنما يعود سببه إلى المرحلة التالية في دراسة الظاهرة _ المرحلة التي تأتي بمعلومات تؤكّد تفسيراً واحداً وحسب ، وبهذا تنهار ذاتية التفسير بضربة من موضوعية الظاهرة الطبيعية . والتفسير الذي يفوز في النهاية ودوماً هو التفسير الأبعد عن ذاتية الإنسان

الناظر إلى المعلومات على أنها ملك الظاهرة وليست ملكاً لصاحب الاختبار . والدرس الذي ينبغي للفلسفة أن تتعلّمه من العلم هو هذا الدرس فقط لا سواه . ولكنها لن تتعلّمه قط ما دامت هي فلسفة وليست حكمة .

الرئيس : فهمتُ ما تقول ولكن قوّتي الجبّارة لا يضاهيها سوى خوفي الشديد من الإنسان .وإلاّ فلماذا يتناقش الناس ويتجادلون ؟ أليس في عقل الإنسان ( مخطّط ) أساسيّ ترجع إليه في النهاية كل الحسابات ؟ ولنفرض أنه ( مخطّط ) مصمم وفق طبيعة الأشياء فماذا تقول ؟ .

المشرقي : وأنا أسأل أيضاً أيها الرئيس لماذا يتجادل بنو الإنسان ؟ فإذا كان ثمة مخطّط من هذا النوع فيفترض أن لا يتجادلوا ، وإذا تجادلوا فيُفترض في أسوأ الأحوال أن يتّفقوا في النهاية عندما ترجع الإشارات إلى الأصل وتُثار المعلومات الأساسية الموضوعة في المخطّط . إن ما تقوله أيها الرئيس صحيحٌ ولكن على نحوٍ آخر ، إنه تماما على النحو الذي صنع به الإنسان آلته الحاسبة .

الرئيس : حتى الطغاة والجبابرة يقرّون بحسن الفضيلة وقبح الرذيلة فما تقول ؟ .

المشرقي : الرذيلة والفضيلة في العقل عبارة عن ( أرقام مجردة ) في حاسبة . إنها ألفاظ تحتاج في العقل إلى أن ( تملأ ) بمفاهيم كما تُملأ الحاسبة بالوحدات التي لها مفاهيمها ، والتي أنت حرٌّ في صياغتها بالشكل الذي تريد . أنت تضرب الأرقام وتقسّم وتطرح والمجاور لا يعلم إن كانت تلك نقود أو أفراد شعبٍ تريد إهلاك بعضه والحاسبة أيضاً لا تدري . أنت وحدك تعلم ذلك . الرذيلة سيئة جداً عند الجميع ، والحاسبة تعمل بنظامٍ موحد هو نفس النظام والعقول تعمل بنفس النظام الحسابي وفيها جميعاً معادلة ( الرذيلة سيئة جداً ) . لكنّ ما هو رذيلة عند المسيح مثلاً يكون فضيلة عند فرعون والعكس بالعكس ، فليس عليه أن يذكر ذلك لأنه يعلم ما هي الفضيلة وما هي الرذيلة ولكن هذا العلم ليس مركزه العقل وإنما هو محفوظ فيه ، ففي جزءٍ من العقل يوجد أرشيف ) للمعلومات ، وليس العقل هو الذي يعطي المفاهيم للألفاظ . ومعلومات الأرشيف كأيّ جزءٍ آخر من العقل ليست ملكاً للعقل بل هي ملك الذات الآمرة .وحينما تضغط على الزر لأي فرعون لتسأله عن الرذيلة تظهر على الشاشة الإجابة التي هي نفس المعادلة عند جميع الخلق : ( الرذيلة سيئة جداً ) . ليس هذا هو المهم ، المهم هو أنك إذا سألت عقل فرعون : هل إن إجبار الناس على أن يعتقدوا بما يعتقده المرء رذيلة ؟ . في هذه الحال سوف يتأخّر ظهور اللافتة على شاشة عقل فرعون وستظهر بعد حين وهي تقول : أحياناً ! ...ولكن إجابة المسيح ستكون : ( نعم رذيلة من أبشع الرذائل . ) وتستظهر هذه الإجابة بكل سرعة . وحينما تسأل : هل إجبار فرعون للناس على أن يتّخذونه إلهاً رذيلة ؟ فسيجيب فرعون : كلا إنها من أعظم الفضائل لأني ) ... ويبدأ العقل بحساب مختلف ) . أمّا المسيح فستكون إجابته هي نفسها : ( نعم رذيلة من أبشع الرذائل .

) وبنفس السرعة . فمن أين جاء الاختلاف بين الإجابتين والمعادلة الأصلية واحدة ؟ . كلّما اقترب السؤال من الذات الإنسانية كلما اختلفت الإجابات . الذات هي التي تضع المفاهيم للألفاظ . وتلك هي حرية الإنسان ، إنه قادر على أن يأمر العقل فيجيب على النحو الذي تريده ذاته وليس على النحو الذي يريده عقله . إن العقل مسلوب الإرادة مسلوب الحرية ، إنه آلة منفذةٌ وحسب ، وهو الأمر الذي أغفلته فلسفة الإنسان . وليس بمقدور المرء افتراض عقل يعمل بحرية تامةٍ ، ببساطة لأنه لا وجود لعقلٍ مجردٍ ، فكل عقل إنما هو في جسم ونفس وتملكه ذات ، فليبك إذن عمانوئيل كنت (١) ! . ولذلك فإن أيَّة نظرية للمعرفة تقوم على ملاحظة العقل وقدراته إنما هي نظرية تتحدّث فيها الذات عن نفسها ولا تتحدّث عن عقلها فضلاً عن عقول الآخرين أو ذواتهم . صحيح أن العقل مصمّم لمعرفة الأشياء على وجهها الصحيح ولكن من أين يأتي اليقين للذوات أن ذاتاً معينةً قد أعطت عقلها ( حرية ) في أن يقوم بحساب الأشياء وملاحظتها وفق نظامه الأساسي بلا تدخلٍ منها ؟ . لم يدّعِ ذلك أبداً أي واحد من الرسل ولكنه يفعل ما هو عكس ذلك تماماً : إنه يطلب من كل ذات سامعة لكلامه أن تعطي حرية لعقلها ليتمكن من الحكم في صدق رسالته أو كذبها . إن الفارق بين الفيلسوف والرسول هو كالفارق بين العدم والوجود . فالفيلسوف يقول للناس انظروا ( ذاتي ) والرسول يقول ( انظروا ذواتكم ). الفيلسوف يقول ( موتوا كي أحيا ) والرسول يقول ( أموت لتحيوا ) . الرسول يعطي لعقله حرية لتعقل الأشياء ويجعله عقلاً مجرداً ولكنه لا يعلن عن ذلك ولا يدّعيه لأنه لا يمكنه أن يبرهن على ذلك إلاّ من خلال تحرر عقول الآخرين . فتحرر عقول الآخرين هو برهانه الوحيد ، بينما يكون تقييد عقول الآخرين هو البرهان الوحيد للفيلسوف . إن الفيلسوف مستعبِدٌ والرسول محرِّرٌ . أيُّ عالمٍ هذا الذي لا يُرى ولا يُحس ولا يمكن تعقّله إلاّ بعقل الإنسان ؟ . فانظر إلى تخبّطهم : العالم موجود ، بل العالم غير موجود إلاّ في ذاتي وشعوري بل العالم حقيقة وهو بنظام صارم ونظامه بديهية ، العالم إرادة ، العالم صورة أولى للعلّية ، العالم علة كافية ، العالم في الخارج وهم ، العالم هو مجموعة تصوّراتنا . العالم هو إرادة الحياة والحياة شرّ محض . ليست هذه تعريفات للعالَم عند فلاسفة كثيرين بل هي تعريفات العالم في فلسفة ذاتية واحدة لواحد منهم (١) . ولكل واحد منهم سجلّ حافلٌ بالتعريفات المختلفة والمخالفة والمتناقضة للعالم . لقد هذّبت دراسة الطبيعة من خلال التجربة نفوس علماء الطبيعة بما لم يستطع التأمل العقلي وحده أن يفعله في نفوس الفلاسفة . فالخدعة مستمرة والفيلسوف أوّل من يخدع نفسه وهو لا يثبت على شيء من قوله إلاّ ذلك الشيء الذي بدأ منه وأراده أن يكون محوراً لفلسفته ، وبعد ذلك يلوي اللغة ليّاً ويطوي المسافات طيّاً ويأتي بجميع الأشياء ليبرهن بها على نحوٍ تعسفيٍّ على الأمر الذي أراده أن يكون محوراً لفلسفته . ولا يهمه أن يأتي بألفاظ جديدة واصطلاحات مختلفة يختلقها من وهمه ويُضفي عليها وجوداً معيناً لتكون سلّما للوصول إلى هدفه

. فهدفه سراب وطريقه وهم وعمله مخادعة . ولو أني كنت من بني الإنسان لما اشتغلت بالفلسفة مطلقاً إذ كيف أفقد جزءاً من حياتي القصيرة كان مخصصاً لمتعتي أو لفهم ما حولي من الموجودات فإذا أنا أفقده في أفكارٍ تأخذني وتعيدني إلى موضعي كل مرّة لمجرد أن أحدهم يعجبه أن ننظر إليه بعيوننا المفتوحة من الدهشة ؟ . لكني لحسن حظي لم أفعل ذلك إلاّ وأنا من الجن حيث العمر مديد والبصر حديد والشباب دائم ! وكل ما أريد قوله سيدي الرئيس هو أن عقل الإنسان ليس خصمنا لنخشاه ، ومع ذلك فهو لم ينتبه إلى شيء سوى عقله . وفوق هذا فهو لا يقدر للآن على إعطاء تعريفٍ واضحٍ لعقله ولم يحدّد بعد قدراته وإمكاناته ولم يفكّر بعد في علله وأعطاله واشتباهاته ، فأنّى له أن يغلبنا أو الانتصار لنفسه منّا ؟ ؟

الرئيس : بُشّرتَ بكل شر ووفقت لجميع الشرور .

(يدخل في هذا الوقت المارد جليوتا )

الرئيس : لقد تأخّرت يا جليوتا كثيراً ، أكثر من الوقت اللازم لتنفيذ ما أمرتك به . أين كنت ؟ .

جليوتا : هذا صحيح سيدي . أنت تعلم أني تعلّمت لغات بعض الكائنات كالطيور والنمل والحشرات والنحل وذلك هو سبب تأخيري .

الرئيس : ماذا تعني ؟

جليوتا : وجدت حشرة من ذوات المنطق تخطب في جمعٍ من الحشرات من جنسها فاستوقفني ذلك حتى أنهت كلامها لأنها تحدّثت عن الإنسان وتحدّثت عن طباعه المشينة .

الرئيس : فاعجل بشر .

جليوتا : لم أحفظ ولم أسمع ما سبق من حديثها ألاّ من قولها : أما الإنسان يا أخواتي فالحذر الحذر . لأني إذا أوضحت لكم مخاطر ما جرى على بالي من الكائنات فإن خطر هذا المخلوق هو أكبر من مجموع مخاطرها . ولا يمكنكم أن تتوخوا الحذر منه ما لم تعلموا طبائعه وخصائصه أسوة بما أوضحته لكم من ( طبائع الحيوان ) . فهو بخلاف باقي الحيوانات في هذا الأمر ، فليس فيه خصلة أحسن ما تكون وأخرى سيئة أسوأ ما تكون ، على غرار ما أوضحت لكم لباقي أصناف الحيوان . فهو أحسن المخلوقات إذا حسُن وأسوأها إذا ساء _ هكذا كله دفعةً واحدةً . ولأني لا أتوقّع أن يمرّ بمساكنكم منه فرد حسن ، لأن الحسن فيهم كنسبتكم إلى الجبل فإني أذكر لكم طبائعه . فأسوأ خصال السوء فيه هو ( الكذب ) . فعجبت الحشرات وقلن لها : ما تقولين ؟ ! إن هذه صفة حسنة وليست سيئة ! فقالت : نعم لأني لا أعرف إلاّ هذه المفردة ولكنها ليست بهذا المعنى الذي تفعله معاشر الحشرات . هل رأيتنّ مرة حشرة تخبر صاحباتها عن شيء من الطعام أو العدو فإذا ذهبن إلى هناك لم يجدن طعاماً ولم يلاقين العدو ؟ . فقالت الحشرات

: كلا وأنّى يكون هذا ؟ . فقالت : فالإنسان هذا هو طبعه ، يستعمل الكذب أكثر ما يكون مع أبناء جنسه لا مع عدوه من بقية الكائنات . فأخذتهن ولولةٌ صاخبة فواحدة تقول وكيف لا يفنى جنس هذا الكائن العجيب ، وأخرى تقول لا بدّ أنه سيهلك نفسه ، وأخرى تقول هذا اغرب ما سمعته عن عجائب المخلوقات ، ورابع من الذكور يقول : ألا يتوقع الفاعل أن يفعل به الآخر مثل فعله ؟ . فقالت الخطيبة : فإني أحدثكم بما هو أعجب فإذا لم يجد هذا الكائن أحداً يكذب عليه استعاض عن ذلك بأن يكذب على نفسه ! . فعلا صياح الحشرات وقلن للخطيبة : هذا يكفي فإننا لا نريد منك الآن إلاّ أن تفعلي ما تقدري عليه لتجدي لنا أرضاً لا يمر بها هذا الكائن أبداً حتى نرتاح من ذكره قبل رؤيته . فقالت : على رسلكن ! فلو كان إلى ذلك سبيل لما حدّثتكن عنه . فقال الذكر : وممّ تعجبون فإن من يفعل الأولى يفعل الثانية . من خدع جنسه خدع نفسه . ثم إن الخطيبة قالت : وأما الطبع الذي خرج من هذه الصفة فهو الفخر واحتقار بقية الكائنات . فقالت الحشرات : وكيف ذلك ؟ . فقالت : يزعم أنه يدرس طبائع الحيوان ونسي أن يدرس طبائع نفسه ، فلماّ أراد التمييز بينها وبينه عرّف نفسه تعريفاً فيه هذه الصفة فقال : ( أنا حيوان ...عاقل )(١). وقد كذب في ذلك لأنكم ترون بأننا وإخواننا من النحل والنمل وجميع الأمم المجاورة من الحشرات عقلاء أيضاً . وذلك أنه أراد أن يعرّف العقل فقال : هو وضع الأشياء في مواضعها ، فهل رآنا مجانين نرمي بطعامنا في الشقوق بحيث لا نصل إليه أو نرمي بأنفسنا إلى مهاوي التهلكة ؟ . ثم أنه عرّفه فقال : هو الذاكرة ، فهل رآنا نضع الحاجة ولا نعود إليها ونخرج من جحورنا وندخل جحر الضبّ أم أننا نرجع إلى موضعنا ونذكر أبنائنا ومواضع طعامنا ؟ . إنما غرّه منا صغر حجومنا فظن أنه وحده الذي يمتلك ذاكرة في عقله . وإنما لكل كائن منا الذاكرة التي يحتاجها والتي تناسب حركته وعمره وغاياته . أتذكرن حينما درسنا لغة النحل في خفق أجنحته ولغة النمل المؤلفة من أوضاع أرجله ؟ وحينما سألني أحد التلاميذ قائلاً : هل تعلمين سيدتي أمّة من الكائنات ليس لها شيء من اللغات فقلت له : لا أعلم ذلك ولكني أعلم أن صنفاً من الكائنات عرّف نفسه لنفسه فقال : أنا كائن اختلف عن الكائنات في كوني أمتلك لغة فأنا الوحيد ( الحيوان الناطق فيها ) ؟ !فقال بعضكم : ما أشدّ جهله ! فقالت الحشرات : نعم نذكر ذلك . فقالت : فذلك القائل هو الإنسان ، وذلك هو تعريفه الآخر لنفسه ( حيوان ناطق ) . وقد حفظ أفراد هذا الجنس هاتين المقولتين اللتين ذكرهما الأذكياء ، وعدّوهما من أروع ما قاله هذا الجنس بشأن نفسه . فقال أحد الذكور : ربما يقصد بقوله ( أنا حيوان ناطق ) أن لغته هي أصوات لا أنه منفرد باللغة . فقالت الأستاذة : وفي هذا يكذب أيضاً لأن لبعضٍ من إخواننا من أمم الطيور لغةٌ من الأصوات ، ونحن معاشر الحشرات لبعضنا لغة منها أيضاً ، فليست لغة الأصوات حكراً عليه . ثم إن الأستاذة عمدت بعد ذلك إلى تلاوة أشياء زعمت أنها من كتاب ربها لتعوّذهم بها من شرور الإنسان وجهله ولم أفهم منها شيئاً لأنها

كانت بلغة قديمة من لغات الحشرات . فذلك سيدي هو عذري في التأخر عن المجيء إلى هذا الوقت .
الرئيس : قد عذرتك في ذلك ، وأما أنا فسأقتص من الإنسان حينما أسلّط على جسده إذا مات هذه الحشرات وغيرها من الديدان ، فأفرق مادته الوجودية في أجسادها كيّما أحضّرها للفناء المتأصّل في عدميّتي . وأما في حياته فإني أسلّط عليه قوى الفناء الدقيقة التي لا يراها بعينه ولا يحسّها بيده ولا يعلم إن كانت هي أحياء أم جماد فهي خارج بدنه جامدة ، وداخل بدنه حيّة تتكاثر مثل يأجوج ومأجوج فتهاجم جسده وتسكن أعضاءه وتحطمه شيئاً فشيئاً ، وكلما أعطيته فرصة لمعالجة نوع منها ابتكرت له لوناً آخر ...فلن أترك هذا العتلّ الزنيم المستكبر حتى أُذلّه وأهينه وأجعله أحدوثةً للموجودات وعبرة للكائنات حتى يُقرّ بعبوديته طائعاً أو كارهاً ، ولن ينقذه شيء من قوتي العدمية إلاّ الفرار إلى العبودية . أيها المشرقي ماذا يقول فلاسفة ( الإسلام ) عن فعالي بهم ؟ بل تكلم أنت يا مغربي !
المغربي : سيدي الرئيس . أنت تسألني عن شيء تكلم فيه فلاسفة اليونان والهنود والصين وأهل الأديان ومتكلمو الإسلام وفلاسفتهم وفلاسفة الغرب وجميع الناس . وهذا الشيء يتعرّض للمادة والجوهر والعرض والصور والعقل والمعاد والأجسام وعذابها والأرواح والنفوس ممّا تنوء به العيَرُ حال النفير ، إذا راجعته لك قولاً قولاً وكتاباً كتاباً بأجمعه فبماذا تأمر ؟ .
الرئيس : فاخبرني كيف يتصورون أنفسهم بعد الموت ؟
المغربي : سيدي الرئيس إن عملنا الإيحائي عمل مستمر ، وما دمنا مع الإنسان فلن يصل إلى ما يمكنه أن يسميه ( حقيقة ) وهو مطمَئِن ، فنحن نعمل دوماً وفق مبدأ ( التعويض ) ، إننا نعوض الإنسان في أيةِ فكرة يرغب فيها فنحن لا نرفض له فكرة معينة ، ولما كانت كل فكرة _ تنبثق من نفسه ويضعها من تلقاءها _ تسبّب له خسارة جسيمة يلاحظها بوضوح ، فإننا نوحي له بأشياء تجعله يعوّض هذه الخسارة فيندفع بشراهة لإثبات فكرته بشتى السبل ويدعو الناس إلى اعتناقها واحتضانها لأنها هي التي تحلّ لهم ألغاز هذا العالم . وبالطبع تعمل ( الذاتية ) هنا عملها الفعّال . نحن نلاحظ من هو المتكلم وظروفه وقدراته وزمانه وما يؤثّر عليه . فليس ابن سينا في التعامل مثل ابن رشد ولا الكندي مثل كنت ولا زمن أفلاطون كزمن ديكارت . والإنسان في حيرة لا يدري أين يضع نفسه في هذا العالم . فإذا كان يرغب في الصعود ليكون في مصاف الآلهة فلا بدّ له إذن من أن يقرر أن الروح خالد وأنه سابق على البدن وليس لديه حلّ آخر ما دام هناك موت ، ذلك لأنه يعاني من مشكلة الموت . وإذا كان لا يصعد إلاّ الفلاسفة فلا بدّ من حلٍّ لبقية الأرواح المسكينة . والحل هو أنها ستظلّ في الأرض ولكنها خالدة . وقد تورّط في هذا القول فلا بد من حل . وهل هذه مشكلة ؟! فليقل للناس أن أرواح هؤلاء تدخل في أجسام جديدة على الأرض وهكذا تستمر في العثور على مسكن دائم لها في الأجساد ما دامت الحياة مستمرة ، فهذا القول

هو بالمرّة تفسير لاستمرارها . وهل تتركها هكذا يا فيثاغورس ؟ اعثر على حلٍّ لأنواعها يا أفلوطين ، تكلم يا سقراط فإن بعضها مارس الفجور وبعضها كان شخصاً طيباً غاية الطيبة ولكنه للأسف لم يكن فيلسوفاً ، فهل يذهب الجميع إلى أجسام متشابهة ؟ وهل هذا معقول ؟ فقال سقراط : معك حق فعلاً إذ لا يمكن أن يرجع الجميع إلى نفس الأجسام : ( فالذين مارسوا الفجور بشرهٍ تدخل نفوسهم بالطبع في صورة الحمير أو ما شابه من حيوانات . أما الطغاة والظلمة فإنهم يعودون في صورة ذئاب وصقر وحدّاء وما شابه ... أما الذين مارسوا الفضيلة الاجتماعية والمدنية باعتدال وعدل بعمل خال من الفلسفة ، قل لي بأي معنى يكون أولئك أكثر سعادة ؟ طبيعي أن عودتهم تكون بطريقة ملائمة نحو نوع حيواني اجتماعي فتدخل نفوسهم في النحل والزنابير والنمل )(١).

الرئيس : جليوتا !...لا أظن أن الحشرات التي كنت في ضيافتها اليوم توافق على مقترح سقراط !

)تهب عاصفة من الضحك من جهة الشياطين في حين يواصل المغربي حديثه )

المغربي : أما افلوطين فقال : ( إن أولئك الذين عاشوا حياتهم للمطالب سيمسخون إلى حيوانات تناسب في جنسها لنوع الحياة التي عاشوا فيها ، حيوانات شرسة حيث كانت الحياة مزيجاً من الاستجابة لمطالبهم الحسية والروحية وحيوانات شرهة حيث كانت الحياة حياة شهوات وتخمة )(٢). أما أرسطو فاستهوته التجزئة ولم يجرؤ على تأكيد هذه المسخرة فقال : ( إن جزءاً معيناً من النفس ، النفس الفاعلة هي عنصر قائم بذاته غُرس في النفس ومن ثم فهي خالدة . ( والنفس الفاعلة هي عقل بالفعل ) ... .(3)(وإذن فإن جزء من النفس أو ( أجزاء معينة منها لا تنفصل عن الجسد ، أما العقل فهو عنصر قائم بذاته غُرس في النفس وأنه غير قابل للفناء )(٤).

الرئيس : أليس جعل العقل جزءاً من النفس وتقسيم النفس إلى جزئين واحد يفنى والآخر لا يفنى هو مسخرة أيضاً ؟

المغربي : إنها مسخرة لكنها أهون . فالعقل والنفس كلاهما من غير المحسوسات . صحيح أن العقل والنفس قد أصبحا شيئاً واحداً ، وهو بهذا يخالف منطقه السابق كله في التمييز بينهما ويخالف ما ذكره من أنه يميل إلى الأفلاطونية في كون النفوس موجودة قبل الأبدان والعقول مع الأبدان ، ولكن مَن من الفلاسفة كان كلامه في الصفحة اللاحقة موافقاً لجميع كلامه في الصفحة السابقة ؟ !!. وأما الذين أرادوا للألوهية أن تنزل إليهم وجعلوها هي والوجود شيئاً واحداً ، فتصوّرُهم ( مادي ) محضٌ وإن استعملوا لغة الاصطلاحات الروحية . ولذلك فلا وجود آخر وراء هذا الوجود . ومن هنا أصبح ( إحياء الموتى ) والذي جعلناه في الأديان كما أسلفنا لا يعني سوى إحياء ها في عالم آخر غير هذا العالم أصبح أمراً متعذّراً في فلسفتهم . ولذا كان على الفلاسفة المسلمين أن يجدوا حلاً ( للمعاد الجسماني ) . ولن تكون هذه مشكلة

لأننا سنوحي إليهم بالقول : إذا كانت هناك مشكلة لوجود القرآن والكتب المنزلة ولا تريدون ( الخروج من الملة ) أو إنكم لا تقدرون على التصريح بأن أكثر أهل المِلّة ( ليسوا من المِلّة ) من هذه الناحية لوجود تناقضات كثيرة فهاجموا بنفس الطريقة . تقاسموا الأشياء بينكم ولتكن متناقضة أيضاً ، فإن روح الفلسفة في تناقضها . وهكذا فقد أنكر ابن سينا المعاد الجسماني بعد الموت وجعلناه يستعمل الظواهر التي تدل على المعاد كأدلّة على استحالة المعاد !

الرئيس : أليس هذا غريبا ؟ كيف قدرتم على ذلك ؟ .

المغربي : وما العجب سيدي ؟ ألم نتّفق ونُخبِر أن الإنسان هو كائن ( جهول ) ؟ والجهول ليس كالجاهل إذ الجاهل يحتمل منه العلم مستقبلاً ، أما الجهول فهو كائن ( يحبّ الجهل ) الجهول صفة ملازمة للجاهل أي إن جهله هو علمه وعلمه هو جهله . أولم يقل حكيم سابق : ( ...ورجل لا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم فهو شرّ ) ، ونحن نبحث عن الشرّ ؟. فالجهول سيدي هو رجلٌ إتصف بهذه الصفة وأصبح يعِدُّ جهالته علماً فلا ينفع معه علم حقيقي ليكشف له عن جهله _ لأن من طبيعة المتعلم الشكّ والتردّد في علمه ومن طبيعة الجاهل اليقين بجهله . وإذا كان الناس يعظّمون من هذا حالُه في الجهل فأنت تقدّر جهالتهم . ومن صفة الجاهل الانتباه ولو بعد حين . أما الجهول فإنه ينطق الجملة تلو الجملة وإحداهما تناقض الأخرى فلا ينتبه . وإذا افترضنا أنك ذكّرته بذلك فلن يقرّ ولن يتراجع ولو قطّعت عنقَه تناقضاتُ أقواله . لقد أثبت ابن سينا وجود ( الأنا ) أو الذات من خلال ) ثباتها ) مع اختلاف المادة . حيث قال : فأنت حين تقول ( أنا ) وعمرك خمس سنين ووزنك أرطال قليلة وحينما تقول ( أنا ) ووزنك أكبر أربع مرّات وعمرك خمسين سنة لم تؤثّر زيادة الوزن على نظرك إلى نفسك ! كذلك إذا امتنعت عن الطعام نقص وزنك كثيراً وما تشعر عند ذلك بنقصٍ في ذاتك ونظرك إلى نفسك ولا يقول الناس أن هذا الكائن هو غيرك . فتلك هي نفسك فالنفس جوهر باقٍ ثابتٍ منفصلٍ عن المادة . ثم خطى خطوات أخرى لإثبات أنها ( النفس ) جوهر روحاني لا يعتريه فساد ولا فناء ، كما برهن أنها الشيء الوحيد غير المشكوك فيه . وهو كما ترى أمرٌ واحدٌ من أفلاطون إلى سارتر وإن اختلفت الألفاظ والطرائق للوصول إليه . ولكنه حينما أراد إبطال المعاد الجسماني ذكر أن هذا الأمر مستحيل عقلاً وغير ممكن ( فلســفياً ) لأننا لا نعلم أية مادة سترجع فيها النفس ؟؟ . وقد نسي أو تناسى أنه جعل النفس مستقلة عن المادة ، وأن المادة تتغيّر ولا تؤثّر فيها !فقال إن المادة الترابية على الأرض إذا اشترك فيها شخصان أو أكثر : (. إمّا أن تعود إلى المادة التي فارقتها أو إلى مادة أخرى ، وقيل من حكاية مذهب المخاطبين بهذه الفصول : إنهم يرون عودتها إلى تلك المادة بعينها وعندئذٍ احتمالان : أما أن تكون هي المادة التي فارقتها عند الموت أو جميع المادة التي قرنته جميع أيام العمر )(١) . ثم يبطل ابن سينا هذين الاحتمالين : أما الأول : فلأن

بعض الموتى يموتون ناقصي بعض الأعضاء فليس من العدل بعثهم على هذه الحال .
الرئيس : أكثر ما يعجبني فيكم أنكم تجعلونهم يتركون الموضوع ويتجاهلون الاحتمالات الأخرى ويجعلون ما ( قيل ) – وربما هو من مقولكم أيضاً – أساساً للمناقشة .
المغربي : ولماذا أصبحنا شياطين إذن إذا لم نفعل أمثال ذلك ؟ . أما الأمر الثاني : ( فإن الأجزاء العضوية يغتذي بعضها ببعض وينتقل بعضها إلى بعض في الإغتذاء )(٢).
الرئيس : ماذا يقصد ؟ .
المغربي : هكذا هو عنده كطبيب أيضاً : الكبد يتغذّى من المعدة والقلب يتغذى من الرئتين ، وكل عضو يدفع من غذائه الزائد إلى العضو المحتاج !! . وإذا كان الأمر كذلك فإن مادة العضو الواحد هي مادة بقية الأعضاء أيضاً فوجب أن يبعث الميت ( جسداً واحداً بعينه يداً ورأساً وكبداً وقلباً وذلك لا يصح )(٣). وبالتعبير المعاصر يبعث كتلة من اللحم والعظم غير واضحة المعالم .
الرئيس : ألم يقل هو أن بدن المرء يتغيّر طوال حياته مرات كثيرة وأن مادته تتبدل ولكن نفسه وذاته ثابتة على حالها ؟ فمن أين جاءت المشكلة ؟ إذ يقال مثلا أن الحي يأكل من مادة أجساد الحيوانات وموتى الإنسان فلا تتلاحم أعضاءه ولا تفترق ولا يظهر له قلبان أبداً !! .
المغربي : إذا كنت يا سيدي تسألني فهناك مثلٌ غربي في حالة كتلك ، وحينما يكون المرء عاجزاً عن الإجابة : ( الشيطان يدري ) !. لكن المثل هذه المرّة خاطئ بصفة مطلقة فأنا من أكابر الشياطين ومع ذلك فلا أدري ! وكل ما أعلمه هو أننا أوحينا له ذلك على سبيل الضحك والتندّر فصدّق وجعلها رسالة في أمر المعاد(١) .
المشرقي : لكننا لا نعجز عن تفسير ذلك . إذا كان المعاد جسمانياً فإذن يرجع الجميع فلاسفة وغير فلاسفة . ويريد ابن سينا أن يجعل الفلاسفة وحدهم هم الخالدون لتميّز عقولهم عن عقول الآخرين فلا بدّ إذن من التوصل لذلك بطريقين : الأول إثبات بقاء النفس والتي هي فيما بعد ستصبح عقلاً وتصبح لذّة المعقولات هي اللذة المقصودة في الكتب المنزلة . أما الذين عقولهم ليست فلسفية فلا عقولهم ترقى لتحوي الموجودات في عالم السعادة بعد الموت ولا أبدانهم ترجع إليهم ! .
المغربي : يمكنني أن أقول أن أفكار ( برغسون ) و ( سبينوزا ) و ( ديكارت ) و ( كنت ) و ( هوسرل ) وقادة الوجودية والأنا وحدية لم تكن إلاّ تطويراً لغوياً لمضمون ابن سينا والذي هو ليس سوى تطويراً لغوياٍ _ فيه حيلة على ما ورد في الكتب المنزلة للأفلاطونية . فالعالم في النهاية سيكون في ذات الفيلسوف ، و عند ابن سينا جزئياً في الحياة وكلياً بالترقي بعد الموت ، وعند هوسرل في الحياة فقط لأنه لا يؤمن بوجود أو بقاء الذات بعد الموت .

الرئيس : ماذا قال ابن سينا ؟

المغربي : قال : (إن النفس الناطقة كمالها الخاص أن تصير عالماً عقلياً مرتسماً فيه صورة الكل مبتدأً من مبدأ الكل [لاحظ أنه يبتدئ من ألوهية الذات ]سالكاً إلى الجواهر الشريفة فالروحانية المطلقة ثم الروحانية المتعلقة بالأبدان ثم الأجسام العلوية بهيآتها وقواها ثم تستمر كذلك حتى تستوفي في أنفسها هيئة الوجود كله فتنقلب عالماً معقولاً موازياً للعالم الموجود كله مشاهداً لما هو الحسن الطلق والخير المطلق ومتّحداً به ومنتقشاً بمثاله وهيأته )(٢) . وبهذا تكون نجاة الإنسان ولن ينجو حتى يكون فيلسوفاً . !!

المشرقي : وهذا هو عين ما يريد هوسرل إثباته ( بالأنا وحدية ) حينما يبدأ بتمثّل الصور ثم الماهيات والتي أفنى عمره لأجلها .

الرئيس : هذا صحيح فالذي لا يفرّ إلى الله عبداً يفرّ منه ( إلهاً ) لنفسه . وليس ثمة من يقف في الوسط إلاّ المصابين بعاهات جسيمة تمنعهم من التفكّر ، وسوف تُعطى لهؤلاء الفرصة الكافية ليختاروا ما يريدون . وهذا الأمر هو الوحيد المنطقي . إن الهارب من شخص لا ينوي بالطبع إلاّ المجابهة والانتقام ولو بعد حين . الفارق أن الهاربين من الله إلى أنفسهم لهم فرصة في أن يفعلوا ما يشاءون في وقت فرارهم وبضمنها أن يتفلسفوا .ثم قل لي يا ابن سينا أين تذهب هذه الملايين من الخلق من غير الفلاسفة ؟

المغربي : يقول ابن سينا أن مادة الأرض لا تكفي لحشر جميع المخلوقين على صورة المعاد الجسماني : ( لأن النفوس الناطقة على تقدير قدم العالم غير متناهية فيستدعي حشرها جميعاً أبداناً غير متناهية فتحتاج إلى أماكن غير متناهية ، ولكن الثابت تناهي أبعاد المكان بالبرهان )(١) . ثم قال : ( لكننا نبين برهانياً أنه لا يمكن أن تعود النفوس بعد الموت إلى البدن البتة )(٢) .

الرئيس : ألم ينتبه أحد إلى أن ( تقدير قدم العالم ) هنا هو من آراء المنكرين وعنده أن العالم حادث فكيف يبني نتائج على فلسفة تعارض رأيه في الحدوث والقدم ؟

المشرقي : العبارة نفسها يثبت فيها محدودية المكان ، وهذا لا يكون إلاّ عندما يكون العالم مخلوقاً غير أزلي . فالمكان المحدود والمادة المحدودة نتج منها خلق غير محدود فإذا أُعيدوا بالبعث الجسماني فالمادة لا تكفي لجميعهم !!! .

المغربي : فأيُّ شيء أعظم من هذا يجعلك مطمئنّا سيدي الرئيس ؟ . إن الذين صدّقوا هذا الكلام هم بالنسبة لنا دمىً نلعب بها لا غير .

الرئيس : المارد جليوتا ! هل صحيح أن الجبال والصحاري والهضاب والوديان والسهول وقاع البحار

والمحيطات لا تكفي لحشر الكائنات الإنسانية على هيئة أبدان كما كانت قبل موتها حسبما يقول ابن سينا ؟

جليوتا : لا أظنّها مشكلة ، فبعد أن ( يتوحّد ) ابن سينا مع ( الكل ) ويُصبح هو و ( الوجود الكلي ) سواء فسيقترض ( الله ) منه شيئاً من مادة الكواكب الأخرى والمجرات لحشر المخلوقات على الأرض !! .

الرئيس : إذا أراد أحد أن يفهم هل المادة لا تكفي أم المعاد الجسماني ممتنع في ذاته فأيهما هو الذي يؤمن به ابن سينا ؟ .فثمة فرق بين ما هو ممكن وما هو ممكن غير مقدور .

جليوتا : كل شيء سيدي كل شيء . إن مبدأ الفلاسفة هو : قل أي شيء يخطر على بالك لعله ينفع !! .

المشرقي : وهكذا ولّدت المادة المحدودة على الأرض أجساداً لانهاية لعددها ، ويفهم ذلك من عبارة واحدة فقط ، أما كيف تُفسّر آيات الكتب المنزلة والتي تصّرح بشيء خلاف ذلك كله فليس هو من مهمة الفيلسوف ، إنما هو من واجب أهل اللغة والنحو والتفسير حيث يتوجّب عليهم صرف المعاني لمطابقة أفكار الفيلسوف . ومعلوم أن هذه المهمة ليست عسيرة مع وجود ( المرادفات ) و ( الكنايات ) و ( الاستعارات ) وما شابه .

المغربي : وأما إذا كان المرء يرغب في إنزال الألوهية إلى الأرض _ وهي المرحلة المتطورة عن الأفلاطونية والتي تعهد برعايتها فلاسفة ( الإسلام ) فإنها تظهر بصور وأشكال عديدة . وتصبح الألوهية في هذه الحالة مرتبطة بالمادة من أسفلها لا من أعلاها ، وتُصبِح المادة هي التي تفسّر وهي التي تتحكم في الإعادة والبعث . ولمّا كان لا يلاحظ من هذه الفاعلية إلاّ هذا التوالد المستمر للكائنات ، فالإنسان هو أشرف هذه الكائنات المتولّدة باستمرار .ويعزّ عليهم ذهاب نفسه هباءاً بعد الموت وتفرق مادة جسده وتحوّلها إلى تراب ، ولذلك لا بدّ من شيء ( أخلاقي ) يردع هذا الكائن عن فعل الشر ويبقيه شريفاً وألاّ فليس هناك دار أخرى لهذا الكائن . فليكن لهذا الكائن روح أو نفس . والقيامة تعبير مجازيٌّ عن خروج روحه من بدنه ، ثم ( يقوم ) بها بدن آخر غيره . فهو إما مسرور في هذه الأبدان أو معذّب فيها ، أبدان منعمة وأخرى معذبة رديئة الطبع ، فالإنسان كروح يتنقل في هذه الأبدان فهي جنتهم وهي نارهم . وعلى هذا الرأي فرق عديدة من فرق ( المسلمين ) . وأما إذا كان لا يرغب في بقاء الروح بل لا يرغب في وجودها لأنه لم ير شيئاً يدلّ عليها في عالم المحسوسات فالتعويض يتمُّ ( بالأنا ) في هذه الحياة .

الرئيس : لكن الألوهية هنا قاصرة فالإنسان يموت وتلك هي الحقيقية الوحيدة التي لا يمكن إنكارها .

المشرقي : في البدء ( الإنسان ) كنوع أبدي خالد ، لأن العالم قديم ومادام الإنسان قد بقي حياً وأنتج حضارته ومدنيته فهو أقوى وأبقى من ( الديناصور ) الضخم الغبي ، ولذلك فهو نوع خالد أبديّ لأن

العالم أزلّي . ولكن الصدمة في ( القنبلة النووية ومن بعدها الهيدروجينية والنيوترونية وأسلحة الدمار الشامل ) قد قلبت المعادلة . فحينما يهددنا خطر غير معلوم القوة والوقت تظهر ( الأنانية ) بأجلى صورها . قد لا يكون للمرء بقاء بالنوع الأول فيحاول الاستحواذ على أكبر قدر من الحياة المتبقية مثل ما يفعل هوسرل أو يتشاءم جداً ويتحدّى في آنٍ واحدٍ مثل ما يفعل أي ملك أو طاغية عند اقتراب أجله ، لذلك انفصلت الأنا عن النوع لتشير إلى ذات المتكلم . الموت هو الشيء الوحيد الذي يرعب هذا الخلق فيحاول جاهداً التخلّص منه ولو بالأوهام . وبنفس الطريقة يرى الفارابي أن الموتى الذين لم ترق عقولهم إلى درجة التفلسف فإن مصيرهم هو الفناء . أما الفلاسفة فعقولهم ترقّيهم لإدراك الموجودات وبالتالي التسامي فوقها وعقولهم الفعّالة لا تموت إنما هي خالدة . لكن الفارابي لم يقسّم الآخرين ولم يُعطنا إشارة عن مصير الأشرار ذوي العقول الفعّالة والتي كانت فعّالة في الشرور ، كما أوضح لنا مصير العقول الفعّالة في الخير !

)يستأذن أحد المردة بالحديث ويظهر أنه خزنابو مارد الضحك )

خزنابو : لو سمحت سيدي الرئيس فقد تمنيت قبل قليل أن أكون إنساناً ! .

الرئيس : لماذا ؟

خزنابو : لعلي أموت بسرعة فارجع ملكاً أو رئيساً في دولةٍ نامية ! .

الرئيس : أليس من الأفضل في دولة صناعية كبيرة ؟

خزنابو : كلاٍ سيدي . رئيس الدولة النامية أفضل ، حراسته من الغرب وطعامه من الشرق ، وهو بعد ذلك غير مسؤول عن أي شيء مما يحدث من الشرور في المشرق أو المغرب .

الرئيس : وهل سترجع روحك أم نفسك إذا حدث لك ذلك ؟

خزنابو : إن الفلاسفة لم يناقشوا نفوس وأرواح الشياطين . كانوا مشغولين بأرواحهم وأنفسهم . ومن حسن الحظ أن النفوس والأرواح عندهم من المترادفات ، ولم يسأل أحد قبل الرئيس عن الفارق إلاّ بعض الذين لا يهمّهم هذا الفارق كثيراً . وأنا شخصياً لا أومن بشيء سوى المادة . ومن يدري لعل الذي يتحدّثون عنه في أنه ( ما وراء الطبيعة ) سيجدونه يوماً ما ، ( قبل الطبيعة ) أو ( في قلب الطبيعة ) ، وإن كل ما حدث سابقاً هو أنهم ما كانوا ( يبصرون ) هذه الأشياء . ولربما أدخل مختبرات الفيزياء والكيمياء والأحياء المجهرية وهناك أضحك من عقل الإنسان . يقول الرجل وهو يفتح عينه في مجهر إلكتروني لصاحبه : وهل تصدِّق بوجود الشيطان ؟ أنت شخص متخلّف فعلاً ، كأنك لست من الغرب . وأنسى أحياناً واجباتي وأتمنّى أن أخبره أن في غرفته قوىً كثيرة لا يلاحظها ولا يهتم بها وأنه ينظر الآن في كائنات دقيقة كان أسلافه قبل سنوات مضت يعدُّون من يخبرهم عن مثلها مجنوناً . إن الإنسان عجول

في إصدار الأحكام شديد الرغبة في أن يضع الأشياء في قوالب أعدّها سلفاً لرغبته في التحكم بالأشياء ، وهو يضع القواعد لكل شيء . ولولا إن العلم التجريبي يتحرّك من جهات شتّى مدفوعاً بالربح المادي وصناعة الأسلحة والتي فيها تحكم ملموس أكثر من مجرد المعرفة لما حاول الإنسان أن يصحّح أي قانون علمي يضعه . لذلك تبقى القواعد التي وضعها للأشياء الأخرى في علومه والتي يسمّيها علوماً إنسانية تبقى ثابتة مئات أو آلاف السنين كما لو كانت شيئاً من المقدسات . والمقدسات الحقيقية يضعها أيضاً في قوالبه الجاهزة ولا يقبلها كمقدسات حتى يصبغها بصبغته ، فإن صبغة الله هي أمرّ عليه من العلقم . وتلك هي حرب الإنسان مع الرسل ، هو يريد البقاء على ما وجد عليه أسلافه وآباءه ، والرسل يريدون كل مرّة أن يبدأ من جديد ويتحرّر من الأوهام . وحينما يتحدّث الإنسان عن التجديد فما أكذبه . الكثير من المجلات والصحف والكتب تحمل عنوان التجديد ومفردة ( الجديد ) ، وأنا أتابعها بحكم اختصاصي ، فإن فيها أفكار وأشياء يتعجب المشرقي حين يلاحظها ، لأنها مدوّنة في سجلاّته لأممٍ هلكت من آلاف السنين . إنه يرجع خطوتين من حيث يتقدّم خطوة واحدة . فليهنك سيدي .

الرئيس : وفقّت للشرّ العميم ووفقتم جميعاً لشرٍّ أعم . لقد شعرت بسعادة عظيمة في هذا المجلس والذي تعطّر بروائح الباطل فسررت وشبعت من الشمّ قبل القضم . ولكن هذا لا يمنع وأنتم رؤساء الشياطين وكبراؤهم ومردتهم من السير على ختم المجلس بما هو معمول به من نظام العقاب والثواب كما تعلمون .

)ثم تلا الرئيس هذه الفقرة قائلاً )

الرئيس :

تعاقب جميع الزمر المهملة في الإيحاء اللازم في القطاعات يثرب ، دمشق ، الكوفة ، مكة ، بيت سليمان ، انطاكية ، بورسيبا ، بالحرق بالنار لتسبّبها في تسرّب الأسطر الأربعة التي تعالج موضوع الحرية ، بغير رقابة لغوية .

يملأ ( س ) في مؤتمر ( جاوا ) بمكافأة الزّمر التي قامت بتفريق الأسطر الأربعة ، والزّمر التي حاولت ملاحقتها وإتلافها بتأجيل عذابها ثلاثمائة سنة أخرى ، كما تكافأ جميع الزّمر التي قامت بمنع ترجمتها إلى اللغات الأخرى بخمسمائة سنة تأجيل إضافية .

تكافأ الزّمر الإيحائية المشرفة على شرح وتفسير وإعراب ما له علاقة بالأسطر الأربعة من النصوص الثابتة بتأجيل عذابها ألف سنة .

تبقى حروف الأبجدية فارغة للمليء مستقبلاً .

ظلامٌ عليكم إلى اللقاء .

## 'لجلسة

## الجلسة الرابعة لمؤتمر الشياطين

## المسمى

## فريق إزالة آثار الحكمة

)بعد التلاوات الخاصة وقراءة الأنشودة ، تقدّم المعاون لقراءة تقرير مفصّل عن الخلط المتعمّد بين المثالية والمادية ، وأعلن أن هذا التقسيم هو من الأهداف الهامّة في العمل الشيطاني وهو مسألة لا تخصّ الشياطين مطلقاً وإنما هي خاصّة بالإنسان فقط .

وخلال ذلك تعرض لقوانين الحركة وآخر ما وصلت إليه علوم الفيزياء عند الإنسان ، ولكنه ذكر أن إبقاء الفوارق بين ما هو ( حي ) و ( جامد ) وكذلك إبقاء الفوارق بين حالات المادة التي يلاحظها الإنسان هو أمر ضروري . كما أوضح بجلاء أهمية السحر وعلاقته بالعلم وتطرّق إلى السرع والمعجزات وعلاقة ( السرعة ) بنشوء وتكوّن المعجزة ، وأثبت على نحو واضح أن المعاجز ما هي إلاّ قواعد مادية وظواهر تحدث بسرعة وفق نفس القانون ، مبرهناً بطريقة فلسفية غريبة أن الغاية منها هي للبرهنة على قدرة الفاعل بالتحكّم بالسّنن وليس إلغاءاً لها ، وأن الإلغاء هو طريق المكذّب بها مما يستدعي الانتباه إلى أن ما يسمّى عند الإنسان مثالياً أو غيبياً أو طوباوياً هو عند الشياطين مادياً ، أو أن من يسمّى روحانياً قد يكون عندهم من جماعة الواقعيين ، مؤكّداً أن سبب هذا التقسيم عند الإنسان هو ليس لاختلاف نظرته للعالم والأشياء من حوله وإنما هو لاختلاف نظرته إلى نفسه ورغبته في التوهّم . وتطرّق كذلك إلى ضرورة إبقاء ( الصراع ) مستمراً بل والعمل على ( إنتاج ) فلاسفة يفلسفون الصراع أو الاختلاف على أنه أحد ( السّنن ) الطبيعية العاملة في الكون .

وبهذا الصدد نبّه بصورة حثيثة على أن الغاية من الصراع هي الصراع وأكد على خلطه بصورة جيدة مع نوع من الصراع غايته إزالة الصراع بحيث لا يمكن لفلاسفة ( الاختلاف ) التمييز بينهما .

وتطرّق خلال ذلك إلى أن الزعيم المنظور بالله إنما زرع فكرة الآلهة المتعددة لهذه الغاية ، لأن الآلهة المتعددون يختلفون في القوة والعلم والسيطرة ، فهناك كبير للآلهة وهناك ( الأنوناكي ) مجمع الآلهة وهناك الآلهة الصغار . وإذا لاحظ الإنسان أن الآلهة أنفسهم طبقات ويحدث بينهم صراع طبقي ، فالأولى أن يكون هذا الصراع على أشدّه عند عبيد الآلهة بني الإنسان . وذكر أن الإله الواحد بالعدد والذات إنما هو إلغاء للصراع والاختلاف ولذلك يتوجّب الإبقاء على الآلهة المتعدّدة بأية صورة أو صور ممكنة .

ولم يتورّع خلال ذلك كله من تكرار الهجوم على الإنسان واصفاً إياه بأبشع الصفات ، أهونها أنه

مخلوق غبي لا يفرق بين ما هو مادي وغير مادي وبين ما يقابله من موجود ومعدوم ، مشجّعاً الشياطين ومؤكّداً على قدرتهم وحتمية انتصارهم على الإنسان . وقال أيضاً إن الإنسان بارع في الشرّ ولا يترك احتمالاً منه إلاّ وطرق بابه بحيث أننا ندين له بالأستاذية ونتتلمذ على يديه لإغواء أفراد جنسه الآخرين . ولكنه قد يبقى ألف سنة لا يتزحزح عن احتمالٍ وحيدٍ حينما يكون الأمر متعلّقاً بالخير ، وأشار إلى أن ذلك هو سبب قوة الشياطين .

وفي ختام ذلك ذكر أن الإنسان ( يريد خداع نفسه ) بأية صورة ونحن نقدّم له الصور الممكنة لهذا الخداع وأشار إلى أن الفلسفة لم تفسّر الدين ولم تفسّر السحر ولم تفسر الطبيعة ، وأن الذين أُورثوا الكتب المنزّلة لم يفرّقوا بعد بين السحر والمعجزة ، ومع ذلك تحظى هاتان الفئتان بالتقدير الفكري الأعظم عند بني الإنسان .

وتطرّق إلى " السياسات " فأعظمَ من أهميتها قائلاً )

المعاون : الإنسان لجهله وتجاهله مثلاً لا يدرك أننا نربط بين السياسة والدين والفلسفة والسحر ، وعندنا ( للساسة ) كما تعلمون الموقع الأكبر ، فهم لا يكثرون من الكلام الذي لا طائل من وراءه ، لأنهم يمكن أن نسمّيهم الفلاسفة العمليين ، والفلسفة العملية أهمّ من الفلسفة النظرية ، لأن هذا النوع من الفكر هو بعكس العلم ، فالعمليّ يسبق فيه النظريَّ . وإذا أردنا إرجاع الأشياء إلى عللها كما يفعل الإنسان فلا مندوحة لنا من القول بأن فلاسفة النظر هم في النهاية هم من صنع فلاسفة العمل . لكن الإنسان لجهالته لازال ينتظر الخلاص من هؤلاء على يد أولئك . الإنسان يعصي أولئك الذين يرفضون سلبه حرّيته وإرادته ويخلصون له في إفهامه معناها ومغزاها وأهدافها ، في حين أن سلبه حريته هو أفضل الطرق لوضعه على جادة الطاعة العمياء ، ولكن حتى في هذه الحالة فإنها صفقة وهمية بين الطرفين مثل الاتفاق الذي جرى بين الشوَّاء و( نصر الدين ) عندما أعطاه رائحة الشواء وأراد أن يقبض الثمن . وليس للأكثرية مثل نباهة ( جحا )حينما جعل الثمن المدفوع هو إسماع الشوّاء رنين الدراهم ، لأن الحرية مثل ( الصندوق الأسود ) لن يسلّمها أو يستلمها إلاّ واحد فقط هو واهبها ، وقد جعل هذا الوهم الإنسان لا يستحي من أن ( ينظِّرَ ) فلسفة خاصة بسلب الحرية في صفقة هي الأخرى في تاريخه بين الحاكم والمحكوم(١)، وقد يعجبه أن يقرأ بشغف وانبهار النصائح التي يقدمها الفيلسوف للحاكم عن أفضل الطرق لسرقة حرية الرعية في وقت تلاحظ الرعية التطبيقات العملية للتنظير فلا تتراصف مثل الأغنام إذا وجهها الذئب بل تحيط بالذئب عارضة عليه اختيار ما يلائم شهيته !! . وحينما تقتل ذئباً _ ونادراً ما تفعل _ فهي لا تقتله لأنه ذئب بل هي تفعل ذلك لإسرافه في إفناءها لغير ما داعٍ ، وإذن فلا حقّ لها بالتبجّح ، وهي من ثم لا تتعاقد مع كبش من أكباشها في ( عقد اجتماعي ) بقدر ما ترغب في إبرام هذا العقد مع

ذئبٍ آخر يُثمِّن بدرجة أفضل لحم الضأن عندما يُعرضُ عليه بلا مجهود ليلي حتى يحين وقت استرخاصه له . وقد يكون الإنسان هو الوحيد أو النادر من الكائنات الذي يفتّش عن شيء يحمله هو في ثناياه ، ويعبد إلهاً يريد أن يدركه بحواسه وعقله ، ويؤمن بخالق لأجل أن يعلم وبالتفصيل كيف خلقه ، ويحاول التخلّص من مشاكل يضعها بيده وينكر أشياء يتعامل معها يومياً في وقت يحاول فيه إثبات الأوهام أو يتساءل عن المعدومات !! . وهل هناك أكثر حمقاً من كائن يقوم أحد أفراده بإنكار الموجودات بأسرها ويعتبرها وهماً من الأوهام لا وجود لها البتة ومع ذلك يبقى باحثاً عن حلول لمشكلات وجودية ورغم ذلك يتابع أفراد هذا الكائن مقولات هذا الفرد ويحتفظون بها ويمنحون لأجلها شهادات المعرفة ؟؟ .

)بعدما أنهى المعاون كلامه قال الرئيس )

الرئيس : أرى أن ( أنا ) نية الإنسان هي الأصل في معرفة طبائعه ، وهو حاذق في الخبث بحيث أنه يهاجم الأنا بقوة ليؤكد على ذاتيته الخاصة فيلتبس الأمر على السامع حيث يظنّ السامع أنه بريء من هذا المرض فيجذبه إليه بقوة . ولما كنت أريد منكم أن تسبقوا الإنسان في الأمر المحتمل وغير المحتمل ، فإني أضع لكم سؤالاً أريد أن تجيبوا عليه لأعلم مقدار علمكم في هذه الأمور الدقيقة . فإذا هاجم رجل جميع الناس واتّهمهم بقلة المعرفة والجهل حرصاً على الحقيقة وفعل رجلٌ آخر مثله وكان أحدهما خبيثاً من شياطين الأنس والآخر صادقاً في حرصه وكان عندهما من التهم مقداراً متشابهاً ومن النقد اللاذع قدراً متساوياً ، فكيف يستطيع الإنسان _ فيما لو أراد _ أن يفرّق بينهما على فرض أنه لا يرى منهما إلاّ ما كتباه وألّفاه لهذه المقاصد ؟ وكيف يعلم الصادق ويميّزه عن الكاذب ؟

المغربي : إذا تشابه القول من أحدهما في غاياته ومقاصده من أوله إلى آخره وفي جميع كتبه وأيّد بعضه البعض ولم ينقض بعضه بعضاً فذلك هو الصادق ، وما كان فيه خلاف ذلك فهو المخادع صاحب ( الأنا ) .

المشرقي : وإذا أكثر من امتداح نفسه وذمّ غيره وأكثر من دعوى نفي قدرة الآخرين على فهمه بمناسبة أو غير مناسبة ، فذلك هو المخادع صاحب ( الأنا ) . وإن أقرّ بجهله وسكت عن ما لا يعلم فذلك هو الصادق . وإنما يعرف المرء من فلتات لسانه .

مونادو ( مارد الجنوب ) : إذا تعرّض لجميع الخلق بالنقد ولم يستثن أحداً فهو الكاذب . وإذا استثنى وأقرّ بوجود من هو أعلم منه فهو الصادق على أن لا يكون المستثنى مقدساً عند العامة . وفي هذه الحالة يجب النظر ، فربما استثنى خوفاً فيُعذر أو طمعاً فيترك وإنما يعرف الكاتب الصادق من إتمامه الحديث وعدم بتره .

مارد الشمال : إذا طال نقده للعامة والجهّال وسكت عن القادة والحكّام ولم يربط جهل أولئك بطغيان هؤلاء

فهو الكاذب . وإذا فعل خلاف ذلك فهو الصادق . وإنما يعرف المرء من إلهه الذي يعبد .
شيطان اللغات : إذا حكى الشيء وسمّاه بلفظ ثم حكاه في مواضع أخرى وسمّاه بأسماء أخرى لا تقوِّي معنى الاسم الأول فهو الكاذب صاحب الأنا . وأن ثبت على تسمية الأشياء بما يقوِّي معانيها نفسها فهو الصادق . وإنما يعرف المرء من منطقه .
جليوتا : إذا ادعى أنه يفسّر جميع الظواهر ويحيط بجميع الأشياء فهو الكاذب صاحب الأنا . وإذا طلب أن لا يحمّلَ فوق طاقته وسأل أن يمهل لعله يعلم فهو الصادق . وإنما يعرف مقدار علم المرء من مقدار ما يجهل .
الرئيس : أما أنا فأجمع ما قلتموه في وصف واحد هو : إنَّ الألوهية لا تُعرف لأجل عدم معرفتها إلاّ بسبع صفات اختصاراً ، إحداها .. أنها مُصمَدَةٌ لا يخرج منها شيء ولا يدخلها شيء . فمن يقترب منها على أي نحوٍ كان اقترف _ لا محالة _ واحداً أو أكثر مما ذكرتم وعندها فهو الكاذب صاحب الأنا وأنا أتولاه . لكني أسألكم عن معنى قولي أيضا ما هو ؟
المشرقي : إنه واضح سيدي . فهذا المُصمَدُ لا يخرج منه شيء ولا يدخله شيء وليس هو من الأشياء التي تعرف ولا يمكن أن يعرف أو يعرّف بشيء . فمن أراد إدخال شيء أو إخراج شيء فكأنما أراد إدخال أو إخراج نفسه ليكون مع المصمد أو منه في شيء . وتلك هي ( الأنا ) التي مهما تضاءلت واحتالت في التضاؤل _ وهي تفعل ذلك دوماً _ فستبقى واضحةً منتفخةً أكبر من السموات والأرض ومن فيهن .
الرئيس : نعم هذا هو ما يعنيه قولي . وإذن فما أكثر من هم مِن أصحاب الأنا بين الزهاد والفقراء والمتقشفين ، وما أكثر من هم ليسوا كذلك بين العصاة والمذنبين الذين لم يتجلببوا بجلباب الورع والتقوى . وحينما يقع الحساب تظهر المفاجآت العجيبة ، فيسأل الأشرار في الجحيم عن ( الأشرار ) الآخرين ويفتقد الأخيار في النعيم ( الأخيار ) الآخرين . أريدكم أن تأزّوا أصحاب الأنا أزّاً حثيثاً لا هوادة فيه ، فإني نهم إليهم نهماً لا تتصوره عقول بني الإنسان مثلما لا تتصوره أوهامكم . فإن مثقال ذرة من ( الأنا ) خافية في قلب أحدهم ستظهر فجأة بقدر الكون بفضل جهودكم ، فاعملوا بجدٍ ونشاط لا فتور فيه .
المغربي : ليكن ظنّك بنا في محلّه سيدي ولن نفترّ أبداً في عملنا .
الرئيس : بُشِّرت بكل شر وقد ارتاحت نفسي راحة عظيمة لما ذكرتموه من أشياء . والآن فإني أشتهي أن يحدثني أحدكم عن الإمام العظيم أبي حامد الغزالي .
)نظر القادة في وجوه بعضهم البعض وهم في حال من الوجوم والقلق ولم ينبس أيٍّ منهم بنت شفةٍ فصاح بهم الرئيس )
الرئيس : ما لكم تكلّموا ؟ ! .

المعاون : لقد جرت العادة سيدي الرئيس  أن نستعرض هذا الاسم في المجلس السرِّي الأدنى للقادة الذي ينعقد في أعقاب كل مؤتمر .

الرئيس : هذا صحيح ولكني إذا اشتهيت شيئاً لم يكن لي بدٌّ من الحصول عليه ، والسرّ إذا صار إماماً لم يعد سرّاً ، وإنما أريد أن تشرحوا كيف كانت البداية لتكون درساً للشياطين .

المشرقي : لقد نظر أبو حامدٍ في أصحاب الأنا نظر الفاحص المدقّق فوجدهم أربعة أقسام : أرباب الفلسفة وأرباب النظر والكلام وأرباب الفقه من الحلال والحرام وأرباب الطريقة أصحاب الكشف والإلهام . ثم وجد صنفاً خامساً غريباً هم ( الرُسُل ) ، حيث وجدهم حازوا على الحكمة وحازوا على الكلام وحازوا على معرفة الحلال والحرام وأُوتوا ما لا يمكن تفسيره من الكشف والإلهام ، فعجب من أحوالهم وفكّر في اقتفاء آثارهم ، فعجز عجزاً تاماً أن يكون مثلهم أو واحداً منهم . ولمّا بلغ من العمر والفكر هذا المبلغ عرضنا عليه خطّة قبلها وعمل بها وجدَّ واجتهد وبلغ من النشاط فيها ما لم نتوقّعه وكنت أُخاطبه بكلام منقوع بنظم مسجوع . والخطّة هي : إن أغلب ما يرد عن الفرق الأربعة إنما هو من عقولها وإن ما يرد عن الخامسة إنما هو من وحي السماء . ثم قلت له : ( وإن ما هو من وحي السماء إنما تنقله تلك الفرق لتسند به مقولاتها وأكثره أما محرّف أو مكذوب أو تفتريه هي حال الحاجة أو تفسّره بحسب ما يؤيد مرادها . وأما الذي ثبت نصّه فليس فيه وجهاً واحداً وإنما وجوه تقلِّبُها حيث تشاء . فإذا هاجمتَ كلَّ فرقة منها بما أُوتيتَ من قدرة في نظم الكلام وأثبتَّ بعضه أو كله في موضع آخر مستنداً إلى نفس ما يستندون إليه من النصوص تابعاً لطريقتهم في معالجة النصوص ، فقد حزت على علم الأولين والآخرين ولم يكن فوقك إلاّ الفرقة الخامسة وستجعلهم إذ ذاك يذكرون أقوالك كلها . فمن أراد نقد فرقةٍ اعتمد عليك ومن أراد إثبات صحة مذهبه اعتمد عليك أيضاً . فقال الشيخ : وبذلك أكون أنا أنا وهم هم . وحينما فكّر في الأمر قال : لكن هذا شيء يصعب عمله ! . فقلت له : لا يصعب أمام عبقريتك شيء ! فقال : فما أكون أنا ؟ فقلت له : تكون أنت ؟ أنت على نهج صاحب الشريعة . أنت الوحيد الذي يفهم مقاصده ويعلم من هو وكيف هو . فلو كان في تلك الفرق خير لما تفرّقوا كل حزب بما لديهم فرحون . فانظر لماذا يجمع صاحب الشريعة كل تلك العلوم والطرائق ؟ أليس لأنه يعلمها جميعا وينقدها _ فيما لو تكلّمَ _ جميعاً ، إذ في كل منها ما هو صحيح على منهاجه وما هو خاطئ لا يرجى علاجه . فلما رأيته لان وأخذ كلامي بمجامع قلبه والجنان زدته من معسول البيان فقلت : واعلم أن اللغة تعطيك ما تريد وتوصلك فوق هذا إلى المزيد ، وإنما أخطأ ( محي الدين ) ، لأنه لزم طريق التصوف وهو أمر مشين ، ولكنه برع في تصريف المفردات ما جعل السامع يظنّه يسري في بطون الآيات . فاللغة سلاحك ، والمعاني رماحك ، والنصوص جناحك ، وليس لهذه الفرق شيء سوى المعقول والمنقول ، وأنت فيهما أعلم منهم في الفروع والأصول !!. فقال

الشيخ : لله درّ أقوالك الجامعة ، وخطتك البارعة وحتى لكأني بها أطير في السماء السابعة ، ولكن قد بقيت قضية هي لنفسي كامعة ، فانظر ما أنت صانعه !. فقلت : فاذكر هذا الشيء الكامع ، فإني لك سامع ! . فقال : إن لبعض العلماء فحوصاً دقيقة ، وأخشى أن تنكشف الحقيقة ، ويكون حالي مثل ( أمَّ قلي ) لم تحظَ بعباسٍ ولم تتزوج من علي !! . فلما رأيته يُريد النكوص ، أزجيته كما تزجى القلوص ، وعالجته بعبارتين كانتا كمن ألهبه بسوطين . حيث قلت : تبّاً لضعف عزيمتك مع قوة اعلميتك ، أتراهم كشفوا الآيات البينات أم اتفقوا في تلكم المفصّلات ، أم حلّوا المعضلات ، أم أجابوا عن المشكلات ؟ إنما ديدنهم الاختلاف وعدوّهم الوحيد هو الائتلاف . وعلى فرض أن أحدهم كشف أمرك بعد قرون فما هو بأفضل ممن خوطب بالنون ، فقالوا عنه ويقولون ساحرٌ أو مجنون ! فالخلق بالفرقة مولعون ، وبالغوامض مشغوفون ، وسينشغلون بك عنك وتجعلهم في معيشة ضنك ، وأنت نائم ملئ العين وهم في الحيرة بين بين تماماً مثلما قال الشاعر :

أنام ملأ عيوني عن شواردها

ويسهر الخلق جرّاها ويختصمُ

فقال : في هذه صدقت وبالغت ونصحت ، وإني عازم على أن أكسو المعاني ( حللاً مختلفة من الألفاظ ) وأعجن الجواهر والأعراض بإناءين من التشبيه والتنزيه وأدخل أفلاطون في رأس كل فقيه ، وأبتر ما يبقى من الكلام فأوكله إلى سرِّ الكشف والإلهام ، وافتعل مع كلِّ خصام وأجرّد على كلٍ حسام ، ثم أجريُ على لسان كل بعيد لمن خاصمته شيئاً من التأييد حتى أخلط الحابل بالنابل وأجعل العالي سافل ! . فقلت : جدّ جَدُّك ، وعلا مجدك ، وشاع حمدك . ثم تركته وخرجت .

الرئيس : وهل سار بهذا المسار وكسا الظلمة جلباب النهار ؟! .

المشرقي : بل سار فيه حثيثاً حتى أمكنه التصريح دون التلميح فقال : ( والتماسي قبول معذرتي عند مطالعة هذه المحادثات فيما آثرته في المذاهب من العقد والتحليل وأبدعته في الأسامي من التغيير والتبديل واخترعته من المعاني في التخييل والتمثيل فلي تحت كل واحد منها غرض صحيح )(١).

المغربي : وقال أيضاً : (أما هذه الأسامي فأنا ابتدعتها وأما الموازين فأنا استخرجتها من القرآن وما عندي أني سُبِقتُ في استخراجها ولها عند المتأخرين أسامٍ أخر سوى ما ذكرتها وعند الأمم السابقة أسام أخر كانوا قد نقلوها )(٢).

مونادو ( مارد الجنوب ) : وأنا أحفظ قوله : ( وإياكم أن تغيّروا هذا النظام وتنتزعوا هذه المعاني من هذه الكسوة . قد علمتم كيف يُزيَّن المعقول بالاستناد إلى المنقول لتكون القلوب فيها أسرع إلى القبول)(٣) .

المغربي : ومعنى ذلك أنه يدخل المعقول ويجعله جزءاً من المنقول بعد أن يكسوه بحلّة من الألفاظ من

السنّة والقرآن نصّاً أو معنىً . فقلت له : لا تفضح سرّك وأضف عليه ما يجعل المعنى مرتدّاً إليه ، فأخذ بالنصيحة وتسلّح بالقريحة وأضاف إلى تلك العبارة قوله : ( وإيّاكم أن تجعلوا المعقول أصلاً والمنقول تابعاً ورديفاً .)(٤) . فقلت : فهدِّد وتوعَّد وأجعل قولك هذا هو الفصل من خالفه فقد ضلّ كيما يرتعب القارىء ويهرب الشانئ ، ويكون بذلك أشبه بقول الإله من أيّ قولٍ سواه ، فأضاف : ( فإياكم أن تخالفوا الأمر فتهلكوا وتُهلكوا وتَضلوا وتُضلوا )(١) . وهو في جميع ذلك يقصد عكسه ، ويرى أن المرء لا يكشفه حتى يدخل رمسه ، ومن أجل ذلك مضت القرون والناس فيه مختلفون ، وتمكّن من إدخال الفلسفة في كلّ حوزة ومسجد ومدرسة من حيث رماها بسهم ثابت سماّه ( كتاب التهافت ) ، وهو في غيرها نابت . فكان يا سيدي من نتائج تلك الخطة أن وقع علماء المِلة في ورطة ، فجاء من بعده كل نبيه وأديب وفيلسوف وأديب فعدّوه نجيباً أيَّ نجيب ، حامى عن الدين ودرج في السالكين حتى أتاه اليقين .

الرئيس : ما أسعدني بكم يا عظماء الشياطين وقادتهم ! ...غربيُّكم يُتقِن السجع وشرقيُّكم يتقن عزف ( بحيرة البجع ) !! ولكن ماذا يقول النقّاد والباحثون في نقد فلاسفة ( الإسلام ) ؟

المغربي : النقّاد والباحثون لا يفهمون ولو كانوا يفهمون مرامي الفلاسفة لكانوا فلاسفة ولوضعوا لأنفسهم فلسفة فهو أجدر بهم وأليق بمقامهم في حالة كتلك . وكل ما يفعلونه أنهم يقولون : هذه نريدها لأنها جيدة وتلك لا نريدها لأنها غير جيدة ، وهذه وفّق لها فلان وتلك لم يوفّق لحلّها علاّن. وإذا كانت الأشياء مختلطة في ذهن الفيلسوف فكيف ينبري لفرزها من هو دون مقامه ؟ . وحينما صفّقوا للغزالي لأنه أبطل نظرية الفيض بقي المسلمون بفضل الغزالي يقسّمون الأشياء إلى ممكن وواجب بدلاً من التقسيم القديم إلى ( حادث وقديم ) ، ولا فرق في التسميات سوى أن القديم هو الواجب والحادث هو الممكن(٢). وحينما يرتدي أرسطو عمامة ويلبس عباءة وينتعل خفّين فمن ذا يُفرّقه عن الآخرين إذا ما تمشى بين بغداد والشام أو صلّى بين الركن والمقام ؟ عجز فلاسفة الإسلام عن بلوغ هدف محدد ، لقد عجزوا أن يقوموا بأيّ واحدٍ من الاحتمالات الممكنة :

الأول : إنهم عجزوا أن يبطلوا مقولات اليونان بفلسفة من عندهم .

الثاني : إنهم عجزوا عن رفض تلك المقولات لأنها تخالف كتابهم على ما يفهمونه من المخالفة .

الثالث : إنهم عجزوا أن يوفّقوا بين تلك المقولات وبين ما يفهمونه من كتابهم المنزّل إليهم .

الرابع : إنهم عجزوا أن يستخرجوا فلسفة تخصّهم من كتاب ربهم المنزّل إليهم .

الخامس : إنهم عجزوا عن الإجابة على السؤال : هل في كتابكم فلسفة أم لا ؟ .

والحال هو ليس أن البعض يقول نعم فيه فلسفة والآخر يقول لا . بل الرجل نفسه منهم تأتيه لتسأله عن ما ينطوي عليه هذا الكتاب من المعارف فيقول كل شيء وتفصيل كل شيء ، وتأتيه ثانية بعد لأي فتقول

لـه أين فلسفتكم المطابقة لآيات الكتاب المنزّل ؟ عندها سيزعم إنـه كتـاب ديـن وعقيدة ومـا هو بكتـاب فلسفي ، ولكن في موضع أخر ربما يعجبه أن يعدّد أسماء أعلام باعتبارهم فلاسفة الإسلام ! فهل تخاف سيدي الرئيس من هؤلاء خيراً ؟! .

الرئيس : كلا ...نعم ...بل آمل شرّاً . لكنهم حاولوا أن يجدوا طريقاً وسطاً يجمع بين تلك الأشياء ويوافق الكتاب المنّزل .

المشرقي : إذن فقد خالفوا الكتاب المنزّل من أول خطوة ما دام الهدف هو التوفيق ! .

الرئيس : لقد اختلفوا أيضاً في ضرورة الفلسفة ، فبعضهم قال إنها ليست من الدين في شيء ولا ضرورة لها ولا يتوقّف الإيمان عليها .

المغربي : إذا كانت الفلسفة تعني الحصول على الحكمة ، فالدّين كلّه ليس سوى فلسفة إذ الغاية منه تعليم الحكمة على أوسع نطاق لا حصراً بين ( الخواص ) كما نصّ هو على ذلك . والذين قالوا أن الفلسفة ليست ضرورية لم يبرهنوا على أن الفلسفة خلوٌّ من الحكمة ، ولم يأتوا بالحكمة البديلة عنها ، ولم يفكّروا في الفصل ، ثم عملوا ما هو أشنع حينما أخذوا مقالات الفلسفة وجعلوها قواعد لهم لأشياء كثيرة في الدّين . والذين قالوا أنها ضرورة فقد عدّوها حكمة لكنهم وجدوها لا تتفق مع حكمة الدّين فلم يقدروا على التوفيق ولم ينكروا إحدى الحكمتين !! وهذا هو حال أهل الأديان الثلاثة جميعاً . ومأزقهم الوحيد الذي يجعل جميع المشكلات بلا حل هو العلاقة بين الخالق والمخلوق وطبيعة كل منهما . فإن مردّ جميع الأشياء بما في ذلك النظام الأخلاقي والسياسي وحدود المعرفة وقدرات العقل إنما مرجعها إلى الباب الموصد بوجه الميتافيزيقا وهو باب معرفة الله والعالم . ( قُرِعت الباب ودخل أحد المردة )

الرئيس : أنتم يا مردة الشرق وشياطين الجنوب تأتون دائماً بعد الوقت المحدد !! المهمة التي أرسلتك من أجلها لا تستدعي كل هذا الوقت يا مارد الخطفات !

مارد الخطفات : صحيح سيدي . لكني جئتك بمنافع أخرى ومعلومات كثيرة عن المهمة ، علاوة على محاورة حكيمين من حكماء الصين انتهيت من ملاحظتها قبل ثوانٍ معدودةٍ !

الرئيس : ماذا ؟حكماء لا فلاسفة ؟!!!

)يهمّ الرئيس بالقيام وقد بدا على شفير نوبة من غضب عارم ألمّت به )

المارد : لا تخف سيدي إنهما ليسا من أهل المدن ولا يقابلان أحداً قط وهما منعزلان تماماً عن العالم ولا يملكان قصاصة ورق ولا قلامة قلم ويعيشان في سفح جبلٍ مرتفعٍ ناءٍ .

الرئيس : ومع ذلك فيجب تشديد الحراسة عليهما فالأمر خطير جداً . هل تركت حرساً عليهما ؟

المارد : بالتأكيد سيدي الرئيس ، أربعة آلاف يتناوبون حسب النظام .

**الرئيس : تُرى هل سمعت بهما من قبل ؟ من هما ؟ .**

**المارد : أرى أنك تعرفهما : ( براهما ) و ( ماهانا ) .**

**الرئيس : آ ...نعم ...نعم لديّ معلومات سابقة عنهما . ما كانا يفعلان ؟**

**المارد : كانا سيدي الرئيس يمثّلان ، فقد وقف ( براهما ) في النور الساطع المعلق وتكوّر ( ماهانا ) في ظلِّه بحجّة أن ( براهما ) يريد أن يعرف كيف يحاوره ظلُّه ، فقال ( ماهانا) : حسناً سأكون أنا ظلُّك ولكن رفقاً بي . ثم تحاورا :**

**براهما ( وهو يردّد بلا كلل كمن يغني ) : أنا وحدي ...أنا وحدي ليس معي أحد . أنا وحدي ...أنا ... أنا...**

**ماهانا : ( يجزع من تكوّره في الظل فيردّد ) : أنا وحدي ...أنا وحدي ...**

**براهما ( يلتفت إليه ) : من هذا ؟ ظلّي يتكلّم ؟ أصبحت تتكلّم مثلي ؟ يا لصلفك ووقاحتك ! .**

**ماهانا : ولم لا ؟ ألست موجوداً ؟**

**براهما : ( متعجباً غاية التعجب ) : أنت موجود ؟ !**

**)وحينما جلس براهما قصُر الظل فكافح ماهانا ليكون ضمن حدوده ويزمع براهما أن يتمدد فيصيح ماهانا (**

**ماهانا : الغوث الغوث سيدي الحكيم ستضطرني للفناء !**

**براهما : والآن هل أنت موجود ؟**

**ماهانا : أظنُّ أنني موجود على نحو غريب ومزعج ، إذ يمكن أن أفنى في أيّة لحظة .**

**براهما : إذن فكن مؤدّباً يا ظلّي هكذا دوماً !**

**ماهانا : أريد أن أراك فلمآذا لا أراك وأنت تراني ؟**

**براهما : لأنك ظلّي فكيف ترى ؟ أنت عبارة عن ( ظلمة ) وبيني وبينك ( ظلمة ) ، لكنك تستطيع على نحو ما رؤية بعض أجزاء جسدك مما يشرق من أنوار قليلة في الظلمة .**

**ماهانا : لكني مصرٌّ على أن أراك .**

**براهما : آسف يا ظلّي . أنا شخصياً لا أستطيع أن أجعلك تراني . لأنك لن تراني حتى تكون مثلي ويكون لك ظَلٌّ وليس بمقدوري أن أجعل ظلّي هو أنا أو مثلي .**

**ماهانا : ألست منك ؟ ألستَ أنت الذي أولدتني ؟**

**براهما : أنا لم ألدك مطلقاً ولستَ مني .**

**ماهانا : فهل أنا منفصل عنك ؟**

**براهما : كلا . أنت متصلٌ بي رغم أنفك .**

**ماهانا : إذن فأنا منك !**

**براهما : كلا أنت لست مني وإن كنت متصلاً بي .**

**ماهانا : أريد أن أعرف من أنا ؟**

**براهما : أنت ظل ! أنت لا شيء .**

**ماهانا : لكني أتكلم وأحاورك الآن فأنا شيء .**

**براهما : تكلّم كما يحلو لك وافعل ما تريد فأنت لا شيء . أما أنا فواحد مستقل .**

**ماهانا : أنا أيضاً واحد ، كائن مستقل ، وليس اتصالي بك نقصاً فأنت متصلٌ بي أيضاً .**

**براهما : أنا منفصل عنك !!**

**ماهانا : قلت للتو أنك متصلٌ بي !**

**براهما : قد علمتُ أنك ستحاول أن تقولني بأشياء لم أقلها . أنا قلت أنك متصل بي ولم أقل أنّي متصلٌ بك .**

**ماهانا : أليس هذا مخالف للمنطق . شيئان متصلان ومع ذلك فإن أحدهما منفصل عن الآخر ، والآخر متصل به !!**

**براهما : مخالف لمنطق الظل لا لمنطقي أنا ذلك الذي أنت تتحدّث عنه(١) .**

**ماهانا : وكيف أعلم أي المنطقين هو الصحيح ؟**

**براهما : بسيطة ! أنا أفعل ما يحلو لي وأنت افعل ما يحلو لك ولاحظ بالتجربة من المنفصل ومن المتصل !**

**)يهم براهما أن يتمدّد على الأرض )**

**ماهانا ( صارخاً ) : أُقسِم عليك ألاّ تفعل !**

**براهما : أما أنا فأقول لك افعل ما تشاء ، لكني أنصحك أن تكون مؤدباً _ وهذا فرق عظيم بيني وبينك هو كالفرق بين الشيء واللاشيء .**

**ماهانا : أرى نفسي واحداً كما أنت واحد .**

**براهما : أما أنا فأراك أثنين ، حرّيتك واحدٌ وقيدك آخر .**

**ماهانا: وكيف ترى نفسك ؟**

**براهما : هذا ليس شأنك ، إذا رأيتني أو انفصلت عني أو خرجت من قبضتي فاسأل ما تشاء .**

**ماهانا : أريد أن أعرف من أي شيء أنت ؟!**

براهما : وكيف يعرف اللاشيء ما الشيء ؟؟

ماهانا : لماذا إذن كوّنتني ؟

براهما : أنا أفعل ما يحلو لي .

ماهانا : هذا منتهى القهر والتسلط !

براهما : نعم إنه منتهى القهر والتسلط .

ماهانا : أريد أن أتخلّص من قبضتك .

براهما : قد تتخلّص بالفناء .

ماهانا : أريد أن أتخلّص بالوجود .

براهما : هذا محال .

ماهانا : لماذا ؟

براهما : لأنك لست شيئاً في الحقيقة ، أنت ظل ، ومن طبع الظل انه متصل دوماً بصانعه .

ماهانا : ما هي الحقيقة .

براهما : أنا وحدي .

ماهانا : رائع لقد اكتشفت الحقيقة : أنا وحدي ...أنا وحدي ! ( يردّد )

براهما : يا لك من غبي . عليك أن تقولها هكذا : ( أنت وحدك ) ، ولا تعيد نفس القول كما يعيده التلميذ الغبي

ماهانا : أنا ذكي ...أنا فيلسوف ...أنا! ...

براهما (مقاطعاً ) : هذا في نظرك . أما عندي فأنت غبي تريد أن تسرق مني شيئاً هو عندك أو تهب لي شيئاً ليس عندك ولا حاجة لي به .

ماهانا : إذن فأنا أريد أن أفنى إذ لم يعد يعجبني البقاء، لأني لا أفهم سبباً لوجودي .

براهما : أنت تكذب .

ماهانا : أقسَم بأني صادق ...هيّا ...هيّا أفنني . وافعل ذلك بسرعة كي لا أتألم .

براهما : ما أسرع ما تنسى . في كل مرة تطلب ذلك ثم تستغيث إذا اقترب منك الفناء .

ماهانا : هذه المرة دعني أفنى . وحتى لو استغثّت بك وصرخت فلا تسمعني .

براهما : ليس من عادتي أن لا أسمع المنادي .

ماهانا : لماذا ؟ ها أنا الذي يطلب منك ذلك .

براهما : لأنك تكذب وفي لحظة الاستغاثة فقط أنت صادق ومن خلُقي سماع الصادق .

ماهانا : لا يهمني ما تقول وكيف تفسّر أحوالي . أنا الآن أريد أن أفنى .

براهما : وأنا لا يأمرني أحد . أنا لن أكون وما كنت يوماً مقيّداً بك .

ماهانا : إذن فأنت تحتاجني ! ها لقد أوقعتك في الكلام .

براهما : أنا لا أحتاجك وقد أوقعت نفسك . فأنت تريد أن تفنى لتثبت أني أحتاجك . أنت لا تستطيع أن تكذب عليّ ما لم تكذب على نفسك أولاً .

ماهانا : من أي شيء خلقتني ؟ ألم تخلقني من مادة سابقة على مادتي ؟ لنقل أن أسمها الهيولى .

براهما : لديك حيَلٌ كثيرة لتتوصّل إلى أنك تمت إلى جوهري بصلة من نوع ما . لم أخلقك من شيء لأنك في الحقيقة لاشيء . كل ما في الأمر أنني إذا أوقدت السراج فإنك تظهر ، وإذا أطفأته فإنك تفنى . والسراج من صنعي وأنت لا تدركه أيضاً ، لأنه إذا أضاء كنت ظلمة وإذا انطفأ فنيت .فلا تقدر على معرفة ما هو السراج فضلاً عن صانعه .

ماهانا: إما أن أكون وإما أن أفنى . أما هكذا أبقى مستعبداً لك فهذه مشكلة .

براهما : إنها مشكلتك لا مشكلتي !

ماهانا : لكن يتوجّب عليك حلّها لي ما دمت تقدر ، فقد بدأت أفهم أنه لاحلّ ولا عقد لي بغيرك .

براهما : بالنسبة فلا أرى مشكلة ولا أراك في مشكلة .

ماهانا : لماذا تتجاهلني ؟ فأنت تعلم مشكلتي . إما أن أكون أو أفنى .

:براهما : ها أنت تكون مرة وتفنى مرة فأين المشكلة ؟

ماهانا : كلا ...كلا ...أنا أريد واحدة فقط . إما وجود دائم أو فناء دائم .

براهما : حينما توجد فلست فانياً وحين تفنى لا تشعر بوجودك الفاني فاين المشكلة ؟

ماهانا : أنا أحبِّذ أن أوجد بغير متاعب ، بلا قيود ، بلا خوف . وإذا لم يحدث ذلك فإني حال وجودي أفضل الفناء كي لا أشعر بمشاكل الوجود . ألا تفهمني ؟ ؟

براهما : إني أفهمك جيداً ، لكن ما تقوله فهو مجرد وهم . فالمتاعب والقيود والخوف أنت تضعها بنفسك . إنها واحدة من أكاذيبك على نفسك . فأنت لا تريد أن تجرِّب العيش وفق طبيعتك كظلٍّ لي . أنت متعَبٌ لأنك تريد الخروج من حدودي الظلِّية .

ماهانا : ماذا تقصد ؟ دلّني على طريق سعادتي !

براهما : أنت ظلٌّ وهذه هي سعادتك . كل ما تخشاه من حركاتي سينقلب إلى أشياء تجلب لك السعادة . ستكون مغرماً بملاحقتي ودخول حدودي الظلِّية والتحرّك ضمنها . وعليك فقط أن تفهم بأنك ظل لا غير . وكل شيء آخر هو مسئوليتي .

ماهانا : وهل ستكبِّر لي مساحة الحركة ؟

براهما (يضحك ثم وبخطفة يضع السراج قريباً منه ) : ماهانا ! أنظر ...أنت الآن لا نهائي ولا حدود لك . أنظر جيداً ...عبرت المحيطات وسرحت في الفضاءات وخرق سوادك القاتم شموس الأفلاك ، لأنك لأول مرة تتركني أفعل لك ما تريد ولأول مرة تقر بعبوديتك لي . تحرك الآن كما يعجبك يا ظِلّي ، تحرك كيفما تشاء وأنّى تشاء .

)قام ماهانا على رجليه راكضاً في ظلِّ براهما خطوات ثم رجع إليه وتعانقا وانتهى تمثيل هذا المشهد وهما يضحكان سوية والجبل يردد الصدى )

الرئيس : وهل علمت أيها المارد ما قصده الحكيمان من تمثيل هذا المشهد ؟

المارد : لا أدري سيدي ، لكني أظن أنهما يقولان من خلال ذلك أن المنطق الفلسفي لا ينطبق ولا يصلح لتفسير العلاقة بين الرجل وظله فكيف يصلح لتفسير العلاقة بين الله والعالم ؟ لأن ما يبدو منطقياً عندهم أصبح غير منطقي في نفس هذا الوجود من خلال ظاهرة عامّة ملاحظة في كل حين . وبالتالي فإن منطقهم لا يعمل خارج الطبيعة إذا كان يخطئ في أحيانٍ كثيرة داخلها ، ولذلك شددت الحراسة عليهما .

الرئيس نعم وفقت لكل شر فاجلس .

المشرقي : سيدي الرئيس : إن المحاورة بين الحكيمين هي أوسع من مجرّد الإشارة إلى هذا الأمر ، فعلاوة على تحديد الإجابات لمسائل فلسفية عديدة باختصارٍ وتركيز فقد تضمَّنت تفاؤلاً بيّناً بمستقبل العالم الإنساني . إذ جعلا الظلّ يتردّد بين أشياء فمرّة يريد معرفة نفسه ومرّة يريد أن يوجد بلا قيد ومرّة يريد معرفة براهما ومرّة يريد أن يعرف علّة براهما ومرّة يريد أن يراه ومرّة يريد أن يفنى وأخرى يريد أن ينفصل عنه ، وأخرى يرغب في أن يجعل براهما متصلاً به وأخرى يرغب في أن يملي عليه أيَّ مطلبٍ ولو الفناء نفسه أو إلغاء ذاته . ولكن في النهاية انتبه الظل وأدرك أنه لا شيء ، وفهم أن ما يبغيه لن يحصل عليه إلاّ بالإقرار بلاشيئيته وفناءه وعدمه ، فامتدّ فجأة ليخرق سواده المساحات الشاسعة أو شموس الأفلاك كما عبّر براهما ، مستخدماً مسألة علمية واضحة وهي استمرار حركة الضوء إلى ما لا نهاية وبالتالي امتداد الظل إلى ما لانهاية وإن كنّا لا ندركه بحواسنا . لذلك أطلب الإسراع في إرسال جيوش من الشياطين إلى الموقع المذكور واستخدام كافة الوسائل لتسليط قوى الشرِّ على هذين الرجلين وإهلاكهما قبل حصول ما لا يُحمَد عقباه .

المغربي : إن في التأني السلامة وفي العجلة الندامة ، فالعجلة من خصائص الإنسان لا من صفات الشيطان . فما لي أراك يا كبير شياطين الشرق قد أرعبتك محاورة بين رجلين أعزلين من بني الإنسان على سفحِ جبلٍ بعيدٍ ؟ أم ترى أن ما قالاه أكثر وضوحاً ممّا جاء به آلاف الأنبياء والمرسلين ، فجعلنا

حماة الدّين وحاملي لواء المتّقين من  بعدهم يتقاتلون ويتحاربون ويتلاعنون ويقولون قولاً غير الذي قيل لهم ، فرفع كل منهم راية وكانت عاقبة أمرهم خسرا وبدّلوا نعمة الله كفراً وأحلّوا أنفسهم وقومهم دار البوار ؟

المشرقي : إني أفهم ما تقول ولكنك لا تفهم ما أقول .إنّ مجتمع بني الإنسان مثل رجلٍ واحدٍ مريض بداء النسيان فلا يغرّنك منه هذا المظهر وقد نصحنا الرئيس بوعظٍ وإرشادٍ عظيمين حينما نبّه إلى العلاقة بين عمر الفرد وعمر النوع الإنساني ، فإن الإنسان قد يفاجئك يوما بصحوته وإدراكه حقيقة نفسه ، ولولا أن هذه الحقيقة هي خاتمة أمره وهي حتمٌ من المحتومات لما أتعب المرسلون أنفسهم كلّ هذا التعب ولما جدّوا كل هذا الجد ولما نشطوا كل هذا النشاط . وإنما يرون أنفسهم مثل الزرّاع لن يثمر زرعُهم حتى يغلظ ويستوي على عودِه ويأكل صغار العشب والقصب وما شابهَ ويطغى عليه فيهلكه  ...ولتعلمَ أنّ الشجر وإن كان قليلاً لكنه بسق وأزهر فلا يغرّنَّك احتجابه بالقصب والحلفا وما شابهَ ، فإن مثله مثلُ الغابة إذا احترقت لن يطفئ نارَها أحد ولكن الذي يبقى فيها هو الشجر الغليظ المختبئ في ما كان أصلاً للنار . وقد أدرك علم النفس الفردي والاجتماعي هذه الحقيقة وعامل مجتمع الإنسان كمعاملته لفرد الإنسان مع اختلاف الأعمار .

المغربي : إذا كان الأمر حتماً مقدّراً فليس الحذر بنافعٍ شيئاً إلاّ ما هو من باب التأخير .

الرئيس : وأنتم لا تفعلون ولن تفعلوا شيئاً سوى ذلك . وقليلٌ جداً من بني الإنسان من يدرك ذلك لأنهم يعتقدون أن وعد الله في خلاصهم هو في يوم محددٍ بالزمان ، والقليل يعلم إنما هو محددٌ بالإنسان نفسه ، محددٌ باليوم الذي يتذكّر فيه نفسه . وإنما عملكم هو في إبقاء الإنسان ذاهلاً عن أدراك نفسه مشغولاً بإدراك ربّه . وكلّما أبعدتم هذا الموعد عن الإنسان كلّما أبعدتم النار عن أنفسكم .

)يدخل أحد بني الإنسان بصورة مفاجئة ويسلِّم الرئيس رسالةً بيده ثم يخرج فيندهش الحاضرون جميعاً ...بينما يظهر الرئيس كما لو لم يفاجئ به مطلقاً )

الرئيس : نعم . إنها رسالة من شقّي ونصفي الآخر . ولا بأس في أن أقرأ عليكم بعض ما ورد فيها ولكني سأتجنّب الأشياء التي تفزعكم والأسرار التي تخصّني :

...)     من وجود الفناء إلى أخي وشقّي ونصفي الآخر فناء الوجود : الحمد لله وسلام علينا  ...وبعد : فقد علمتُ أنك مجتمع بشياطين الجان تحرّضهم على الجدِ والاجتهاد في عملهم على استجلاب بني الإنسان إليهم وإبعادهم عني ، فالحمد لله على المنّة والشكر له على هذه النعمة . أقول لك أخي _ وإن كنتَ تعلم _ أن الجدال والخصومة بين الناس هي عنّا وفينا ومنّا ولنا لأن الله أعزّ وأمنع من أن تناله الأوهام أو تحدّه الصفات أو تدركه العقول أو تتصوره المخلوقات أو توضّحه المفردات أو تنفذ إليه الكلمات

. واعلم أننا موضوع تلك الصفات ومنشأ تلك الأسماء ، فهم يتجادلون في المخلوق ويحسبون أنهم يتناقشون عن الخالق إذ لا أحد يعلم اسمه الحقيقي من جميع الكائنات فهو شديد المحال .واعلم بأنه منّا قد ظهر الزمان والمكان فلا موضوع للسؤال ماذا كان وكيف كان وأين كان هذا المكان والزمان فضلاً من خالقه ومبدعه . واعلم أنهم قد توهّموا في كل الأشياء ولم يميّزوا بين الأسماء والأفعال ووضعوا من أنفسهم قواعد ومبادئ ما هي إلاّ أوهام في أوهام ، ولو عالجنا بها بعض مظاهرنا لفسدت وتناقضت وأصبحت مثاراً لسخرية الساخرين . فسألهم _ إن كانوا صادقين _ أن يفسِّروا بها العلاقات بين الظلمات والنور أو الظلِّ والحَرور أو الشموس والأقمار أو الليل والنهار أو الماء والسَراب ، أو القوى الماسكة والجاذبة والهادمة في أقطار السماء أو أجسام الأحياء في الأرض . فأين هو الجوهر المزعوم الذي لا تتجزّأ أجزاءه ؟ ومتى رأوها لا تتجزّأ ؟ وكيف يبرهنون على ذلك ؟ . إنما هي أوهام تراكمت بعضها فوق بعض ولم يجرؤأحدٌ من بعدهم على أن يقول هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . ثم أين هو الواحد الذي لا يصدر عنه إلاّ واحد ؟ . لم يخالفوا بذلك آيات منزّلات زعموا أنهم يريدون التوفيق بينها وبين أهوائهم بل خالفوا بذلك طبيعتهم وما هو ملاحظٌ بين أيديهم ومن خلفهم ، فقل لهم هذه هي الأعداد فأعطوني من الواحد عدداً هو غيره وهو نفس الواحد إن كنتم صادقين (١)، وأين هو علمهم من علم الله حتى يجعلوه موضوعاً لهم ؟. إذ قال قائل منهم هو يعلم بالشيء قبل كونه وقال الآخر لا يعلم به حتى يكون ، وهم لا يعلمون عن أي شيء يتحدّثون . فقل لهم : إن كان لكم علمٌ كهذا فأخرجوه لنا ولتخبرونا عن علم الآخرين بل وليخبرونا عن علمهم بأنفسهم فإننا نرضى بهذا بديلاً عن ذاك . وأين هم من ذوات المخلوقات أو ذوات أنفسهم حتى يدركوا ذاته ؟ وأين هم من صفات أنفسهم حتى يعلموا صفاته ؟ . إنما جاءهم من الصفات ما هو متعلقٌ بالكائنات فقسّموها كيف شاءوا وجعلوا العلم والقدرة والإرادة غير الحلم والرحمة والخَلق والإبداع . وما علموا أو تجاهلوا أن العلم بلا معلوم أو القدرة بلا مقدورٍ عليه والإرادة بلا مراد هي مثل الرحمة بلا مرحوم والخَلق بلا مخلوق والإبداع بلا مبتَدَع . هيهات هيهات كل هذه ! إنما هي صفات ومتعلقات بالموجودات فلا كلام عن ذاته وصفاته من غير موجود إلاّ أنه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . هيهات أن يعلم له أحدٌ اسماً إلاّ هو حينما لا يكون ثمّة من أحد إلا هو . فليأتوا بأسماء آبائهم إن كان لهم علم بالأشياء قبل ظهور المفردات والأسماء . ثمّ تمادوا فسمّوه العلّة الأولى وإنما العلل أسباب ، ولا علاقة لها بالابتداع . فما زالوا يتحدثون عن المألوه ويظنون أهم يتحدّثون عن الإله ، فجعلوا أنفسهم سبباً للبرهان المزعوم من حيث صدّقوا لغفلتهم إنكار المنكر وسهوا عن الخالق ونسوه وجعلوا إثبات وجوده من خلال إثبات وجودهم فلم يكن عندهم إلاّ علّةٌ من العلل سوى أنها ليست معلولة لشيء وما أدركوا أنهم بهذا يفسدون مذهبهم في العلّة والمعلول ، إذ العلّة لا تكون إلاّ فرداً أحد

زوجين اثنين . وزعموا أن وراء هذه المحسوسات جواهر وماهيات ، واختاروا منها جواهر وماهيات لتكون صورة وسطى بين العدم والوجود ، فانقطعت سلسلة العلل عند تلك الحلقة عينها ولم تصل إلى الله فأبقوه علّة من غير معلول وتراكب الخطأ من جميع الجهات وأصبحت الظلمات طبقات ، فما كان لله فهو يصل إلى شركاءهم وما كان لشركاءهم فهو لا يصل إلى الله . وزعموا أن اختلاف الصفات هو بلا علّة ومثّلوه بالسواد أسودٌ بذاته والبياض أبيضٌ بذاته لا لعلّة بل هكذا هو أبدعه الله فانخلعت سلسلة العلل قبل وصولها إلى الله وصار البياض متميّزاً عن السواد من غير علّة !! . فانظر إلى جميع ما احتملوه من الوجوه كأنهم تواصوا به ، ولم يحتملوا أيَّ وجه إلاّ وكانوا به محتذين آباءهم حذو القَذة بالقَذة . فدع عنك ذلك فإنهم أمسكوا بالعقول ليخفوا ما انطوت عليه الأفئدة ، ولاحقوا المجهول ليُبقوا أقفالَ القلوب موصدة ، وأعرضوا عن المعلوم وخاضوا مع الخائضين فسوف يعلمون ( ...التوقيع : أخوك ( كنكر . )

)يلتفت الرئيس إلى القادة ثمّ يقول )

الرئيس : أيّ شيء يقوله الفلاسفة في الأخلاق ؟

المشرقي : سيدي الرئيس . إن الفكر بمختلف اتجاهاته إنما يجتمع في النهاية في موضوع الأخلاق ويحدّد كل اتجاه موقفه منها ، حتى لو تناست أو سكتت بعض الفلسفات والعقائد عن مسائل معينة وراحت عقائد أخرى تثير تلك المسائل فإن الأخلاق هو الموضوع الذي لا بدّ لكلّ اتجاه من أن يحددّ موقفه منه في نهاية الأمر . ويمكن القول أن بعض الاتجاهات أو الجماعات لم تتشكّل إلاّ وفق مبدأ أخلاقي معيّن ، وإن رأيها في المسائل الفلسفية إنما يتمّ استنتاجه من خلال بحثها الأخلاقي . إن الفقرات القليلة التي ذكرتموها أيّها الرئيس عن خُلِقكم : ووجود متعلّقٌ بفناءه أو فناء تعلّق بوجوده في لحظة الكينونة هرباً من وحدة الألوهية أو شوقاً لبقاء هذا الفرار شاخصاً إنما هو تفسيرٌ متكاملٌ لـ ( ما هو المخلوق ؟ ) وتحديدٌ واضحٌ لهدفه وغايته وسلوكه ، وما انبثق بعد ذلك أو خلال ذلك من حريةٍ واسعة لهذا المكوّن ، والتي حدودها هي حدوده المستمرة في التوسع من خلال التحدّد في أقطار الكون تجيب على جميع التساؤلات المتعلّقة بالأخلاق دفعة واحدة . وإني لأتأمل في قولك فأجد أمراً في غاية الدهشة ذلك أني ألاحظ أن نظريات الأخلاق قد اجتمعت كلها في خصائص هذا المكوَّن الهارب من وجوده . فقد وجد سعادته العظمى في هذا الاقتران حسب نظرية ( السعادة ) وأدرك منفعةً عظيمةً حسب نظرية ( المنفعة ) ، وحاول أن يتفهّم واجبه من خلال طبيعة تكوينه ومن خلال حريته ، فعمل ما ينبغي عليه وما يمليه ( الواجب ) المنبثق أصلاً في طبيعته، وهو الجمع بين الوجود والفناء أمام الوحدانية ليبقى أطول فترة ممكنة وهو ممتلئ بشعور ( اللذّة ) حسب ما تقتضيه نظرية ( الواجب ) وحسب ما تقتضيه نظرية ( اللذّة

) ، وقد أدرك أيضاً أنه يتمكن من ( الإبداع ) بنفس القدر الذي يتمكن فيه من ( الإتّباع ) فجاء سلوكه محدّداً تحديداً صارماً ولكنه ممتلئ بالقلق والترقّب حسب ما تقتضيه نظرية ( الإبداع ) أو نظرية ( الأمل ) . وحينما بلغ – في أيّ جزءٍ لا أدركه من الزمن – هذه المرحلة فإنه شعر أن أيّ تهاونٍ أو استرخاءٍ في قوّته الوجودية الممسكة بالفناء أو قوّته العدمية الممسكة بالوجود سيجعله يميل ( ميلاً ) باتجاه أحدهما ، وشعر بألمٍ شديدٍ هو إمّا ألم التقابل مع الوحدانية حيث ستضغط عليه قوّة الإفناء الكبرى وإمّا ألم الفرار السلبي والاستقالة من الوجود والظهور الذي أمرت به الوحدانية من خلال أمر الإله فتضغط عليه قوّة الوجود الكبرى ، وهو لا يقدر على إطاقة أيّ ألمٍ منهما . وهذا هو ما تقتضيه نظرية ( الأمل ) أو ( الألم ) أو مشكلة ( الميول ) في الأخلاق . وأدرك هذا المكوّن أيضاً أن عمله هذا هو عمل شخصي محض وأنه حرّ في التصرف لكن حرّيته هي من النوع الغريب والغير معهود ، مثلها مثل أن أعطي ( زيداً ) مساحة للحركة بطريقٍ ضيقٍ لكنّه طويل جداً ، ومساحته أضعاف ما يمكن أن يحلم به وعلى الشكل الذي يرغب هو به من أشكال المربع أو الدائرة أو ما شابه ، مع أني لا امنعه من الخروج عن هذا الطريق أو الرجوع إليه . وإذا اطمأنّ للسير فيه قُدُماً بلا نيةٍ للتراجع فالمساحات التي يحلم بها هي الأخرى ستكون قريبة جداً وفي متناوله . حينما أدرك ذلك فقد علم أن هذا التصرف شيءٌ يخصه بالدرجة الأولى ، ولكن خُيِل إليه أنه إذا تكثّر على صورة أفراد كلّ منهم يمتلك قدراً من الحرّية كهذا القدر ، فإن الذين سيخرجون عن الطريق لأيّ سبب دوماً أو مؤقتاً يؤثّرون تأثيراً بالغاً على حركته وسرعته في الوصول . وإذا كان مصيرهم بهذا العمل هو الفناء فقد جعله ذلك يقلق بطريقةٍ غريبةٍ ، حيث تحوّل القلق الشخصي عنده إلى صورٍ متمثلةٍ بالأشخاص ، وصار يرى نفسه فيهم ولم يشعر إلاّ وتحوّل قلقه الشخصي إلى قلقٍ جماعيّ وذابت أنانيته في الجماعة وصارت ذات الجماعة هي ذاته فهو يجابه ويحارب ويدعو بطريقةٍ مختلفةٍ إنه يفعل ذلك مع الجماعة كما لو كان يحارب ويدعو ويجابه نفسه _ . والحرية التي يشعر بها هي الشيء الوحيد الذي يراه جزءاً منه ، وفي نفس الوقت يرى أن الجميع يستخدمونه كما لو كانوا شيئا واحداً يأبى الانقسام . إن الإنسان جزءٌ من هذا المكوّن وشبيهٌ به إلى حدٍّ بعيد . وهذا هو سبيل أخلاقه وسلوكه . فإن سلك سلوك هذا المكوّن والذي هو جزءٌ منه بقي ما بقي هذا المكوّن من أحقاب ودهور – كما يبقى الوجود – وإن خالفه فقد تحوّل إلى الفناء ، الفناء الدائم المستمر والمتعلق بالوجود – لأنه فناء الوجود الذي هو النقيض المتعلّق بوجود الفناء . ويبدو لي أن كلاً منهما أبديٌّ إلاّ ما شاء الآمر فقد يشاء أن يبقى منفرداً فيلغي هذا المكوّن .

الرئيس : لقد فهمت كل ما قلت أيّها المشرقي ، وأراك أحسنت فهم عباراتي كلها فاستخرجت منها نظرية في الأخلاق – أظنّ أن بني الإنسان يجهلونها – ولا يعلمها إلاّ تلك القلّة أو الثلة التي لا تأتي معي .

لكني أراك كأنك لا تريد استعراض النظريات الخمسة التي ذكرتها والتي فيها مجموع ما وضعه الفلاسفة وأهل الأخلاق ، وكأنك تكتفي بهذا القليل وتُعِدّه عرضاً لها ونقداً عليها مع تقديم البديل ! .

المشرقي : وأنّى لي باستعراض هذه النظريات والعقائد ؟ إنها كثيرة سيدي الرئيس والحديث عنها ذو شجون . إذ ليس الضروري أن يفسّر الفيلسوف سلوك الإنسان ، بل يجب أن ينتهي بوضع سلوكٍ مقتَرَحٍ ويدعو الإنسان ليأخذَ به ويتصرّف بمقتضاه . وليس هذا هو المهم أيضاً ، لأن السلوك هو ( الحرّية ) نفسها ، فإذا وضع الفيلسوف سلوكاً محدّداً فقد قتل الحرّية أو ( كفر بها ) ، وهو الأصحّ ، لأن الحرّية لا تُسلَب ولا تُؤخذ ولا تُعطى ، فالسلوك المحدّد مناقِضٌ للإيمان بالحرّية . وحينما تقول لـ (زيدٍ ) أن سلوكك هو بدافع ( المنفعة ) أو ( اللذّة ) أو ( السعادة ) أو ( ترقّب الأمل ) أو ( الخلاص من الألم ) أو ( أنه في الأصل شعورٌ بالواجب ) أو ( أنك فيه تابع ) أو ( أنك تسلك سلوك متبوع ) أو أي شيء آخر تقوله ، فإن ذلك لا يغيّر شيئاً في سلوك ( زيد ) ، لأن له فلسفته الخاصة في الحياة ونظرته الخاصّة للطبيعة والأشياء ولنفسه ، ومنها انبثق له سلوك معيّن . وإذا أردت أن يغيّر سلوكه فعليك أن تعطيه تفسيراً جديداً واضحاً ومقنِعاً للعالم ولوجوده فيه ، وإذا اقتنع ( زيد ) بهذا التفسير فما أسرع ما يُخبرك هو قائلاً ) ... يبدوا أن عليّ أن أغيّر سلوكي تغييراً شاملاً ) . وسوف يخترع لنفسه السلوك الملائم للتفسير الجديد ولعلّه يسبقك بوضعه عملياً قبل أن تنتهي أنت من التنظير !! . وإذا كانت الفلسفة إلى هذا اليوم عاجزةٍ عن تفسير العالم فإن محاولاتها لتحديد سلوكٍ معينٍ للجنس الإنساني هو نوعٌ من الحمق والغفلة ، إذ لا أحد سيتبع هذه ( الأخلاق ) المقنّنة والموضوعة في قوالبَ جاهزةٍ ولا أحد يشتريها أو يتعامل بها . وحينما تعطي لـ ( زيد ) تفسيراً جديداًَ للعالم وبحيث يعي موقعه فيه فإنه سيفهم تلقائياً أهدافه وغاياته ، وسيصبُّ هو عليك سيلاً من التساؤلات عما ينبغي له أن يفعل وكيف سيفعل ، وهو الذي سيبدأ بتقييد نفسه بقيودٍ مشدّدةٍ ضمن حرّيته الخاصة . إن في نفوس الفلاسفة شيءٌ من ( الرُسل )، ولذا فهم يرغبون في أن يتشبّهوا بهم . فالشرائع ما كانت إلاّ أسئلةٌ تقدّم بها ( زيد ) وأمثاله بلغت حدّاً أن الله كان يرأف بهم ويأمرهم ألاّ يسألوا عن أشياء قد تجلب لهم مزيداً من القيود وتجعلهم في حرجٍ من التطبيق ، ذلك لأن تلك القيود ( كامنة ) في نفس الفكرة وتُكتَشَفُ تدريجياً على مستوى الفرد والنوع وكلٌّ حسب عمره ودرجة رقيّه وتطوّره. ولن يشتري أحدٌ ما من الفلاسفة ( أخلاقهم ) المعلّبة لأنها أخلاقٌ سائبةٌ لا ترتبط بأيّة فكرةٍ واضحةٍ لتفسير العالم وموضع الإنسان منه ، ولن يكونوا بهذا التشتّت بمستوى أدنى الأتباع الحقيقيين للرُسل ذكاءاً ووعياً للأشياء فضلاً عن أن يكونوا في مصاف الرُسل أو مثلهم . وما الذي يدعو الناس ليتخلّقوا بأخلاق الفلاسفة إذا كانت لا ترقى ولا تبقى إلاّ نفوس الفلاسفة بعد الموت ؟ ومن أين تأتي الأخلاق العملية وهي مقطوعة الجذور أصلاً بالموت وبفناء النفوس ؟ نعم . إنها نظرياتُ أخلاقٍ ولكنها

مكتوبةٌ من قبل ( الأنا ) و ( للأنا ) وحده ، وليس هو ( أنا ) الإنسان ، بل ( أنا ) المتكلّم والواضع فحسب . وسواءٌ أكانت ( لذّة ) أم ( سعادة ) أم ( منفعة ) أم ( ألماً ) أم ( أملاً ) فإن النهاية واحدةٌ والنتيجة واحدةٌ ما دام هناك موت . وإن ( زيداً ) ليعلم جيّداً كيف يسلك حتّى يأتيه الموت وليست مشكلة ( زيد ) في حياته هذه ! لأنه إذا أضطرّ فسوف يضع بنفسه نهايةً لحياته التي لا يفهم سبباً لها ، ولديه الكثير من الوسائل ليكون ماكراً أو سارقاً أو متغافلاً أو أيّة صفاتٍ أخرى لا حصر لها حينما يقرّر أن ينتظر الموت ولا يذهب هو برجله إليه . وحينما لا تخبره عن ( الموت ) فإنه لا يقتنع أبداً بأنك قد أخبرته بشيءٍ هامٍ حتى لو فسّرت له جميع أجزاء الكون وشرحت له خرائط الوجود بأسره . إن ( زيداً ) يريد أن يعلم لماذا جاء ولماذا يموت بهذه السرعة ولماذا يكابد مرارة العيش لحياةٍ قصيرةٍ جدّاً . وإن ( زيداً ) ليحتقر في داخل نفسه وبشدّة جميع أولئك الذين يقدّمون له مبرّراتٍ ناقصةً ويطالبونه في نفس الوقت بأخلاقٍ عاليةٍ ورفيعةٍ !! وإن ( زيداً ) ليشعر وبحدسه القوي بأن هناك إجابات حقيقية لأسئلته أخفاها نفس هؤلاء الأشخاص الذين قدّموا له بدلاً عنها تفسيرات متناقضة وضئيلة لا تتناسب مع حجم الأخلاقية التي يطالبونه بها . وما الذي يدعوه ليتخلّق بأخلاقٍ لا يعلم سبباً لها ؟ . إن ( زيداً ) يدرك جيّداً أن ( الأخلاق ) ما هي إلاّ قيود ، وهي قيودٌ إضافيةٌ في وضعه الذي يصارع فيه قوىً كثيرةً ، وحينما تطالبه بنوعٍ من الأخلاق من غير أن تفسّر له وجوده وموته فإنه يعتقد أن ذلك هو منتهى الاستبداد وبخاصةٍ عندما تكون تلك الأخلاق ( فضائلاً ) . وهو يرى أن الذهاب لخدمة الطغاة من الحكّام المستبدّين _ والذي يجلب له شيئاً من الجاه والسلطان والمال ليتمكن بها من مصارعة القوى المحيطة به _ هو أمرٌ أكثر عقلانيةٍ من الدخول في أيّة ملّةٍ فاضلةٍ لا تفسّر له الموت وسببه وما يكون بعده . ولا يحسبنَّ أحدٌ أن ( زيداً ) لا يفهم شيئاً من الفلسفة ! بل إن ( زيداً ) هو فيلسوف بطبعه ، وحينما لا يكتب فلسفته الخاصّة وحينما يفضّل الذهاب لخدمة المستبّد ، فإنه هناك أيضاً فيلسوف ومن الطراز الرفيع . ذلك لأنه يجد عند المستبّد تطابقاً فلسفياً بين التفسير والأخلاق التي يطالبه بها . فالتفسير هو أن الموت حتم ولا يُفسَّر كأيِّ شيءٍ آخر لا تفسيرَ له في الطبيعة ، والأخلاق المطلوبة هي شيءٌ يلائم ذلك : أكبر قدرٍ من القوّة والسلطان وأكبر قدرٍ من الجاه والمال وأكبر قدرٍ من نسيان الموت حتى يأتي الموت . وتجتمع إذ ذاك جميع تفاسير الفلاسفة للأخلاق : منفعةٌ ولذّةٌ وسعادةٌ وأملٌ وخلاصٌ من الألم وواجبٌ يقتضيه الصراع مع القوى التي وجد ( زيدٌ ) نفسه مقذوفاً في وسطها ، وهو بالتالي أفضل شيءٍ يفعله ( الأنا وحدي ) أو ( الأنا المتعالي ) على الصعيد النظري والعملي حتى لو كان ( زيدٌ ) لا يدري من هو أفلاطون أو الفارابي أو كانت أو ستيوارت مل أو كير كجارد أو سارتر أو هوسرل . ولو قلت لـ ( زيدٍ ) في حالة كتلك أن هؤلاء قد فسّروا أخلاقياتك وفسّروا الموت والحياة بالطريقة التي ذكروها ولكنهم يطالبونك بالتحوّل عن

المستبّد لتكون شخصاً فاضلاً غير ما أنت عليه الآن لما صدّق أن رجلاً عاقلاً يفعل ذلك أو ينصحه بمثل هذه النصيحة ! وسوف يتساءل مندهشاً : لماذا أغيّر سلوكي ؟ فإن ما تقوله لي يؤكّد صحّته ، لأن ما أفهمه من مجموع هذا الكلام أن حياتي هي مجرّد عبثٍ وأنها حدثت بنفس الطريقة التي تخرج بها كرة بيضاء أو سوداء من كيس اليانصيب . وهذا هو عين التفسير الذي يخبرني به سيدي المستّبد – والذي يحتّم عليّ هذه الأخلاق لا غيرها – والتي بها أسعى لما هو أفضل ومن بينه أن أطيح برأس سيدي في أقرب فرصةٍ لأحلّ محلّه . لكن الطاغية أفضل منكم لأنه علّمني كل ذلك بغير ما يزعج رأسي بالمصطلحات المعقّدة والكتب المطوّلة . فقل لي سيدي الرئيس مَن مِن الفلاسفة يقدر على أن يدحض حجّة ( زيدٍ ) بحجّةٍ أخرى ؟

الرئيس : لا أحد مطلقاً .

المشرقي : ولكن المسيح يستطيع حينما يقول لـ ( زيدٍ ) : [ إن الإله إله إحياء لا إله أموات ](١). وسوف يسأله قائلاً : ماذا تقول أيّها السيد ؟ أتعني أن موتي خدعة ؟ . ولن يخبره السيد أن الدليل على ذلك هو أن ينفتح على ذاته ويرى ( الأنا ) باقياً في عالم الأوهام ، ولن يدلّه على أيّ طريقٍ فلسفيٍّ آخر . إذا لم تكن العبارة كافية ولم يكن لديه العقل المكين من فهمها ورؤيتها كحقيقةٍ شاخصةٍ ، فإن السيد المسيح يستطيع أن يجعله يستعمل الحواس الخمسة لملاحظة تلك الحقيقة حينما يطلب منه تسمية أي شخصٍ يرغب برؤيته من الموتى ، ويقتاده إلى القبر ليلاحظ أن نشوء النفس مرّة أخرى هو كنشوئها في المرّة الأولى لا فرق بينهما إلاّ في السرعة التي يقتضيها الاستدلال و البرهان في الموقف . وفي تلك اللحظة يعلم ( زيدٌ ) أن موته هو خدعةٌ ، وأنه حيٌّ حياةً أبديةً . وسوف يتشبّث بالسيد ليسأله عن افضل ما يمكن أن يفعله لأجل حياته الأبدية هذه . ولكن إذا كان ( زيدٌ ) أنانياً إلى حدِ أنه لا يريد أن يكون محتاجاً لأحدٍ ، ويرغب في أن يجعل الجميع محتاجين إليه بما في ذلك السيد نفسه فإنه يضحّي بحياته كلها وبقسميها لأجل أنانيته . وسوف يكذِّب أقوال السيد حتى لو بعث له كافة أهل القبور ، ولن يقرّ بتلك الحاجة إلاّ في حالة واحدة فقط وذلك حينما يُسلَّطُ على بدنه عذاباً وألماً لا يقوى على احتماله . لكنه إقرارٌ مرتبطٌ بالمؤثّر وإنه ليزول إذا زال .

المغربي : إذن لا بدّ للمؤثّر مِن أن يستمرّ وجوده مع المتأثّر من أجل استمرار هذا الإقرار .

المشرقي : نعم . إن أخي المغربي يستنتج الآن أبدية العذاب ، لكنها أبدية مرتبطة بأبدية الوجود المتحقّق .

)يرفع الرئيس حاجبيه ويفتح فمه بابتسامةٍ تُظهر عوارضه الناصعة البياض وتتجلّى في وجهه صورة رجلٍ كثِّ اللحية ، مدوّر الوجه ، طويل الرموش ، إذا رآه المرء حسبه ظريفاً عليه بلاهة ويعجبه أن

يمازحه ...ثمّ أنه قال )

الرئيس : وما الوجود المتحقّق ؟ أثمـّةَ وجودٍ غير متحقّق ؟ .

المغربي : طبعاً سيدي الرئيس . فالوجود إسمٌ والموجود إسمُ مفعولٍ ، بيد أن هذا الاسم مختلف فإن لكلّ لفظٍ معنى ، فإذا قلتَ ( قَدَمَ ) فالاسم ( قدوم ) وإذا قلتَ ( وقع ) فالاسم ( وقوع ) ، فكذلك إذا قلتَ ( وجد ) فالاسم ( وجود ) . فالوجود اسمٌ عامٌّ لتحقّق كل الأفعال . فالفعل دوماً يفيد التحقّق . إمّا بالماضي فيكون قد انتهى واسمه متحقّق معه كما لو قلت ( وقع زيدٌ ) فالوقوع بهذه الصورة وبخصوص ( زيدٍ ) قد تحقّق . وإذا قلت ( يرضخ ) فهو مستمر والرضوخ لا زال يتحقّق بالزمن الملاحَظ . وإذا أمرت بصيغة الأمر فإنك تطلب تحقيق الاسم . فالاسم فارغ من التحقّق ممتلىءٌ بالمعنى . وبالتالي فإن ( وجود ) شيءٍ ما لا يعني سوى إمكان تحقّقِ شيء ما بحيث يكون متواجداً ، فالحديث عن الشيء ووجوده بصيغة الاسم قد يعني حصول التحقّق في التواجد أو عدمه سواء بسواء . إذ لو كان لا يعني إلاّ ما هو متحقّق بالفعل لكان كل سؤال عن وجود شيءٍ ما سؤالاً خاطئاً .

الرئيس : فما معنى ( الوجود ) المعرّف عندهم بـ ( أل التعريف ) ؟ .

المغربي : معناه عندهم هو غير معناه في اللغة _ فهو عندهم بمعنىً لا يمكن ذكره في اللغة إلاّ بعبارة مثل ( وجود الأشياء الموجودة ) إذا افترضنا أن الأشياء قسمان : موجودة بالفعل أو موجودة بالقوّة فهذا قسمٌ وأشياء غير موجودة ومحال أن توجد وهو القسم الآخر . إذن فهم يتحدّثون عن ( الموجود ) ويسمّونه ( وجوداً ) .

المشرقي : وعند ذلك فنحن ندرك جيّداً أن اللغة هي الفكر ، وليست أداةً للفكر . فما ليس له في اللغة وجود فليس له في الواقع وجود .

المغربي : لكنهم قد يعنون به قوّةً ما تسري في الموجودات تمكِّن القسم الأول من الأشياء من الظهور ، أي أن الوجود مفهوم لحصول تواجد الأشياء ، وهو كما ترى خلاف منطق اللغة ، فإن تلك القوّة من جهة أخرى ( موجودة ) فليست سابقة إذن على الأشياء ! إنما هي فيها ومعها فهي إذن عين ظهورها ، فهنا تتطابق اللغة مع المنطق . أما عندهم فالافتراق وعدم فهم دلالة المفردة لغوياً يجعل الأمور عويصة عليهم .

مونادو : يقول الشيرازي ( صدر المتألهين ) كما يدعوه أتباعه من بني الإنسان أن الوجود هو : ( حقّ الأشياء بالتحقّق ) . فلم يقل هو ( تحقّق الأشياء ) ليطابق المفهوم اللغوي ، بل قال حقّها في التحقّق . إذن فالأشياء لها ( حقّ ) سابق في التحقّق ، وعليه فإن الأشياء أصبحت ( واجبة الوجود ) لا فرق بينها وبين واجب الوجود ، ذلك الفرق الذي ادّعوه في التضاعيف ونقضوه في التجاويف !

الرئيس : آ ...أيها المونادو الذي لم يخيّب ظنّي فيه ! ما أسرع ما صرت تكتشف موناد هوسرلٍ في توحيد ( صدر المتألهين ) ...يا لك من شيطانٍ ماردٍ ! لكني أسال : أهذا الفهم للوجود هو عين الماهية ؟

المشرقي : كلاّ . فقد فرّق الشيرازي بين الماهية والوجود لأنه قال : ( إن شموله الكلّي هو من باب الانبساط والسريان على هياكل الماهيات سرياناً مجهول التصوّر فهو مختلِف الحقائق بحسب الماهيات )(١) !

المغربي : ولمّا كان هذا الفهم يجعل الوجود ( حقّاً ) أوّلياً _ مع أنه يعترف ضمناً أنه قوّة سارية مخلوقة _ فقد أصبح يضمّ حقيقة الإله ، ومن هنا قسّموا الوجود إلى واجب وممكن ومحال . وفي هذا التقسيم مشكلتان : الأولى أن الله اشترك في صفة الوجود مع الممكنات واشترك في التعريف مع المحالات ، أمّا المشكلة الثانية فإن إدخال ( المحال الوجود ) كقسمٍ منها مناقض لتعريف الوجود بما هو قوّة سارية ، واعتراف ضمنيّ بأن اللفظ على فهمه اللغوي لا يمكن إخراجه من هذه الدلالة ، فهو حصول التحقّق أو عدمه سواء بسواء كما قلتُ سابقاً .

المشرقي : ولكنه ناقض قوله في الفرق بين الماهية والوجود . إذ لمّا قال أن الوجود منبسط على هياكل الماهيات فقد أصبحت الماهيات موجودة قبله ! وإذن فهي موجودة قبل ( الوجود ) ! وبالتالي فهي ليست إلهاً آخر بل أعظم ، لأنه سيحاول بعد ذلك إثبات وجود ( الله ) بينما وجود الماهيات مفروغ منه ! . لكنه في ( الإشراقة )الخامسة كما يسمّيها يقول : ( فالحقّ أن الوجود متقدِّم على الماهية لا بمعنى أنه مؤثّر فيه ) ! ، فما فائدة تقدّمه مع عدم التأثير ؟ إذ تبقى الماهية مستقلّة بوجودها عن مفهوم الوجود نفسه فهي إذن اكبر من واجب الوجود لأنها لا تحتاج ولا تتأثّر حتى بالوجود ، بينما يحاول فيما بعد البرهنة على واجب الوجود ! فقد انعكس الأمر ، إذ الماهية أصبحت لا توصف حتى بالوجود ، ومعلومٌ أن هذه هي صفة ( الله ) لأن الحديث عن الوجود كاسم لغوي إنما يعني الحديث عن العدم ! ، بينما احتاج واجب الوجود إلى برهان لإثبات وجوده ! على ما أجمع عليه فلاسفة الإسلام كلّهم .

المغربي : ومعلومٌ أن أيَّ شيءٍ متقدِّم في الوجود على آخر فلا بدّ من اتصالٍ بينهما وتأثّرٍ ، فضرب مثلاً لعدم التأثّر هو قوله : ( بمعنى أن الوجود هو الأصل والماهية تبعٌ له كما يتبع الظلّ الشخص )(١).لكن الشخص يؤثّر في الظلّ والظلّ لا يؤثّر في الشخص بخلاف الفرض الذي زعمه من أن المتقدِّم لا يؤثّر ، وإذن فلا يجد مثالاً لمتقدّم في الوجود لا يؤثّر في المتأخِّر .

المشرقي : لكنه يناقض ذلك كله بعد سطور إذ يزعم أن الوجود والماهية متّحدان ! بل يزعم أن الماهية ناتجة عن الوجود وذلك حينما يقول : ( فيكون الوجود موجوداً في نفسه بالذات ، أمّا الماهية فموجودة

بالوجود أي بالعرض فهما متّحدان ) .
المغربي : ويكون الناتج سيدي الرئيس هو ألوهية الوجود ( بمعنى وجود الأشياء الموجودة ) ، لأن الماهية ليست سوى ماهية الأشياء الموجودة فعلاً فهي لوجودها المتحقّق عياناً أربكتهم فأعطوها صفة واجب الوجود ، لذلك احتاج واجب الوجود إلى برهان لإثبات وجوده خلافاً للماهيات !
المشرقي : وإذن فالتناقض الآخر هو في التقسيم ، إذ المعلوم أن ( واجب الوجود )لفظ أو اصطلاح يتناقض مع البحث الدائم عن البراهين لإثبات وجوده ! إذ كيف يحتاج واجب الوجود إلى برهان ، بينما لا يحتاج الممكن الوجود إلى مثل ذلك ؟
المغربي : ومن هنا اتّفقت كلمتهم على أن يبحثوا في إثبات واجب الوجود وسمّوه المطلوب العظيم(٢) .
الرئيس : مع أني مسرورٌ جدّاً لأعمالكم الجليلة في وضع هذه المقدّمات المتهرّئة إلاّ أن هناك اعتراض محتمَلٌ ، فربّ قائلٍ يقول أننا وجدنا المثلّث القائم الزاوية يكون فيه المربّع المنشأ على الوتر يساوي مجموع المربّعين المجاورين له ومع ذلك لم يكن لدينا برهانٌ عليه ، ثم جاء البرهان بعد ذلك بمدّة طويلة ، فكذلك الأمر فإن واجب الوجود لا شكّ في وجوده ومع ذلك فإننا نحتاج إلى معرفة السبب في عدم شكّنا بوجوده فالبرهان هو لهذه الغاية(١) ! .
المشرقي : أتوسّل إليك سيدي الرئيس ...لا تربكنا بأسئلةٍ عويصةٍ أكثر مما نحن مرتبكين بمسائلك السابقة !
)يحدِّق الرئيس بالمشرقي مندهشاً ثم يقول )
الرئيس : أَوَلا تقدر أيّها المشرقي على إجابة سؤالي ؟ أُقسم بعدميتي التي ذعرت منها الكائنات لئن لم تجب على مسألتي بأثبت جنان وأفصح بيان لأنتزعنّ منك كلّ تأجيلٍ للعذاب منذ الآن ! .
المشرقي : بل أجيب على المسألة بأثبت جنان وأفصح بيان وأقول بأن سبيل هذا البرهان مختلف عن سبيل ذلك البرهان بل هو نقيضه . ذلك لأنهم حينما وجدوا المثلّث القائم الزاوية على هذا الحال ، فإن العقل أوجب ويوجب على المرء البحث عن سبب ظهور هذه الحقيقة في المثلّث والمرتبط ببديهيات أولية معلومة في العقل . فالعقل يعلم أشياء قالوا أنها بديهيةٌ لا تحتاج إلى برهان وإذن فلا بدّ من علاقةٍ منطقيةٍ بين هذه الحقيقة وتلك البديهيات . ولذلك فأن البرهنة على هذه الصفة في المثلّث تعتمد على تلك البديهيات ويستحيل وضع برهانٍ خارجها . أمّا سبيل البرهان على واجب الوجود فهو نقيض ذلك تماماً ، لأنهم قالوا أن ( الوجود بديهية )(٢)، وردّوا على من قال بأن الوجود اعتباري محض . والذي وجوده واجب يجب أن يكون هو تلك البديهية الوجودية الأولى ، فلا شيء من البديهيات قبله ليمكن البرهنة عليه بها ، فأخّروا واجب الوجود عن وجوده الواجب وطلبوا البرهان عليه . فعملهم مثل عمل مجنونة بني

فلان : لمّا أتمّت الغزل قالت فأين ذهب الصوف ؟ فقيل لها في الغزل فقالت لأنقضنّه ، فلمّا أتمّت النقض قالت فأين ذهب الغزل ؟فقيل لها استحال إلى صوف ، قالت لأغزلنّه ! فما زالت تنقض ما غزلت وتغزل ما نقضت حتى هلكت(٣).

المغربي : فالفلاسفة أجمعوا على إمكانية إثبات وجود ( واجب الوجود ) ، بل وتناقشوا في أفضل السبل الكفيلة بهذا الإثبات وامتدح بعضهم البعض رغم الفجوات والخلافات لتوحّد الهدف . فقد قال ( نصير الملّة ) في مطارحاته مع ( نجم الملّة ) : ( طالعت الرسالة التي عملها مولانا الإمام نجم الملّة والدين علاّمة العصر وافضل العالم علي بن عمر الكاتبي _ أدام الله أفضاله _ في المباحث المتعلّقة بإثبات واجب الوجود _ جلّت أسماءه _ فوجدتها مشحونة بغرر الدُرر مشتملة على فرائد الفوائد . (1)( ...

المشرقي : ليس الأمر كما قال أخي شيطان المغرب وحسب ، بل انطوى تأخير واجب الوجود عن وجوده على إضفاء صفات الممكنات عليه وإضفاء صفاته على الممكنات فانعكس الأمر . وهذا هو النجاح الساحق الذي سجّله التاريخ لنا على بني الإنسان .

الرئيس : وكيف كان ذلك ؟

المغربي : كان ذلك ظاهراً في جميع أقوالهم فبأيّهم تريدني أن أبدأ سيدي الرئيس ؟

الرئيس : إبدأ بما يقوله المعلّم الثاني ، فإنه قد أطال المقالات في الوجود وأقسامه .

المغربي : قال المعلّم في صفة ممكن الوجود وتعريفه : ( كلّ ما كان جوهره ليس بكافٍ في بقاءه أو وجوده فلوجودِه سببٌ آخرُ غيرَهُ وهو عدم ضدِّهِ )(٢).والمعنى هو أن الموجودات ليست موجودة بذاتها إذ لاشيء في جوهرها كافٍ لبقائها ووجودها والسبب في وجودها هو شيء آخر خارجٌ عنها وهذا الشيء هو عدم وجود ما ينفي وجودها وهو الضدُّ . إذ عرّف الضدّ بأنه الذي ينفي الشيء تحديداً (٣). إذن فالموجودات لا ضدَّ لها ! لكنّ عنوان البحث هو : ( القول في واجب الوجود أنّه لا ضدَّ له ) ! فكانت النتيجة أن ممكن الوجود لا ضِدَّ لــه !! .

الرئيس : فأين مكمن الخطأ هنا ؟

المشرقي : إنه يكمن سيدي الرئيس في انعكاس الفرض . فإن اللاضدّية هي صفة واجب الوجود على التقسيم المذكور والتي اعترف بها عنوان البحث عند كلٍّ منهم وخالفتها النتيجة عند جميعهم . والوهم هو في تصوّرهم أن ممكن الوجود إنما كان سبب وجوده هو انتفاء ضدِّه ، بينما الأمر هو على العكس تماماً . فإن الممكنات هي الأضداد فقط إذ لا يقدر على الظهور وارتداء الوجود إلاّ ماله ضدّ ، فالضدّان يظهران سويةً ويختفيان سويةً ، وليس من شيء يمكن له أن يوجد وهو بغير ضدٍّ .

الرئيس : لماذا ؟

المغربي : لأن الشيء الذي ليس له ضدٌّ ليس بشيءٍ .

الرئيس : ماذا تعني بالشيء إذن ؟

المغربي : إن اللغة فكرٌ ...وإن في اللغة القدرة على أن نشير إلى ما نفكّر فيه ولو كان محالاً أو خيالاً أو باطلاً ...إن مفردة ( الشيء ) هي المفردة الوحيدة التي تشير إلى اللغة كلّها . وإني لا أتحدّث عن التسامح في استعمال المفردات مثل قولك : ( إن الصديق الذي لا يذكرني ليس بصديقٍ ) فتسمِّيه صديقاً في البدء وتنفي عنه التسمية في النهاية . كلا . إني إنما أتحدث عن مفردة ( شيء ) التي تعني كلّ فكرةٍ ممكنةٍ ، فهي تعمل بوجهين لأنها تشير إلى إمكان تصوّرها وتشير إلى إمكان وجودها ، وهي لا تتحقّق إلاّ بوقوع الإمكانين سويةً .وإذن فهناك دوماً شيء ليس بشيء . ومن هنا أقول إن هذا الذي تصوّره الإنسان شيئاً بلا ضدٍّ هو ( شيء ) على التصوّر لكنه ليس بشيء على الإمكان والناتج أنه ليس بشيء . من أجل ذلك فإن أحد الذين أُنزلت عليهم الكتب سكت طويلاً ورفض الإجابة على سؤال السائل : ( هل الله شيء ؟ ) . ذلك لأنه إن قال ( نعم ) فربّما يظنّ السائل أنه يمكنه أن يتصوّره ، وإن قال ( لا ) فقد يظنّ أنه غير متحقِّق الوجود فاحتار ذلك الولي في الإجابة على سؤال هذا الجاهل فلمّا ألحّ عليه قال الولي : ( شيءٌ لا كالأشياء ) . فأثبت التحقِّق ونفى التصوِّر . بيدَ إن الفلاسفة يعجبهم أن يقلبوا هذا القول فيظنّون أنه شيء في التصوّر من حيث أنه ( موجود ) في التصوِّر ولكنه ليس كالأشياء في الوجود ! .

الرئيس : لكن لو قيل لك أنك قلت أن ما ليس له ضدٌّ فليس بشيءٍ ولا يمكن أن يُوجد وأنت تقول أيضاً أن الله ليس له ضدٌّ . وإذن فهو ليس بشيء فماذا تقول ؟

المشرقي : لا نقول إلاّ ما قلناه : كلُّ شيء له ضدٌّ يمكن أن يُوجد وما ليس له ضدٌّ لا يمكن أن يُوجد وإن الله ليس له ضدٌّ ولا يمكن أن يُوجد فهل أخطأتنا اللغة أم نحن أخطأناها ؟

الرئيس : لكنّي أرى بعض الشياطين لم يفهموا ! .

المغربي : بالطبع ( لا يمكن أن يوجد الله ) فهذه العبارة نفيٌ للإمكان . أولم يكونوا يبحثون عن نفي الإمكان عنه لإثبات الوجوب ؟ .

المشرقي : لأنه إن أمكن أن يوجد فهناك من أوجده وأصبح حادثاً وهو نقيض القديم على تقسيمهم العجيب .

المغربي : فقولنا : ( لا يمكن أن يوجد ) هو مثل قولنا : ( لا يمكن أن يولد ) فهل اخطأنا اللغة سيدي الرئيس ؟

الرئيس : بل أنا مسرور جدّاً لما ذكرتموه ، فقد برهنتم على الصفة الخامسة والصفة الرابعة من عبارة الناموس التي ذكرها آخر الكتب المنزّلة . فلكما مني على ذلك أن أمنحكما تأجيلاً استثنائياً من العذاب

قدره عشرة آلاف سنة عن الخامسة وضعفها عن الرابعة ...وكذلك فالمقدار يتضاعف إذا خطوتم نحو الصفات الثلاثة المتقدّمة في العبارة عن كلّ واحدةٍ منها .

)ينظر المشرقي في وجه المغربي مذهولاً من هذا الرقم المفاجئ للمكافأة ثم يقول له )

المشرقي : ماذا نريد أعظم من هذا الرصيد فتعال نستأذن لنتناجى لعلّنا نترقّى بالاستدلال إلى بقية مفردات عبارة الناموس !

)وإذ ينتبه الرئيس لما هما فيه فإنه يقول لهما )

الرئيس : أيّها المغربيان المشرقيان ...اذهبا فتناجيا ما شئتما ، وأحكما المعنى واللفظ والبناء وتوقّعا مني أعوص المسائل .

)يخرجان من الباب الأسود )

الرئيس : ما لي لا أرى المارد الذي جاء بمحاورة الحكيمين ؟

المعاون : أتراحسس ! سيدي الرئيس اسمه أتراحسس ، وقد بعثتُه على وجه السرعة بعد مجيء أنباءٍ عن عزمهما على تمثيل مشهدٍ آخرٍ .

الرئيس : وما تفصيل هذه الأنباء ؟

المعاون : تفصيلُها أن ماهانا الحكيم قال ضحى اليوم لصديقه براهما الحكيم : (أي براهما إن نفسي تحدّثني أنه يتوجّب على المرء أن يتعلّم ( التحامق ) كما يتعلّم التعقّل ! ) فقال براهما : ( إن ما تقوله يا ماهانا شيءٌ قد غفلتُ عنه فعلاً ، وإنك لمحقٌّ فيه كلّ الحق ، ولكن أخبرني كيف نفعل ذلك وما وجه الحيلة فيه ؟ ) . فقال ماهانا : ( ما ترى لو نتحامق مع هذا الجبل الذي نحن في كهفه وكنفه ؟ كأن أنكره فأقول عن أي شيء تتحدّث فإني لا أرى شيئاً وأنت تقول آ ...نعم لقد توهّمت فإني أيضاً لا أرى شيئاً . وهكذا على شرطٍ قاسٍ جدّاً هو أن لا تعود إلى عقلك قط ، وتفعل كلّ ما في وسعك من الحمق ...فإذا اختلفنا أصرّ كلٌّ منّا على حمقه ثم نتجادل ويمسك كلٌّ منّا بتلابيب صاحبه حتى نتهالكَ من العراك ...فهل ننجح في ضبط أنفسنا عن التعقّل ؟ ) . فردّ عليه براهما قائلاً : ( يا لخيالك الواسع ...أمّا أنا فلست مطمئناً تماماً إلى أن موضوع الجبل يمنحني ما أحلم به من حماقات ! فيا عزيزي ماهانا يجب أن يكون الموضوع جيّداً ومُنتخَباً لأكبر قدرٍ ممكن من الحمق . ) . فقال ماهانا : ( أنت محقٌّ سيدي الحكيم ، فلنفكّر إذن ...حتى يحين وقت العصر . ) .

)يقول المعاون مخاطباً الرئيس ومشيراً في نفس الوقت إلى أحد المردة بالخروج )

المعاون : ومن أجل ذلك أرسلت أتراحسس إلى الموقع لأني لا آمن من أن يقوما بخلاف ما يظهر منهما من كلام ، فلطالما تفاهما بالنظرات واتّفقا بالإشارات وخالفا المأمول فلا يجد الشياطين إليهما من سبيل .

وإني لآمل من أتراحسس المارد البارع القادر على التصوّر بأيّة صورةٍ شاء أن يفسد عليهما ما أزمعا عليه من التحامق .

)يعود المارد الذي أرسله المعاون ويقول )

المارد : انتهت آخر فقرة من الحوار وأتراحسس في أثري أيّها الرئيس .

)يصل أتراحسس ويستأذن للدخول ويدخل معه المشرقيان )

أتراحسس : الظلام عليكم !

الرئيس : وعليك الظلام أعجل بشرٍّ .

أتراحسس : زعما سيدي الرئيس أنهما وإلى أن حان وقت العصر لم يجدا ما هو جديرٌ بالتحامق !

الرئيس : وأين كنتَ إذن وأنت الذي تكمن بين الصلب والترائب وتسري في العروق ؟

أتراحسس : وما الفائدة من الكمون إذا كان للإنسان القدرة على مخالفة نفسه حينما يتّصف بالحكمة ؟ إذ ليس للشيطان منّا مهما بلغ من البراعة أن يكون أقرب للإنسان من نفسه ، وليس من ديدنٍ لهذين الرجلين سوى الشكّ في نفسيهما .

الرئيس : صدقتَ يا كذّاب ! فما جرى بعد ذلك ؟

أتراحسس : إليك هذا المحاورة بأحداثها والتي جرت بينهما . فقد قال ماهانا لبراهما :

ماهانا : إن عجزنا عن التحامق لهو دليلٌ على عدم بلوغنا المرتبة اللائقة بنا من التعقّل .

براهما : صدقتَ يا أخي . فلنتحدّث عن أيِّ شيءٍ لعلّنا ندخل في التحامق عفواً .

ماهانا : هذا أحسن .

براهما : مع من تتكلّم أيّها الإنسان ؟ ألا تعلم بأني لست موجوداً الآن ؟

ماهانا : معك ...كلاّ ...مع ) ...يتردّد ) ...بالطبع أنت لست موجوداً الآن ...نعم ...

براهما : قلتُ لك لا تكلّمني . ألم تسمع ؟ فأنا لست موجوداً .

ماهانا ( يفكّر في الرد ) : آه ...نعم لا تكلّمني أيّها الرجل فأنا معدوم .

براهما : عجباً لِمَ تكلّم معدوماً ؟

ماهانا : لن أكلّمك بعد الآن ...لكني سأتكلّم عن المعدومات وأنت معدوم وأنا معدوم أيضاً . ( يكلّم نفسه )

براهما : لكنك لا زلت تخاطبني وقد قلت لك لا تكلّمني فأنا معدوم .

ماهانا ( يكلّم نفسه ) : أنا معدوم ...أنا معدوم .

براهما : أنا غبر موجود ...أنا غبر موجود .

)يفترقان غير أن براهما يصيح )
براهما : توقّف يا ماهانا عن التحامق ! توقّف وارجع إلى التعقّل ...هذه المحاورة مقرفةٌ . إنها لا تعجبني !

ماهانا : كان المفروض أن نختلف ونتعارك فما الذي حصل ؟

براهما : الذي حصل أننا اتّفقنا . إنه تحامقٌ سيئٌ للغاية .

ماهانا : لقد اكتشفت السبب يا براهما . هيّا ...هيّا أعِد المحاورة وسأبدأ أنا :-لا تكلّمني قط فأنا لستُ موجوداً .

براهما ( يتقدّم نحوه غاضباً ) : تُكلِّم من أيّها الرجل ؟ ألا تعلم بأني لست موجوداً ؟

ماهانا : آ ...أتريد أن تُسبِق عدميَّتي بعدميّةٍ لاحقةٍ ، أنا الذي قلت أولاً لست موجوداً . تاب ...تاب

)يضرب براهما ثم أمسك كلّ منهما بتلابيب الآخر حتى سقطا إلى الأرض فوقع براهما إلى ظهره ووقع ماهانا فوقه عرضياً إلى بطنه وهما خائري القوى ) .

الرئيس : أريد أن أعلم ما الذي فهمه ( مونادو ) من هذه المحاورة ؟ .

مونادو : إن فهمي لقاصرٌ أيّها الرئيس ! .

الرئيس : لم أطلب منك فهماً صحيحاً ، بل طلبتُ أن تخبرني بما فهمتَ ولو كان خاطئاً .

مونادو : لمّا لم يلتزما بشرط التحامق اتّفقا ولمّا التزما بهذا الشرط اختلفا . هذا هو ما فهمته(١).

الرئيس : إن فهمك لقريب من الحقيقة ولكنه بالمقلوب . تكلّم يا مغربي .

المغربي : نعم سيدي الرئيس . لمّا كان التحامق هو خلاف المعقول فإن كلّ ما يقوله أحدهما فلا بدّ للآخر من الإقرار به على شرط التحامق . ولذلك اتّفقا على اللامعقول . وحينما أعاد ماهانا المحاورة لاكتشافه السبب حسب زعمه اكتشفه في عين الوقت براهما ، فأسرع في الإجابة بخلاف الشرط وذلك حينما قال : تُكلِّم من أيّها الرجل ألا تعلم بأني لست موجوداً ؟ ، فهو وأن كان تحامقاً في ظاهره إلاّ أنه ينطوي على تخطيط عقلاني للسبق وهو قائمٌ على الكذب . وهنا أخلّ ماهانا وبالمقابل بالشرط فقال : تريد أن تُسبق ...الخ . ثم قال : أنا الذي قلت أولاً لست موجوداً . وهذا احتجاج عقليٌّ قائمٌ على الصدق بشأن قضيَّةٍ كاذبةٍ هي ( عدم وجوده ) . ولذلك اختلفا .

المشرقي : سيدي الرئيس . تبدو لنا الإشارة هنا إلى مصادر الاختلاف والاتفاق . فالاتّفاق يحصل في حالتين والاختلاف لا يحصل إلاّ في حالةٍ واحدةٍ . يحصل الاتّفاق حينما يكون التعقّل كاملاً . وهي حالة الحكيمين قبل المحاورة ، ويحصل كذلك حينما يكون التحامق كاملاً أي اللاتعقّل . ومعنى ذلك إن المتّفقين دوماً هم إمّا حكماء تحرّرت عقولهم من الذاتية وأمّا أن يكونوا من البلهاء السذّج الذين لا يحسنون شيئاً .

أمّا الاختلاف فلا يحدث إلاّ في حالةٍ واحدةٍ هي الخلط بين التعقّل والتحامق .

الرئيس : ليتكلّم كلُّ من يرغب في الكلام بشأن هذه المحاورة .

جليوتا : كأنهما يقولان : إن الذين يمكن أن يتّفقوا على اللامعقول هم البلهاء والسُذّج الذين انعدمت لديهم العقلانية أو الحكماء الذين يتّفقون على المعقول حينما تنعدم لديهم الأنانية .أمّا الفلاسفة فلا بدّ من اختلافهم لأنهم رمز الأنانية والتعقّل معاً . فالأنانية تجلب التحامق مع التعقّل فلا ينتج شيءٌ ذو ثمرةٍ ... ويكون الاختلاف نتيجةٌ لا مفرّ منها .

المغربي : لمّا كان التحامق من فعّاليات العقل شأنه شأن التعقّل تماماً ، فمن غير المنطقي أن يكون العقل فعّالاً في ما هو مضادٌ لعمله الأصلي ولاغياً له .

الرئيس : نعم يا مغربي وما الذي ينتج من ذلك ؟

المغربي : إنه برهانٌ أكيدٌ على وجود النفس – العنصر الآخر – الذي يقف وراء العقل وينطوي على الذات الآمرة . إنه برهانٌ على أن العقل منفعلٌ لا فاعلٌ وهو إنما يكون فاعلاً بالانفعال ، ومن هنا فإنه يحسب الأشياء حسب مراد الذات .

المشرقي : ربّما تكون المحاورة مخصّصةً لإبطال مقولات العقل الفعّال لجمعٍ من الفلاسفة .

المغربي : وقد يكون المقصود بها إلغاء ما جاء به عمانوئيل كانت والمؤسَّس على العقل العملي الخالص . لأن العقل الفعّال عند الفارابي هو عقلٌ أوّلٌ لا ترقى إليه العقول .

المشرقي : إن ( كانت ) يتّفق معنا في تحليلنا هذا بشأن العقل الخالص لأنه إنما أراد فصله عن النوازع ليتمكّن من الحكم المستّقل . ولذلك كتب كتابه ( الدين داخل حدود العقل فقط ) . فثمّة دينٌ عقليٌّ مغايرٌ لهذا الدين . أمّا الفارابي فإن العقل الفعّال عنده هو عقلٌ مخلوقٌ نشأ منه الفلك الأقصى لذا فهو إله آخر . فالمحاورة إذن تُلغي العقل الفعّال ، إذ أنها تُثبت أن العقل لا يمكن أن يعمل مُستقلاً عن الأدوات المادية ، في وقتٍ لا يمكن فيه إطلاق هذا الاسم على ( الله ) ليكون هو المقصود .

المغربي : كأنك تصدِّق أن ( كانت ) هو رجلٌ محبٌّ للدين بما هو دينٌ حينما يقومُ بالتصحيح ؟ إنه فعل ذلك لأمرين : الأول هو لإعطاء العقل هيمنةً من خلال نقده له فيكون بديلاً للوحي وإن كان الوحي يشكّل لديه خطوطاً حمراء لا ينبغي تجاوزها . والأمر الآخر هو هذا التوقّف عند تلك الحدود ، فإنما فعله إرضاءاً لجماعة اللاهوت . ذلك لأن ( كانت ) نفسه يقول : ( من المحتمل جدّاً أن لا يوجد دينٌ قد استُنبِطَ من العقل المحض )(١). فإذا أضفت إلى ذلك قوله ( إنّ الدّين واحد ) علمتَ إن هذه مقولة حقٍّ أريد بها باطلٌ هو تأسيسُ دينٍ من عقل الإنسان – العقل العملي لا العقل المحض . فالباحثون قد لا يفرّقون كثيراً بين العملي والمحض ، إذ عدّوا نقد العقل العملي والمحض نقداً واحداً ، وقارنوهما مع كتابه الثالث فقط . أمّا

الفارابي فإن العقل الفعّال عنده سابقٌ على ظهور المادة ولكنه بعد الله ، فهو إذن عقلٌ مجرّدٌ . ومن المحتمل جدّاً أن يكون ( كانت ) قد أخذ الفكرة منه ، فسمّى الفعّال بالمجرّد وسمّى العقل ( المستفاد ) في تسمية الفارابي بالعقل العملي .

الرئيس : إنه لأمرٌ سيئ أن يقول الشيطان ( محتملٌ جدّاً ) . فأين كنتم إذن حينما كتب ( كانت ) الكتابين المذكورين ؟ .

أتراحسس : إن المسائل الأمنية سيدي الرئيس تُلقي بظلالها على الصيغ اللغوية .

خزنابو : هل أتكلّم ؟ .

الرئيس : بلى ...بلى ...ولِمَ لا ؟ .

خزنابو : لكن لا تضحكوا من عقلي ، فإني لا أستطيع فهم مسألة العقل هذه ، لكني أريد أن أعرض المشكلة بطريقةٍ أخرى لاحظتها عندما يذبح بنو الإنسان الدجاج ! .

الرئيس : نعم تكلّم ما هي ؟

خزنابو : إن بني الإنسان في علومهم الطبية والتشريحية قد فرغوا من القول أن العقل في الدماغ . وكذلك فإنهم يقولون أن الدماغ هو عبارة عن خلايا عصبيةٍ ماديّةٍ تجري فيها الدماء بأوعيةٍ شعريّة فهي لا تختلف بشيءٍ عن بقية الخلايا إلاّ بنفس نسبة اختلاف خلايا الأنسجة بعضها عن بعض . وإني لأتساءل لِمَ لا يكون العقل في مركزٍ آخرٍ من هذه الأنسجة الكثيرة في جسم الإنسان كأن يكون في القلب أو الطحال أو المعدة ؟

مطيروش ( مارد الأحياء ) : وهل يسأل أمروٌ عاقلٌ هذا السؤال ؟ الأمر معلومٌ فإن رئيس الأعضاء هو الرأس والذي فيه هو الدماغ وهو الوحيد الذي تمتّد منه شبكة الأعصاب إلى كافة الأجزاء .

خزنابو : على رسلك يا ملك التشريح ! فإن القلب هو الآخر يرسل الدّم إلى كافّة الأجزاء . وإن الغدد تفرز موادها إلى كافّة الأجزاء .

مطيروش : إن الدّم والهرمونات إنما هي موادٌ وأجسامٌ ماديّةٌ تجهّز البدن باحتياجاته ، أمّا الجهاز العصبي فإنه يسيطر على عمل الأعضاء كلّها ، وعمله معقّدٌ جدّاً . فثمّة تفاعلات كيميائية ونتائج كهربائية تنتقل على صورة إشارات إلى كافّة الأجزاء .

خزنابو : فإذا انفصل الدماغ عن البدن بسكّينٍ حادّةٍ ، أليس المفروض أن تتوقّف كافّة الحركات في البدن لانقطاع الإشارات ؟

مطيروش : طبعاً ! ألا تراه يسكن بعد ذلك ويتوقّف كلّ شيءٍ ويموت ! .

خزنابو : إن عبارة ( بعد ذلك ) التي قلتها تهمّني جدّاً من الناحية الفيزيائية . فإن الطير المقطوع الرأس

يتحرّك ويفرّ ويركض مرّة بعد مرّة قبل أن يسكن سكنة الموت .فاخبرني من أين يأتي الإيعاز والرأس منفصل ؟ لا تقل لي بقانون الاستمرارية فإن أهل الفيزياء سيغضبون جدّاً . لأن الاستمرارية هي مثل استمرار دوران القرص بعد قطع القوّة المحرّكة عنه ، فهنا يحدث تباطؤ في الحركة لحين التساوي مع قوّة الاحتكاك . أمّا الطير فإنه مثبّتٌ تحت رجل الناحر ، فإذا أطلقه تحرّك وركض وما يزال ينطلق ويتوقّف حتى يسكن . فبأي إيعازٍ يتحرّك ويركض وأنت تقول أن حركة الأطراف إرادية بإيعازٍ من الدماغ والدماغ منفصل ؟ .

مطيروش : ) ......لا يجيب )

الرئيس : تبّاً لعقلك ( الفعّال ) يا مطيروش . أيكون مقامك أن يُفحمك مثل خزنابو ! .

المغربي : تبدو لنا قضيّة أسبقيّة الوجود أو الفكر متداخلةً هنا وذات صورتين متعامدتين ، أمّا الأولى ...

)الرئيس مقاطعاً ومشيراً لأحد المردة )

الرئيس : تفضّل وعجِّل بشرٍّ أيّها المارد . ما تريد أن تقول ؟

ماسيروس : سيدي الرئيس . ماسيروس كاتب القصص القصيرة الشهيرة بين يديك . لديَّ قصصٌ قصيرةٌ بشأن الأسبقية التي يتحدّث عنها المغربي وبالطبع لا يمكن استنفاد الوقت بمثل هذه القصص فأكتفي بذكر عناوين مجموعتي الرابعة المسمّاة ( المجموعة الديكارتية ) وحوادثها كالآتي :

القصّة الأولى ( الاعتذار ) :- وفيها يدهس البائع المتجوِّل ديكارت بالعربة ويعتذر منه قائلاً : الواقع أني لم أكن أفكّر في تلك اللحظة . فيقول ديكارت غاضباً : كان عليك أن تنظر وتفكّر . فيغضب البائع بدوره غضباً شديداً ثمّ يقول لديكارت ممسكاً بتلابيبه : كأنك لم تفهم للآن يا رجل ؟ حينما أقول لك لم أكن أفكّر فمعنى ذلك أني لم أكن موجوداً . هكذا يقول الفيلسوف ديكارت ، وعليك إذن أن تعتذر لأنك أهدرت وقتي في تعليمك بديهيات واضحة !

القصّة الثانية ( الحرامي ) :- وفيها يقوم خادم ديكارت بالاتّفاق مع مجموعةٍ من اللصوص على سرقة دار سيّدِه. ويعتذر الخادم بادِّعاءه أنه غير موجود ساعة الحادث . ولكن أهل الجوار شهدوا أنّهم رأوه نائماً في الشرفة ساعتئذٍ . بيد أن القاضي أطلق سراحه حينما قال : بالفعل كنت نائماً وإذن فلم أكن أفكّر وبالتالي فإني غير موجود حسب ديكارت والواجب أن يكون حكمي هو حكم الغائب ، فحكم القاضي للحرامي وكلّف ديكارت دفع الرسوم وأجر المحاماة والتعويض عن وقت الحرامي .

القصة الثالثة ( الجنين ) :- وفيها يقوم ديكارت بمراجعة المستشفى لإجراء الفحص على زوجته الحامل ووضع الجنين . لكن الطبيب لا يبالي بالموضوع ويسأل ديكارت بدون اكتراث قائلاً : هل الجنين يفكّر ؟ فيردُّ ديكارت قائلاً : إنه جنين فكيف يفكّر ؟ فيقول الطبيب : إذن لا داعيَ للفحص فهو غير موجود !

فيخرج ديكارت وهو يلعن ( الكوجيتو ) .

المغربي : إن قصص ماسيروس رائعةٌ سيدي الرئيس على خلاف ما يظنّه البعض ، ذلك أنني وفي محاورةٍ مع المشرقي نبّهني إلى أن تناقض الكوجيتو هو في الجزء الأول من العبارة لا في العبارة كلها .

أي أن الناتج : ( أنا موجود ) يتناقض مع ( أنا ) فقط الموجود في عبارة ( أنا أفكّر ) . والمعنى : أنك حينما تبدأ أيَّ عبارةٍ بالقول ( أنا ) فهذا تقريرٌ في الوجود فهو لا يحتاج إلى إثبات جديد ، فإذا احتاج إلى إثبات تطرّق الشك إلى المقدّمة نفسها فأصبحت عبارة ( أنا أفكّر ) عبارة مشكوك بها فيفسد الناتج حتماً .

المشرقي : بمعنىً آخر وبمفردات أخرى : لا تصدِّق المقدّمة إلاّ عندما يكون قول القائل ( أنا ) مفروغاً منه . إذ لا يعني ذلك شيئاً سوى : أنا ( هذا الموجود ) أفكّر ، فلا يحتاج إلى الناتج . وإذن فالوجود هنا متقدّمٌ على التفكير وهو عكس ما زعمه ديكارت .

المغربي : ومن هنا سألت المشرقي كيف انتبهت إلى ذلك فقال لي : من اللغة فإني أتعلم من اللغة فقط ، فاللغة عند المشرقي هي الفكر وليست حاملاً للفكر أو أداةً له ولذلك يزعم المشرقي أن التركيب الغير مقدورٍ عليه في اللغة غير مقدورٍ عليه في الواقع . وإن الفكرة التي لا يمكن صياغتها لغوياً بدقّةٍ هي الفكرة المستحيلة المتناقضة .

المشرقي : إن عبارة ( إذن أنا موجود ) هي نوع من التفكير لأن فيها استنتاج ، فإذا عوّضنا عنها بالتفكير أصبح الناتج بعد اختصار الطرفين ( أنا موجود ، إذن أفكّر ) – ذلك لأن معادلة الكوجيتو ليست سوى تكراراً سوفسطائياً لقضيةٍ واحدةٍ وعلى النحو التالي :

أنا أفكّر – إذن – أنا موجود .

وبالتعويض عن وجود الأنا تصبح :

أنا ( الموجود ) أفكّر – إذن – أنا ( الموجود ) موجود .

المغربي : وإن إبطال هذا الاستدلال لا يعني سوى إبطال الفلسفة كلها ، ذلك لأن الفلسفة ما هي إلاّ ظهورٌ لفكرة ( الأنا ) سواء على المستوى العام أي تجاور الفلسفات وعدم إمكانية الجمع بينها أو على مستوى التفاصيل . فالتفاصيل تؤكِّد ظهور الأنا في كلّ الفلسفات وهي تحاول الاستحواذ على الوجود وعلى المطلق إمّا بالمشاركة بارتقاء الأنا أو بتنزيل الإله، وإمّا بالاتّحاد بافتراض إلهٍ آخر لا مادي هو الهيولى أو العقل الفعّال أو النور ، وإمّا بتقمّص صفات الله .

الرئيس : لطالما تشدّق المتألهون بأسبقيّة الفكر على المادّة . لقد تجادلوا طويلاً مع المادّيين الذين أعلنوا أسبقيّة المادّة على الفكر . وإن الناس يعتقدون أن في الأولى إثبات وجود الله السابق على المادّة ، وفي الثانية إنكار هذا الوجود . وها أنتم الآن تثبتون مقالة الماديين .

المشرقي : وتلك هي جلائل أعمالنا الشيطانية سيادة الرئيس ! فإن أكثر الحقائق يقولها ويدافع عنها أعداءها وأكثر المنكرات يحملها ويدافع عنها خصومها ، وهذا هو عملنا الذي نفخر به دوماً . فنحن حينما نخلط الأمور بهذه الصورة نأمن من سرعة اكتشافها . وفي الواقع لا يزعجنا شيء إلاّ أمثال ذلك الولي الذي كان يرتقي المنبر وينادي بأعلى صوته ( أيّها الناس إن اكثر الحقِّ في ما تنكرون ) . ذلك أن أسبقيّة الفكر على المادّة – وعلى عكس ما ظنّ الإنسان – لا تثبت وجود الله بل تثبت وجود كائنٍ ناقصٍ قبل المادّة ! لأن ( الفكر ) من التفكير . ومعلومٌ أن التفكير هو من فعّاليات الجاهل بالأشياء وبنفسه . فالإنسان يفكّر لأنه يريد أن يتعلّم ، أمّا الله فإنه لا يوصف بأنه مفكّر أو كائنٌ لديه أفكار ! وعليه فإن أسبقيّة الفكر تعني أسبقيّة الإنسان نفسه !! ومن هنا فإن أسبقيّة المادّة على الفكر تثبت الظهور السلبي للمادة ، فهي فكرةٌ تنطوي ذاتياً على الإقرار بإلهٍ متقدِّمٍ عليها . أمّا فكرة تقدُّم الفكر على المادّة فهي عين الكوجيتو الديكارتي المتناقض . فالناس المتدينون يعلمون جيّداً أنهم وُجدوا بعد وجود هذا العالم لا قبله .

المغربي : إن المادّة في مفهومنا مختلفةٌ جداً عن المفهوم الذي أوحينا به إلى الإنسان ! فالمادّة في مفهومنا هي مادّة الموجودات كلّها وهي كلّ ما هو غير الله . فأسبقيّة الرواح على الأبدان داخلةٌ عندنا في أسبقيّة المادّة .

المشرقي : إن المادّة في مفهومنا هي ( كلُّ شيءٍ ) .

المغربي : وقد ذكرنا لك سيدي الرئيس ما هو ( الشيء ) ؟ .

المشرقي : إنها كلّ شيءٍ قابلٍ للشيئية ، فهو قابلٌ للانفعال ، وقابل للتحويل والانقسام . فالروح كائن مادّيٌّ مخلوقٌ .

الرئيس : نعم . إنني أدرك جيّداً مفارقات يوم الدِّين حينما يُقال لمجموعةٍ : كنتم تُقرُّون بما أعلنتم البراءة منه ، ويُقال لمجموعةٍ أخرى : أنتم كذبةٌ أيضاً إذ تنكرون ما أعلنتم الإيمان به . لذلك فهم مشتركون في التعذيب عندي لدرجةِ أني لا أستطيع التمييز بينهم لولا ما يقومون به من تلاومٍ بعضهم لبعض .

)وبينما كان الرئيس يتحدّث دخل مارد الخطفات من غير استئذان وقال للرئيس )

مارد الخطفات : سيدي ...رجلان من الأنس يحملان المشاعل ويتقدّمان نحونا بين أيديهما جحفلٌ من مؤمني الجان !!

)يهبُّ الرئيس صارخاً )

الرئيس : انتهت الجلسة ...تفرّقوا !

)وفي أقلّ من عشر الثانية كان الموقع قد خلا تماماً من كلّ مخلوق وأصبح كلّ شيطانٍ منهم تحت نجمٍ من نجوم السماء )

**الجلسة الخامسة لمؤتمر الشياطين**

**المسمّى**

**فريق إزالة الحكمة**

**)ردّد الحاضرون نشيد البقاء وبعدها أثنى المعاون على الزعيم فأعاد الحاضرون النشيد مجدّداً ثم تلا المعاون خلاصة الوصايا التي أكّد فيها مرّة أخرى على وجوب استمرار الفصل بين العلوم المختلفة . ثم قال )**

**المعاون : إن أسوأ شيءٍ هو أن تتسرّب علوم الفلك والفيزياء والهندسة أو الفنون بأنواعها إلى عقول الفلاسفة أو المتكلّمين ، فإن ذلك لو حدث فسيفقد الشياطين جميع ثمار أعمالهم طوال العصور . لذلك ليكن شعارنا هو : لتبقى الفلسفة تُدرَّس في حقل الآداب كي تبقى في بؤرة الخراب اللغوي .**

**)يشير المعاون إلى الرئيس ليتفضّل بالمناقشة فيقول هذا )**

**الرئيس : الظلمات في الموقع الجديد هذا متكاثفة وملائمة . لذلك سنغيّر موضع اجتماعاتنا دوماً حسب دوران الشمس وتكاثف الظلام فنختار في كلّ مرّة أشدّ المواقع الرضية ظلمةً فإنه أكتم لأعمالكم . فاخبروني الآن كيف يرى الفلاسفة خلق هذا العالم الآن ؟**

**المشرقي : إن الذين آمنوا بخالقٍ لهذا العالم اختلفوا في كلّ شيءٍ بعد إن اتّفقوا على أنه مخلوق . فقد قال بعضهم أنه مخلوقٌ من شيءٍ ، وقال آخرون بل هو مخلوقٌ من لاشيء . وفي الحالتين فإنهم وقعوا في مأزقٍ آخرٍ وهو على زعمهم أن العالم إذا كان قد خُلِقَ ، فلا بدّ أنّ الله متقدِمٌ عليه في الزمان فلماذا خلقه في هذا الوقت لا بوقتٍ أسبق أو وقت لاحق ما دام لا يطرأ على علمه زيادة ولا نقصان وشأنه في كلّ الأحوال واحدٌ ؟ فقال بعضهم في الجواب على ذلك : إنه لم يكن قبل العالم زمان ليصحّ السؤال وردّ عليهم البعض الآخر أن الزمان المقصود هنا ليس زمان العالم بل زمان الله المطلق . وقال آخرون : لأنه**

وجد أن هذا الزمان هو أصلح الأزمنة وقالوا في الردّ عليه أنه لا يتضمن إجابة عن السؤال . وقالت طائفة : إن العالم قديم فهو أزليٌّ ، ولكي لا يكونوا مثل المادّيين قالوا أيضا أن الله متقدّمٌ عليه بالذات لا بالزمان . ثم أنّ هؤلاء جميعاً اختلفوا في اللاشيء الذي خُلِقَ منه العالم أهو شيء ؟! وهل يصحّ تسمية المعدوم شيئاً ؟ وهل له وجود ؟ ، فقال سارتر المعدوم له وجود وذلك هو آخر مطاف الفلسفة .

الرئيس : فأوضح لي أين المغالطات في إشكالية الزمان ؟

المغربي : لقد لاحظنا في هذه الحقول ظاهرة غريبة عند بني الإنسان ! فإن الفرض المنمّق بألفاظٍ فارغةٍ ويعلن ظاهرياً عن حقيقةٍ مقبولةٍ يتمسّكون به ويتشعّب البحث حتى لا تجد أحداً منهم ينتبه إلى أساس الفرض فيحتمل وجود الخطأ فيه أصلاً . وقد نجحنا في استغلال هذه الطبيعة عند بني الإنسان على كافّة المستويات .

المشرقي : معلومٌ أنهم يتّفقون على أن الله قادر على خلق كونٍ آخرٍ جديدٍ غير هذا ، فإذا افترضنا أنه خلق عالماً آخراً غير هذا فهو إذن يحمل زمانه معه إذ هو عين حركته وحركته هي عين وجوده . فإذا قال أهل العالم الجديد : لماذا خلق الله الوجود في هذا الوقت دون سواه ، فإن أرادوا به زمانهم فقد أخطأوا وإن أرادوا به نقطة زمان من وجودٍ سابقٍ فيصحّ السؤال ، ولكن جوابه سيكون من خارج وجودهم . من الوجود السابق . ولا يزال الأمر كذلك إلى أول وجود شاء الله أن يوجده ليس مسبوقاً إلاّ بوجوده هو ، فعندئذٍ ينقطع الزمان وتنقطع الحركة ويكون جوابه من وجود ذاته لا سواه ، ولمّا كانت ذاته لا توصف بالسكون ولا توصف بالحركة فهو جواب خارج الظرفين وتتعذّر صياغته بأيّة لغةٍ مفهومةٍ لأي موجود .

المغربي : إن أخي المشرقي يقول : إن ما هو خارج الظرفين يستحيل إدراكه من قبل ما هو داخل الظرفين وإن كان هو مدرَكاً ممن هو خارجهما .

الرئيس : ومن أين يأتي هذا التلازم ؟

المغرب : إنه يأتي من أي مثال . فأنت تتحرّك وتلتفت كلّ مرّة وإذا سألك المراقب كلّ مرّة عن سبب كلّ حركةٍ فلا يشكّ أحدٌ أنه يريد أن يعرفك كما تعرف نفسك أو أكثر . وقد أوجز المسيح ذلك حينما أعلن أن الله يعرف ما في نفسه _ أي المسيح _ ولكن المسيح لا يعرف ما في نفس الله(١).

الرئيس : سأقول ما ابطل به كلامك ، فإن الإنسان يعلم الوقائع السابقة في التاريخ مع انه خارج عن ظرفي المكان والزمان اللذين وقعت فيهما الحوادث .

المشرقي : تريد تغليطنا أيّها الرئيس ! إن الإنسان يعلم تلك الوقائع لسببٍ واحدٍ فقط هو امتداد الظرفين واكتنافهما للسابق واللاحق . فإن وجود الظرفين من حيث هما وجود مختلفٌ عن مقاطعهما .

المغربي : ومع ذلك فإن الأخبار تخفى إذا كانت خارج الظرفين وضمن مقاطعهما أيضاً ، فإنه يعلم تلك

الوقائع عن طريق الوسطاء الذين تواجدوا في هذين الظرفين . فإن كان الإنسان صادقاً فليخبرنا بما يكون مستقبلاً قبل مجيء المقطع اللاحق أو فليخبرنا عن ظرفين أحدهما مشترك ( زمان واحد ومكان مختلف ) أو بالعكس من غير وسيط ناقلٍ للخبر أو آلةٍ ناقلةٍ .

الرئيس : فليقل المشرقي عين هذا القول بصيغةٍ أخرى .

المشرقي : ذلك أن الموجود ما هو في الواقع إلاّ هذين الظرفين المتلازمين فلا مكان بغير زمان ولا زمان بغير مكان ، وهنا نعود للشيء فليس الشيء سوى ( الزمكان ) فلا يُدرِكُ الزمكان من ليس فيه .

المغربي : أليس غريباً إذن أن يسأل الناس لماذا خلق الله العالم في هذا الوقت دون سواه ، وليس بمقدوره ان يسألني عن كلّ حركةٍ أفعلها : لِمَ فعلتها في هذا الوقت دون سواه مع أن حريّتي مقيّدة بخلاف حريّة الله المطلقة ؟

الرئيس : إن الله مقيّدٌ بألوهيته ، إنه مقيّدٌ بكونه مطلقٌ ، فنحن نفعل كلّ تلك الحركات لأن لدينا أسباب ودواعي لها لأننا عرضةٌ لإكمال نقائصنا أما الله فلأنه كاملٌ ومطلقٌ فلا دواعي ولا أسباب ولذلك يصحّ السؤال .

المشرقي : وتلك هي المغالطة الكبرى . فإن السؤال ( لماذا )المنبثق عن إنكار الدواعي إنما هو سؤالٌ عن الدواعي ! فكأن الاعتراف ببراءة الله من كلّ نقص دفعهم للبحث عن النقص ! . إن إنكار الدواعي هو أوّل النقائص ! وإذا لم تكن الأفعال لله فهو اتهامٌ له بالعبث ! وإثبات الدواعي اتهامٌ بالنقص ! ومن الجهتين فالأمر يعود للنقص ! .

الرئيس : فما نقول ؟ .

المشرقي : أقول عن انعدام الدواعي هو افتراءٌ على الله ! فثمّة دواعي لكلّ فعلٍ من أفعاله بيد أنها دواعي مختلفة عن ما نفهم ، لأنها ليست متعلّقة بالنقص بل متعلّقة بالكمال نفسه . إذ حسبوا أن الكامل غير محتاج ولذلك تنتفي لديه الدواعي ! وهكذا استحال الكامل إلى حجرٍ لا يريد شيئاً ولا يرغب في شيء .

المغربي : إننا نلاحظ شيئاً من ذلك في المخلوق الذي يدعوه كماله النسبي إلى معونة الآخرين أو القيام بأفعالٍ لا يرجو منها فخراً ولا جزاءاً ولا شكورا . ومعلومٌ أن المقارنة هنا خاطئةٌ ، فكمال الله هو نوعٌ واحدٌ منفردٌ لا مثيلَ له تنتفي فيه المنافع انتفاءاً كاملاً وتتكثّر فيه الدواعي إلى ما لانهاية خلافاً لكلّ مخلوقٍ عداه ، وهذا هو مأزق الفلاسفة فقد حسبوا الدواعي نقائص .

المشرقي : نعم من هنا وقعوا . فقد زعموا أن وحدة الله تستلزم أن يكون شأنه واحداً لا يختلف من وقتٍ لآخر ، وهذا التصوّر هو سبب إشكالية زمان خلق العالم . بينما الحقيقة هو ما أخبرنا به عن نفسه وهو

أمرٌ مغايرٌ لما قالوا فهو الأكثر شؤوناً في المعروفات بحيث لا يمكن إحصاء شؤونه وإن كثرتها هي بنسبته هو إلى مخلوقاته وهي نسبةٌ معدومةُ القياس . إن المرء لا يمكنه أن يعلو بالفضائل أو يترفّع عن النقائص مع علو الموجودات والتكوينات إلى ما لا نهاية ويستمرّ بها متجاوزاً حدود الكون ليصل إلى وصف الله . لأن المفاهيم تنقلب إلى أضدادها على حدود الكون قبل الوصول إلى وصف الله . فإذا كنت تراقب كلّ صغيرة وكبيرة وتلاحظ كلّ شيء فإنه سيقال عنك بأنك عظيم القلق كثير الشكوك ، فهل يستلزم إذا أردت الترفّع عن هذه المنقصة أن تفقد تلك الصفة تماماً ؟ إذن يتحوّل المرء إلى حجر . وإذا كان ذلك لا يصحّ مع المخلوق فإنه لا يصحّ مع الخالق إلاّ باللامحدود ، حينما تنقلب المفاهيم إلى أضدادها ، فهو مصمِّمٌ على ملاحظة كلّ مثقال ذرةٍ في السموات والأرض . بيد أن هذه الصفة انقلب منشؤها إلى الضدّ من ذلك أيضاً . فقد انقلبت الدواعي على حدود الكون واصبح منشأ هذه الملاحظة ليس الشكّ والقلق بل العلم المطلق والسيطرة التامّة على الأشياء .

المغربي : ومن هنا سيدي الرئيس تشعّب البحث بشأن الدواعي إلى الترجيح والترجيح بلا مرجّح فكان يدور حول دواعي النقص لا دواعي الكمال . إن السؤال عن الزمان الذي خلق الله فيه العالم والمؤسس على التنزيه والكمال اقلب حينما أبوا قلب المفاهيم وانتج خلاف المأمول عند محاولة الإجابة عليه ، لأنك حينما تسأل عن سبب كلّ فعلٍ للخالق فقد خالفت الأمر الذي ابتدأت منه في التنزيه إذ أنك تسأل في الواقع عن دواعي النقص .

المشرقي : وإذن فالذي يتحدّثون عنه هو إلهٌ داخل حدود الكون ولا صلة له بالإله الذي يتحدّث عنه الرسل والأنبياء . إنه إله الفلاسفة والمتكلِّمين الذي صمّموه خصّيصاً ليلائم ذائقتهم ، إنه إلهٌ مختلفٌ عن إله الرسل . فالرسل لا يعبدون هذا الإله الفلسفي ولا الفلاسفة يعبدون إله الرسل ، إن لكلّ فريقٍ إلهه الذي يعبد .

المغربي : إن منطق الرسل هو : انتم تعبدون الإله الذي يمكنكم تصوّره ومعرفته ، ونحن نعبد الإله الذي لا يمكن أن يعرفه أحد . ماذا نجني من إلهٍ يعرفه المألوه ؟ إنه إلهٌ مزيّفٌ على كلّ حال لأنه موضوع دراسةٍ لمخلوقيه ...إنه إله باطلٌ ليس له نصيبٌ من الألوهية الحقّة . فالإله الحقّ هو المفترق عن جميع الموجودات بكونه لا يكون موضوعاً للمعرفة . إن المعرفة تتعلّق بالحركة فقط .

المشرقي : إذن فالحركة هي حركة الموجودات ، وما الزمان إلاّ مظهر لتلك الحركة . فالوجود في الواقع ما هو إلاّ تعاقب للسكون والحركة وهو الذي نعبّر عنه بالزمان ، لأن هذا التموضع المكاني والتغيّر هو الزمان . فالوجود تموضع في الزمان أو زمان للتموضع ، فهو ( زمكان ) . وكلّ جرم أو جسيم أو موجود ما هو إلاّ زمكان .

الرئيس : لقد نفى المتكلّمون في دفاعهم وجود الزمان قبل العالم . أو ليس هذا هو عين ما نقوله الآن ؟

المغربي : لقد نفى المتكلمون الزمان وحده وتركوا لأنفسهم وللآخرين تصور وجود سابقٍ بيد أنه عديم الزمان . فمن هنا أوقعهم الفلاسفة في حفيرتهم ، فهذا مختلفٌ عن ما نقوله الآن .

الرئيس : وما تلك الحفيرة المشتركة ؟

المشرقي : تلك هي التي أدركوا فيها التلازم بين الحركة والجسم والزمان ولم يدركوا التلاحم . لقد حسبوا أن التلازم بين الثلاثة يمكّنهم من إثبات أو نفي قدم الأشياء أو حدوثها من خلال قدم أو حدوث أحدها كالزمان أو الحركة مثلاً ، وما علموا أنهم يتكلّمون عن شيءٍ واحدٍ ثنائي التكوين بطبيعته ومحال ظهوره إلاّ بهذا الازدواج وله أسماء مختلفة ، فالحديث عن الزمان هو حديث عن الحركة وتموضعها الذي هو المكان ، والحديث عن أي واحدٍ من الظرفين هو حديثٌ عن الآخر ومجمعهما وهو الحركة . فالبراهين سارت كلّها بافتراض وجود أحد الظرفين دون الظرف الآخر أو المجموع دون أفراده .

الرئيس : لقد تخلّص الأشاعرة من المشكلة كلها بقولهم إن الوجود ينعدم بين لحظةٍ وأخرى .

المغربي : وما أدراك سيدي الرئيس أن هذا الفرض الذي أثار سخرية الفلاسفة هو المتعيّن وإن كان الذي ألجأهم إليه العجز ، فإن تذبذب جسيمات الذرة بين الوجود والعدم في آخر الأبحاث لينطوي على تأييد الأشاعرة مثلما يؤيّد تلك القصّة العجيبة التي ذكرها سيادتكم عن الوجود المتمسّك بفناءه .

الرئيس : آ ...نعم إنه يؤيّد براهما الحكيم حينما قال لظلّه قائلاً : ها أنت تكون مرّة وتفنى مرّة فأين المشكلة ؟ . ولطالما سمعتُ أخي ( كنكر ) يدعو قائلاً : إلهي عبدك الفاني بين يديك . لكن للشيخ الرئيس تخريجاً آخر مفاده أن واجب الوجود بذاته هو واجب الوجود من جميع جهاته وفي جميع أحواله ، فإذا تأخّر خلق العالم عنه أصبح ممكن الوجود في جهةٍ من جهاته فيفقد وجوبه ، وإذن فالعالم ممكن الوجود بالفرض فقط وألاّ فهو واجب الوجود بغيره فتثبت أزلية العالم وانعدام بدايةٍ له ، إلاّ أن الله متقدّمٌ عليه بالذات لا بالزمان . أو كما قال في موضعٍ آخرٍ : ( لا يتأخّر عن وجوده وجود منتظرٍ بل كل ما هو ممكن له فهو واجب له )(١).

المشرقي : إن كان ذلك للحفاظ على وحدة الذات فقد ابتدأ البرهان بتقسيمها حينما قال : جهاته وأحواله . ولكنهم قالوا وراء الفارابي ومن سبقه بمراتب الوجود فهل تلكم المراتب ظهرت في زمانٍ واحدٍ من ذلك الزمان المطلق أو زمان الوجود أم ظهرت تباعاً ؟ وهل الشيخ الرئيس نفسه غير منتظر وجوده قبل وجوده أم وجوده محتومٌ حتماً ومقضيٌ قضاءاً مبرماً وجوباً على الله ؟! وإن كان المقصود الكلّي الأوّل فمن ذا يبرهن أن هذا الوجود لا يُنتَظرُ منه إلاّ ما كان وما سيكون ؟ لقد ألغى اختيار الله بهذا الفرض فأصبح مجبوراً مقهوراً على خلق العالم بمقتضى وجوب ذاته ، وإنه لألهٌ عجيبٌ كثير الشبه بآلهة قريش ، فإن

وجوب كونها مادية هو وجوبٌ في كلّ الأحوال ، وهو قد أفقدها الاختيار . لقد أكّدت تسميتهم الإله بالعلّة الأولى هذا التلازم المفتعَل. فالعلّة اسم مقصودٌ فظهار التلازم مع المعلول فهو مقيَّدٌ بما خلق . لذا يمكننا القول أن فقدان الاختيار هو فقدانٌ لوجوب الوجود من حيث كان دفاعاً عنه .

المغربي : إن التقدّم بالذات دون الزمان هو لعبةٌ لفظيةٌ من لعبهم لا تعني شيئاً سوى الإقرار بإلهٍ واحدٍ بيد أنه في الواقع متعدّد . كلّ ما في الأمر أن التقدّم الذاتي يستلزم أن نحترم الله أكثر من مخلوقاته مثلما نفرّق بين أخوين توأمين أحدهما أكبر من الآخر عرفاً لأنه أكبر التوأمين ظهوراً . ومع ذلك فلا بدّ من سبقٍ زمانيٍّ لأحد التوأمين ، لكن الشيخ مصرٌّ على عدم وجود سبقٍ زمانيٍّ لله على العالم ! هبنا رضينا أن يكون الله والعالم توأمين فكيف نرضى بالأخرى ؟ . إن التقدّم بالذات سواء مع تصوّر زمانٍ مطلقٍ أو مع تصوّر العالم بغير زمان إنما ينطوي على تأليهٍ للعالم بجوار الله بألفاظٍ ملتويةٍ .

المشرقي : ومع ذلك فإن المشكلة المزعومة لم تُحل من قبل الفلاسفة ولا المتكلّمين ، ذلك أن ( الانعدام الذهني ) للعالم قبل وجوده هو انعدامٌ ذهني لا يرتبط بزمان فهو إذن انعدامٌ معناه وجودٌ دائمٌ فإن نهاية البحث تقرّر أن العالم موجودٌ منذ الأزل .

المغربي : قد نسأل هل البحث هو عن إلهٍ على مقاس العالم أو هو عن منشأ العالم بعد الإقرار بإلهٍ مطلقٍ ؟ ، فثمّة فرقٍ بين طريقتين : هل نغيّر تصوّرنا عن الإله ليلائم ما نريده للعالم أم نغيّر ما نعرفه عن العالم ليلائم تصوّرنا عن الإله ؟ . إن الذي حدث ويحدث للآن هو أنهم فعلوا الأولى عن طريق الثانية لكي لا يقال لهم : أنتم تغيّرون صفات واجب الوجود ليلائم ما تريدونه من تصوّرٍ للعالم . وذلك هو ما أوحينا لهم .

المشرقي : يتركّز الإيحاء على عدم التحرّش بصفات الله بل يجري تحويل غيره لحصول المطلوب من المشابهة _ إذن فليكن العالم أزليا شبيهاً بخالقه . إن طريقتنا الفذّة هذه قد نجحت نجاحاً عظيماً على كافة الأصعدة ، وهي نفس طريقتنا المستعملة في اللغة ، فقد أوحينا إليهم من قبل أن لا تقولوا أن كلامه يشبه كلام الخلق ، بل قولوا أن دلائل الإعجاز هي في كلامنا وكلامه ، وأن أسرار البلاغة هي في كلامنا وكلامه سواء بسواء ، ففي كلامه مجاز وفي كلامنا كذلك ، وفي كلامه تقديم وتأخير وتكرار وفي كلامنا كذلك ، وفي كلامه حذف وزيادات وفي كلامنا كذلك ، وبعد إن ترسّخت تلك القواعد فإنك تسمع من يقول – صراحةً –بشأن أيّة مشكلة في كلامه : ( إنما نزل بين أظهرنا وحاكى بأساليبه أساليبنا وجرت قواعده على قواعدنا ) ! .

الرئيس : فما الذي يقوله الشيخ بشأن انعدام الإرادة مع عالمٍ واجب الوجود بغيره ؟

المغربي : أجاب على ذلك بقوله : ( إنهم يرون أي المعترضون أن ما من شأنه أن يفعل فقط فلا قدرة له

، وهذا ليس بصادق ) ! .

الرئيس : لماذا ؟

المغربي : لأنه يزعم ( أنه إذا كان الشيء الذي يفعله فقط من غير أن يشأ ويريد فذلك ليس له قدرة ولا قوّة ، ولكن إذا كان يفعل باختيار إلاّ أنه دائم الإرادة ولا يتغيّر وإرادته وجوداً اتّفاقياً فإنه يفعل بقدرة ) .

الرئيس : فما معنى هذا ؟

المغربي : لا أدري معنى هذه الإلتواءات في كلامه ، إذ هو مثل القائل أن زيداً لا شأن له سوى أن يفعل ولا يجوز تصوّره وهو غير فاعل ، فإذا قيل له : فهو إذن مسلوب الإرادة فسيقول : كلا إنه يفعل ما يفعل باختياره بيد أنه يفعل دوماً ولا يمكن إلاّ يفعل وقتاً ما مطلقاً .

المشرقي : وهكذا أجاب الشيخ على الاعتراض قائلاً : ( ليس إذا صدق قولنا إذا لم يشأ لم يفعل يلزم أن يصدق : لكنه لم يشأ وقتاً ما ) !! فما الذي يلزم إذن ؟

المغربي : وما فائدة تلك المشيئة إذا كانت مستحيلة التحقّق في أيّ وقتٍ ، فإن ذلك هو كقول القائل: زيدٌ إذا شاء كتب وإذا لم يشأ لم يكتب . فيقول الشيخ الرئيس له : صدقت ولكن إيّاك أن تتصوّر أنه لم يكتب وقتاً ما !!! . الناتج الوحيد هو أنه ( مقهورٌ ) على الكتابة دوماً فهي مشيئةٌ مزيّفة .

الرئيس : قد فهمتُ أنكم تفهمون تشعّبات هذا الإشكال المتعلّق بالزمان ، فاخبروني الآن أين مكمن المغالطة في المبحث بأكمله ؟

المشرقي : إنها تكمن في أن التفريق بين مشيئة الفعل ومشيئة عدم الفعل هو تفريقٌ سوفسطائي ، فإن إرادة الفعل إرادة ، وإرادة عدم الفعل هي عين تلك الإرادة . إذ لا معنى للإرادة سوى اختيار أحد الأفعال وعدم اختيار الأخرى والتي هي عدمها في وقتٍ واحدٍ .

المغربي : إن أخي المشرقي يقول إن عدم الخلق هو فعلٌ كفعل الخلق وهذا هو الحلّ . فأنك لو قلت لي : تعال نسافر واخترتُ عدم السفر فإنه فعلٌ اخترتُهُ مثلما لو اخترُ فعل السفر ، فهو كذلك في كل فعلٍ أو عدمه .

الرئيس : إذن فبإمكان المرءِ أن يؤمن بأن الله لم يزل فاعلاً وما كان عديم الإرادة وقتاً ما ولو مع انعدام العالم فيسقط المبحث بأكمله ، يا لك من مارد ! .

المغربي : وذلك هو الحلّ سيادة الرئيس . فيسقط كلّ البحث وجميع ما تفرّع منه . ألا تراهم سمّوا الله بالفاعل المطبوع ؟ فمن الواضح أنه ليس ثمّة فاعلٍ مطبوعٍ إلاّ وهو مقهورٌ على الفعل ! وحينما لم يشأ خلق العالم كان فاعلاً لعدم الخلق . أما أخي المشرقي فإنه يدّعي أن الفاعل المطبوع ساقطٌ عن الاعتبار في البناء اللغوي لأن كل اسم مفعول متعلّق بالفعل لا يمكن أن يوصف به الإله . فالفاعل المطبوع لا

يصلح أن يكون إلهاً ولو كان مطبوعاً بذاته . إنما تصلح أسماء المفعول التي لا تتعلّق بفعله هو وإنما تتوقّف عند فاعلها مثل محمود ومشكور ومعبود فهي أفعال الحامدين والشاكرين والعابدين .

المشرقي : وإذن فأصل المشكلة في هذا المبحث هو الخلط بين إرادة الفعل وعدم الفعل والزعم أن الأولى فعلٌ والأخرى ليست فعلاً مع إن كل فعلٍ يستلزم الفعل وعدم فعل عدمه . والأخرى هي زعمهم بالاتفاق على أن فعل الإله إن كان تابعاً لغرضٍ فهو محال لأنه يلزم منه استكماله بالغير وهو زعم سوفسطائي ، لأن الإله أخبر عن طريق رسله -وهم مقرّون على زعمهم بكلامه وكلام رسله - ، أخبر أن الزاعم أنه يفعل من غير غرضٍ فإنما هو كافرٌ بألوهيته . فلمّا أسقطنا هذين الإشكالين المزعومين فقد أسقطنا المبحث بأكمله . أما المحال الثاني المزعوم فهو معكوسٌ ، إذ أن الإله يفعل دوماً لغرضٍ ما ، بيد أن الأمر ينقلب خارج حدود الكون وخارج المخلوق ، فإن الغرض لا ينتج منه استكماله بالغير وإنما يلزم منه استكمال الغير به .

الرئيس : نعم ...إن جملةً واحدةً قد تكفي لحلّ عددٍ كبيرٍ من الإشكالات ، فكم صرفوا من الوقت والكلام ؟ وكم هو عدد الذين شاركوا في حلّ ذلك الإشكال المزعوم ؟ وكم هو عدد الدارسين لهم ؟

مارد الإحصاء : لقد كتب فيها الشهرستاني في ( نهاية الإقدام ) وابن سينا في ( العرشيّة ) و ( الشفاء ) و ( النجاة ) والفارابي في ( الدعاوي ) و ( الفصوص ) و ( السياسات المدنية ) و ( الجمع بين آراء الحكيمين ) وعشرات الرسائل الأخرى والطوسي في ( المطارحات ) و ( شرح التجريد ) ، وأبو البركات في ( المعتبر ) والغزالي في ( التهافت ) وابن رشد في ( تهافت التهافت ) ، والرازي في ( الأربعين ) والكاتبي في ( المطارحات ) وأبو سعديا في ( الأمانات ) ، والماتريدي في ( التوحيد ) ، والأشعرية في كتبهم ، والمعتزلة في كتبهم ، وكانت في ( نقد العقول ) ، وهيجل في ( الجدل ) ، وشوبنهور في ( الطبيعة ) ، وعشرات آخرين من المتصوّفة والعرفانيين والعلماء والمفسّرين عدا عن مئات الدراسات وألوف الدارسين .

الرئيس : فهؤلاء الدارسون الجدد يقولون : أن بمقدورنا أن نجمع بين الطريقين ( أزلية العالم ووجود إلهٍ )كما فعل الفلاسفة من قبل ، لا كما يقول الماديون ( أزلية المادة من غير إله )وإن العلم يساندنا في ذلك(١).

المغربي : لقد كان ذلك من إيحائنا لهم سيدي الرئيس . فلقد قاسوا ذلك على الأجرام السماوية لأن ارسطو إدّعى أن الأجرام لا يطرأ عليها الفساد ، والكون وهي جواهر زكية وعاقلة ولها نفوس . وكانوا قد حدّدوا عددها بعشرةٍ تنتهي بالحادي عشر وهو فلك القمر . يقول الفارابي : ( يفيض من الأول أي الله وجود الثاني وهو جوهرٌ غير متجسّم أصلاً ولا في مادة . فهو يعقل الأول ويعقل ذاته . ويلزم عنه وجود ثالث

وبما هو متجوهر بذاته يلزم عنه وجود السماء الأول . والثالث أيضاً عقلٌ بجوهره وفيما يتجوهر من ذاته يلزم عنه وجود كرة الكواكب الثابتة! وبما يعقله من الأول يلزم عنه وجود رابعٍ . وهذا أيضاً لا في مادة فهو يعقل ذاته ويعقل الأول وفيما يتجوهر من ذاته يلزم عنه وجود كوكب زحل وبما يعقله من الأول يلزم وجود خامس . ( ...وهكذا يستمرّ الفارابي في معادلة التعقّل والتجوهر لإنتاج المشتري ثم المريخ ثم الشمس ثم الزهرة ثم عطارد وأخيراً القمر الذي ينتج الحادي عشر : ( وهذا الحادي عشر هو أيضا وجوده لا في مادة ويعقل ذاته ويعقل الأول وعنده ينتهي الوجود وعند كرة القمر ينتهي وجود الأجرام السماوية )(٢) !! . وقد تلاحظ أيّها الرئيس هنا عدّة ملاحظات :

الأولى : إنه مثل من سبقه ومن تلاه لا يقول : أظنُّ ، وأحتمِلُ ، وأتوقّعُ ، وأحسبُ وما شابهها من الألفاظ ، بل يتحدّث كما لو كان قد شهد خلق السماوات والأرض معرِضاً عن النص المنزّل الذي أكّد على عدم وجود من شهد تلك التكوينات ، بل لم يشهدوا خلق آخرها وهو أنفسهم(٣) .

الثانية : إنه جعل الله محدودا إذ هو بهذا المنظار العلمي أكبر قليلاً من نصف مجموعتنا الشمسية .

الثالثة : إن ما ذكره من التكوينات هو هباءة أو ذرّة في مجرّة درب التبّانة التي تحتوي على خمسمائة بليون نجم بعضها أكبر من الشمس بعدّة ملايين واشدّ إضاءةٍ بمليون مرّة . وما درب التبّانة هذه إلاّ واحدة من مائة وخمسين ألف مجرّةٍ في العنقود المجري الذي تنتمي إليه . وأن المكتَشف من العناقيد هو مئات الآلاف بحيث أن مراكز البحث الفلكي أعرضت عن رسم خرائط لها وترقيمها لكثرتها ولعدم وجود معطياتٍ علميةٍ مؤكّدةٍ عنها . وإن كلّ هذا المجموع لا يشكّل إلاّ مثل نقطةٍ في صفحة الورقة التي بين يديك من الكون الممكن رصده . وإن بعد هذا الكون كونٌ مجاورٌ لصيقٌ به له نظامٌ مختلفٌ ، وهكذا تتلاصق الوجودات والأكوان المحتملة . وإن سرعة الضوء الفائقة هي سرعةٌ بطيئةٌ جدّاً لحدٍ مقرفٍ إذا قيست بأبعاد المجرات لأن الضوء يحتاج إلى مائة وخمسين مليون سنة ليصل بين مجرتين في العنقود المجري .

الرابعة : إن لهذه المجرّات أنظمة شمسية مختلفة وكواكب تدور حولها ، ولها أعمارٌ مختلفةٌ وإنها تنتهي وتموت وتنكبس مادتها ثم تخرج من القمع مجرّات كاملة من الطرف الآخر . وإذن فالعلم الحديث يخالف نظرية أبديّة الحركة في الأفلاك أو سرمديّة الأجرام .

الخامسة : إن هؤلاء قاسوا الأشياء على الرؤية البصريّة -الحجم والإضاءة -فلذلك قدّم الفارابي زحل والمشتري والمريخ على الشمس لأنه ظنّ أنها أقرب منهم بينما هي مركز حركة المجموعة كلها وهي أبعدها عن الأرض . في حين أخّر القمر لكبر حجمه وقلّة إضاءته فجاء موافقاً للأبعاد بمحض الصدفة .

السادسة : إنهم تحيّروا في الحركة المعاكسة التي تظهر للسيّارات فحاولوا تفسيرها فلسفياً بينما هي ظاهرة طبيعية سببها الحركة الدورانية للأرض معهم حول الشمس ، فهي تتخطّى نقطةً معيّنةً في مدارها فيظهر أن المشتري مثلاً يتراجع عن سيره ويتحرّك من الغرب إلى الشرق .

السابعة : إنهم ومع جهلهم بهذا العالم استكبروا على ما جاء به الرسل من معلومات عن الكون . فقد ذكر الرسل تعدّد العوالم وأنها بالألوف ، وأن تلك الكواكب المرئية في السماء ما هي إلاّ عوالم كهذا العالم وقد ذكروا أرقاما كبيرةً جداً إلى درجةِ التناقض مع نظرية بطليموس ، ومع ذلك فقد تمسّك ابن رشد والفارابي وابن سينا والكندي والغزالي بهذه النظرية ، وانعكست مبرّرات ملائمة أفكار بطليموس مع الكتاب والسنّة على الفقهاء والفلاسفة والمتكلّمين وأهل الفلك كالطوسي وغيره .

الثامنة : إن الجدد من الدارسين وهم الموضوع الذي ذكره سيادتكم لم يخرجوا من دائرة بطليموس ولو فتحتَ لهم مكاتب في وكالة ناسا للفضاء ! فلتكن مطمئنّاً سيدي الرئيس .

الرئيس : ومن أين علمت أنهم لن يخرجوا عن تلك الدائرة ؟

المغربي : لأنهم داخل قبّة بطليموس الفلكية فإذا ذهبت بهم إلى عواصم الفضاء فلن تذهب بهم إلاّ وهم داخل القبّة ! . إن الدارسين للفلسفة سيدي الرئيس هم في قسم الآداب أو الحوزات الدينية ، وقد ذهب الزمان الذي كان العلماء فيه يجمعون كلّ علوم عصرهم . ففي هذا الزمان كلّ امرئ مشغولٌ بعلمه ، ولمّا كانت الفلسفة قد توقّفت عند أولئك الرجال ، فالفلك الذي يسير مع الفلسفة هو فلك ذلك الزمان لا فلك وكالة ناسا للفضاء ! . لذا فلا تعجب إذا ما ظهر دارسٌ كبيرٌ في بغداد أو القاهرة يفخر بأن ابن رشد جاء بما جاء به بطليموس ! ولو كان ابن رشد مهملاً جدّاً في دراسة النصوص الفلكية لآخر الرسل والتي تؤكّد على تعدّد العوالم وتُناقض بطليموس . ذلك لأن هذا الدارس له بدن القرن العشرين وعقل القرون الماضية .

الرئيس : بشرت بكل شر ووفقت لكلّ كرب وبلاء ، فاضرب لي مثلاً للصراع بين المتكلّمين والفلاسفة يكون خاتمةً لهذا الإشكال حتى ندخل في إشكال آخر من إشكالات خلق العالم .

المغربي : إن مثلهم مثل رجلين اتفق إن تواجدا في ظلام حالك . أرادا إيقاد حطب من هشيمٍ زجلٍ فجاءهما ثالث ومن طبعه أن يرى في الظلام فقال : لا يتّقد الحطب حتى يُصبُّ عليه الزيت ، فهاتان قارورتان في إحداهما زيت وف الأخرى ماء لتشربوا منه ثم اختفى ، فأمضيا الليل كلّه يتجادلان في القارورتين ايّتهما الزيت وأيّتهما الماء ، فلم يوقدا ولم يشربا ولم يتحرّكا عم موضعهما قيد أنملةٍ ولم يناما الليل كله .

الرئيس : فما كان من أمرهما بعدُ ؟

المغربي : لو قد انبلج الصبح لوجدا القارورتين خاليتين ، وكان الهشيم الجزل سيتّقد من غير الزيت ولو

بشيءٍ من شعاع الشمس .
الرئيس : فليغيّر المشرقي شيئاً في هذا المثل حتى يكون فيه للرسل موضع .
المشرقي : السمع والطاعة سيدي : وكان قد جاءهما في عين الوقت الذي جاء فيه الثالث رجل رابعٌ وكان من طبعه أن يرى في الظلام أيضاً فقال لهما : اتبعوني فإني أرى في الظلام ، ولستم في حاجةٍ إلى الحطب والنار ولا إلى الماء ، فالنهر على بعد خطوات وصاحبكم مخادعٌ . فقالا : عجباً وكيف ترى في الظلام ؟ إنما أنت المخادع . فقال : أفرأيتم صاحبكم وقد مرّ ولم يوقِد ناراً ؟ فقالا : وإنه لناصحٌ لنا فقد قال ما عليه وتركنا ومضى . فلما رآهم غيّروا طرفاً من الاحتجاج قال : والذي يمضي لا يلزمه شيء والمتبوع يلزمه أن يريكم الطريق خطوة من بعد خطوة ، فالذي يمضي أحقّ بأن يكون مخادعاً والذي ألزم نفسه أحقّ بأن يكون صادقاً . قالا : فإنّا لا نأمنك على أنفسنا لأنك ترى في الظلام ولا نرى ، فلعلّك تقول سيروا خلفي فتعبرَ ونقعُ في جبٍّ أو حفيرةٍ !! . قال : فلذلك لا أقول لكما تقدّما أمامي لأنكم لا ترون شيئاً كما أرى ، فإذا رأيتم ما يريبكما توقّفا فغن ما ورائي يكون منيراً إلاّ أن تتخلّفوا كثيراً عامدين أو تنكصوا على أعقابكم . فقالا : وأنت تشترطُ كيف نسير خلفك ؟ لا والله إن صاحبنا الذي مضى أحقّ بالإتباع لأنه لم يمل علينا شرطاً . قال : أو يثقل عليكم هذا الشرط ، إنه شرط المسير والرؤية لا شرطي . قالا : يثقل علينا المسير والرؤية بشرطهما هذا ! . قال : إذن يثقل عليكم المسير والرؤية لا الشرط ، لأنه لا رؤية من غير شرط . قالا : صاحبنا وعدنا الرؤية من غير شرط . قال : صاحبكم وضع بينكم الشرط من غير رؤية . قالا : لا نفقه كثيراً مما تقوله الآن ! وما أكثر ما تجادل .قال : ولا حاجة للفقه ، فأنتم تريدون السير في الظلمة والرؤية فاتبعوني فغني سائرٌ أمامكما ...فانتظروه حتى يذهب ، فلما رأوه لا يبارح مكانه ويدعوهم قالا : بل نتشاور ، فقال الأول : ما خلاصنا يا أخي من هذا الرجل سينقضي الليل وهو يجادلنا !! فقال الثاني : أرأيت حينما قلنا لا نفقه ما تقول صدَّقَنا فالخلاص في هذا الأمر _ وإني مثلك لآسف على ما مضى من الليل !! فقال الأول : وكيف ذلك ؟ فقال الثاني : نسخر منه فإن ذلك أمتع وآنس لنا من جلوسنا ، نسير خلفه ونتوه عنه فنرجع إلى موضعنا الأول ونقول والله ما رأينا الطريق .. والله تهنا عنك .. فإن كان لا يعلم ما في قلوبنا سخرنا منه وإن كان يعلم عذبناه فإنه لا يقدر على تكذيبنا ، ثم نسير قليلاً ونرجع كلّ مرّةٍ ، وخلال سيرنا نرى ما نريد ان نراه من أمر القارورتين والحطب ، وخلال رجوعنا نتحدّث عنه ونكون بذلك قد جمعنا المطالب كلّها . فأخذا في ذلك شطراً من الليل حتى إذا مضى الرجل عادا يتسامران وافتعلا جدالاً عن القارورتين بما يوحي للنظر أنهما يريدان الرؤية بحقٍّ . وكان الرجل قبل أن يمضي قد قال : حقيقٌ عليّ أن أوصيكما وأحذركما . قالا : أيّ وصيّةٍ وأيّ تحذيرٍ ؟ قال : إني تاركٌ لكما سراجين يتّقدان من غير نار إن شئتم أن تخرجا من هذه الظلمة وإذا أوقدتما أياً منهما إتّقد

الآخر فأنارا ما بين أيديكما وما خلفكما . فلما رأيا أنه يريد أن يودّعهما تجرئا بالقول : وإن لم نفعل ؟ قال : إذن يستعرّ الحطب الجزل على حين غفلةً منكما فيحرقكما قريباً من الفجر . فلما مضى كان جدالهما عن أي السراجين يوقد أولاً قد اختلط بجدالهما عن القارورتين فأمضيا الليل كلّه على ذلك الحال .

الرئيس : فما عملك الآن مع هذين الرجلين ؟

المشرقي : عملي أن أمدّ بطول الليل ما استطعت ، فإنه يمتدّ مع امتداد جدالهما حتى لا يقترب الفجر .

الرئيس : وثّقت لكلّ شرٍّ مستقر ونحسٍ مستمر . فاخبرني عن علّة الخلق بين الحدوث على قول بعضهم والإمكان على قول البعض الآخر .

المشرقي : كان بعضهم يقول أن حاجة المحدثات إلى المُحدِث هي الحدوث . إذ لما كان لكلّ حادث محدِث فإن حاجة هذا العالم المحدَث إلى من يُحدثه هي حاجة حدوث . فقال لهم البعض الآخر : إذن تنتفي حاجة العالم إلى الله بعد إن أحدثه ، إذ يبقى المحدَث بعد محدِثه مثلما يبقى البناء بعد الذي بناه ، وتنتفي حاجة العالم إلى الله بعد إن أوجده مثلما تنتفي حاجة البناء إلى الباني . ويظهر أنهم أذعنوا إلى هذا الاعتراض بعد أخذٍ وردٍ ، فعدلوا عنه إلى القول بأن الحاجة هي حاجة إمكان !

الرئيس : وأراك تتعجّب من فعلهم ؟

المشرقي : وكيف لا أتعجّب من فعلهم وقد ابتدءوا بما هو قريبٌ من الحقّ وانتهوا إلى الباطل ؟ . ذلك لأن الاعتراض المذكور هو اعتراضٌ مضحكٌ وإن ذكره أعاظم الفلاسفة وكرّروا فيه مثال البناء والباني في كتبهم . فالبناء والباني هما في شركةٍ مع ما كان حادثاً من قبل وهو موضوع البحث فلا يَصلُح مثالاً بأيّة حال .

الرئيس : وكيف ذلك ؟

المشرقي : ذلك أن الباني إذا بنى فإنما يبني وفق سنن وقوانين عاملةٍ في الطبيعة فهو يستخدم علّة ماسكة للبناء قائمة وموجودة ، فإذا هلك الباني بقي البناء ممسوكاً بهذه القوى وعلّة إحداثه بهذا الهيكل هي غير علّة بقاءه ممسوكاً فترة أطول وهي غير علّة وجود مواد البناء من جصٍّ وطابوق ...إذ صنعها بهذه الصورة قومٌ آخرون ، واستعملوا لها عللاً أخرى وقوانين ماسكةً . وكلّ ذلك مختلفٌ عن علّة وجود الرمل والتراب والنار والماء ، وهي المواد التي صنع منها الصُنّاع تلك المواد ...فإن وجودها بهذه الصور المختلفة له عللٌ قديمةٌ في الطبيعة وفق سنن وقوانين أخرى وهكذا ...بينما البحث هو عن علّة وجود العالم بعد إن لم يكن موجوداً أي علّة الوجود من عدم !! وهو ينطوي على أمرين : الإيجاد بعد العدم واستمرار الوجود . فقول الأوائل أن العلّة هي الحدوث إنما معناه الحدوث نفسه ولفظ الحدوث ينطوي على الحوادث المتصلة وغير المنقطعة فهو ينطوي على الحركة إذ لو توقّفت الحركة انعدم الشيء لأن كلّ

موجود دائم الحركة ، فلا بدّ من محدِث دائم . فانظر إلى تفاهة الاعتراض إذن حينما يقال إذا حدث الحادث لم يبق مبررٌ لوجود المحدِث ، بينما الحدوث هو تعلّقٌ دائمٌ بالمحدِث حينما يكون الكلام عن الوجود بأسره .

الرئيس : فما الذي جعلهم يذعنون للاعتراض ؟ أهو سوء فهمهم الأوائل أو سوء استعمال الأوائل للحدوث .

المشرقي : إنما هو سوء استعمال الأوائل للحدوث ! لأنهم أرادوا به حصول الشيء بعد إن لم يكن حاصلاً وكان تصوّرهم للأمر هو كما يحصل البناء من الباني منذ البداية وقبل أن يأتي المتأخرون .

الرئيس : إذن فأنت تجعلهم يصيبوا التسمية دون المفهوم وبمحض الصدفة السعيدة !

المشرقي : تماماً ولذلك أذعن المتكلّمون للفلاسفة لأنهم اشتركوا في هذا الفهم .

الرئيس : فما هو الحل الذي وضعه الفلاسفة بديلاً للحدوث ؟

المشرقي : وضعوا لهم الحل القائم على ( الإمكان ) بدلاً من الحدوث فأوقعوهم في مأزقٍ جديدٍ . فقد قالوا : إن ارتباط العالم بالخالق هو ارتباط إمكان لأن العالم ممكن أن يود وممكن أن لا يوجد بصورةٍ دائمةٍ . فلكي يبقى موجوداً فلا بدّ له من موجدٍ دائمٍ . وإذن فارتباط العالم بالذي أوجده من اللاإمكان إلى الإمكان هو ارتباط إمكان . ومن هنا أوقعوهم في مأزقين اكتشفوا أحدهما وخفي عليهم الآخر . أما الأول فهو قولهم بإمكان العالم ، فإن إخراجه إلى الإمكان من ضدّه يستلزم انتفاء ضدّه . فأصبح العالم وسائر الموجودات معدومة الأضداد ومتصفة بنفس صفات الله . وذلك هو قول ابن سينا والفارابي والكندي الذي ذكرته لسيادتكم في المجلس السابق وهو ما خفي عليهم أو تغافلوا عنه . وأما الثاني فهو قولهم أن العالم مستديم في الزمان ، وهو زمان مطلق قبل إيجاد العالم وإذن فالعالم موجود منذ الأزل . ولكي لا يكون العالم نفسه إلهاً آخر ابتدع الفلاسفة فكرة تقدّم الله بالذات دون الزمان ، وهو الأمر الذي اكتشفه المتكلمون وحاولوا جاهدين التخلّص منه من غير جدوى . وقد أسس الفلاسفة لأزلية العالم تأسيسات مرتبطة بالفكرة من أوّلها اتّفق عليها المتكلمون معهم فلم يقدروا بعد ذلك على الفكاك من أسرهم .

اضرب لي مثلاً لهذا الأسر الذي يضع المرء فيه نفسه بأيدي الخصم .

المشرقي : نعم سأضرب لك مثلاً من الفكر نفسه المرتبط بالدين . فقد قال خصوم الدين لأهله : بأيّ شيء يختلف هذا الكتاب المنزل باعتباره آخر الكتب السماوية عن لغة العرب ، فأنّا نراه مخالفاً لقواعدهم وأساليبهم فما هو بشعرٍ ولا نثرٍ ولا سجعٍ ولا خطابةٍ ولا إنشاءٍ . وبدلاً من أن يقولوا نعم إنه كتاب الإله المختلف في كلّ شيء عن كلام المألوه وأنه لا يشبهه في شيء إلاّ في كونه من نفس الحروف ، قالوا : كذبتم وأجرمتم ! إنما جاء بأساليب العرب وعلى مقتضى قواعدهم . فقال الخصوم : صدقتم وهل نريد غير

ذلك ! إذن فنحن نقدّم ونؤخر في كلامنا فسوف نقدّر تقديماً وتأخيراً في كلامه ونحن نحذف ونختصر وسوف نحذف ونختصر ونقدّر المحذوفات في كلامه ، ونحن نحشو الجملة بألفاظٍ زائدةٍ وسوف نقدّر ألفاظاً مزيدةً في كلامه ، ونحن نكرّر من غيرما سببٍ وجيهٍ وسوف نحمل أكثر العبارات على التكرار . وما زالوا يضعون فيه ما جرت عليه الألسن حتى أخرجوه من حدِّ كلام الخالق إلى حدّ كلام المخلوق وحملوهم على أن يبدءوا هم بذلك ، فعمل العلماء بنصائح الذين أوحينا لهم كلّ ذلك حتى أسّسوا له قواعد وأحكام ، وجمعوا كلامهم وكلامه في حكمٍ واحدٍ . حتى إذا تمكّنوا منهم قال الخصوم : فأين الإعجاز فيه ؟ فأبلسوا فهم لا ينطقون . ثم سألت العامّةُ : فكيف نعلم أنه كتاب الله ؟ وما الفرق بينه وبين غيره من الكلام ؟ فضحك العلماء على العامّة بعدما ضحكوا على أنفسهم وقالوا : تعلمون ذلك من تواتره عن صاحب الرسالة ! أوَلا تؤمنون بصاحب الرسالة ؟ . وتناسوا أن صاحب الرسالة إنما كان برهانه على صدقه هو كلام الله وليس هو البرهان على صحّة كلام الله ، فارتدّ الناس سرّاً وآمنوا جهراً .

الرئيس : وفقتم لجميع الشرور فما كان من أمر الفلاسفة والمتكلمين بعد ذلك ؟

المشرقي : لمّا كان المتكلمون قد أذعنوا للفلاسفة بان علّة الحدوث لا تستلزم دوام الحاجة إلى المُحدِث ( بالكسر ) ، واتّفقوا معهم على أن الأشياء المحدَثة ممكنة الوجود وأن ظهورها هو لإنتفاء أضدادها ، فقد غيّروا طريقتهم فيما بعد من تقسيم الأشياء إلى قديمٍ وحادثٍ إلى تقسيمٍ جديدٍ هو ممكن وواجب ، واعترفوا أن علّة الوجود هي الإمكان غير مبالين بمسالة الأضداد إلى هذا اليوم إذ لم ينتبه لها أحد إلى هذه الساعة . ولكنهم بعد جدلٍ طويلٍ وعقيمٍ أقرّوا بذلك كارهين غير راضين عن أزلية الموجودات والتي هي تحصيل حاصل للقول بالإمكان بهذا المعنى المحدّد للإمكان . لكن ( صدر الدين الشيرازي ) جمع بين الإثنين بحيث تخفى أزلية العالم ، وذلك من خلال تحويل علّة الوجود إلى الحركة أي إلى إمكان الوجود لا الإمكان عموماً .

الرئيس : فما الفرق بينهما ؟

المشرقي : الفرق أنه رسّخ ارتباط العالم بخالقه بحيث لا ينفكّ عنه أبداً لا بالزمان وحده بل وبالظهور أيضاً . ولذلك اخذ الشيرازي بنظرية الفيض للفارابي وابن سينا وبالعقل الفعّال لهما وأخذ بالماهية والهيولى وأخذ بما نسب إلى أفلاطون وأرسطو وأخذ بما نُسِب إلى أرسطو وإن كان باطلاً مثل كتاب ( أتولوجيا ) ، وأخذ بكلّ ما جاء به ابن عربي مؤسّس الوثنية الدينية ، وأخذ بمقولات المتصوّفة ، وأخذ بالنصوص المنزّلة ونصوص الأولياء ، فكان يحمل أسفاراً مثقلةً بالأفكار في كتابه ( الأسفار ) . ومن هنا تجاوز مرحلة الاعتذار التي دأب عليها الشيخ ابن سينا في ( الشفاء )(١). فلديه لكلّ معضلةٍ حلٌّ ما دام يقضم حيثما حلّ. ولكي لا تنكشف أسرار هذا التخليط فعل كما فعل الغزالي وابن عربي من قبل حينما يقوم

باستلاب نفس المتلقي وروحه بالإيحاء إليه بزخارف القول من أن ما سوف يذكره هو ( نفحةٌ إلهيةٌ ) أو ( حكمةٌ ربوبيةٌ ) أو ( سرٌ عرشيٌّ ) أو ( فصٌّ من الكرسي ) من أعرض عنه كفر وذاق وبال أمره . وتسير هذه الإيحاءات جنباً إلى جنبٍ مع التحذير والتهديد والوعد والوعيد من الارتكاس بالجهالات أو البقاء في الظلمات وذلك هو عين الطريق الذي أوحينا به إلى علماء اللغة فأخذ به الفارابي ومن بعده الزملكاني ، وكان النجاح حليفهما .

الرئيس : فأين يكمن الخطأ في هذا المبحث ؟

المشرقي : إنه يكمن في كلّ لفظٍ له علاقة بهذا المبحث مثل الوجود ، العدم ، إرادة الله ، مشيئته ، الزمان ، المكان ، العلّة ، المعلول ...إلى آخرها . فإن لكلّ لفظٍ منها دلالة يخرجون عنها خلال البحث كما هو ديدنهم في التفسير والنقد والفلسفة سواء بسواء . إنهم يبحثون عن ارتباط العالم بخالقه وبالطبع يستحيل استخراج علاقة غير علّية بين شيئين وفق قوانين الوجود الذي ترتبط فبه الأشياء كعلّة ومعلول ، ثم تنطبق هذه العلاقة على الوجود من خارجه قبل إيجاده . فالعلاقة بين الله والعالم مختلفة حتماً عن العلاقة بين الأشياء بعضها ببعض ، ولو صحّت علاقة من هذا النوع لكان الإله والمألوه سواءً ، ولكان سيضيع الفرق بين الله والعالم . ألا ترى أن الجميع اضطرّوا في النهاية إلى توليد العالم من الله وسمّوه صدوراً عنه أو فيضاً ؟ أو سموه بالعقل الفعّال الوسيط بين الله والعالم والذي يعمل عندهم بمثابةِ أزليٍّ صدر عنه وجود العالم ؟ وذلك حتى يتمّ التشابه بينهما . ألا تراهم يتحدّثون عن الوجود ويريدون به وجود الله ووجود العالم ؟ ألا تراهم يثبتون وجود الله عن طريق مبدأ العلّية والتسلسل ؟ . . يقولون : لكلّ معلولٍ علّة فإذا كانت العلّة معلولة بذاتها فهو المطلوب وألاّ تسلسل الأمر فلا نجد علّة غير معلولة وهذا باطلٌ . وإذن فلا بدّ من علّةٍ غير معلولةٍ هي الله . ففي هذا البرهان جعلوا الله شيئاً من الأشياء وعلّةً في آخر العلل لا يختلف عنها إلاّ بكونه غير معلولٍ لغيره . ومن هنا حصل له التشبيه والمثل . وقد اعترض عليهم ( الماديون ) إذ قالوا : إن السؤال عن العلّة الأولى لا معنى له لأن التفسير العلّي أو السببي يستلزم حدّين ارتبطا ببعضهما هما العلّة والمعلول ، فعبارة ( العلّة الأولى ) فيها تناقض في الحدود ، إذ أن مفردة ( علّة ) وحدها تستلزم حدّين ومفردة ( أولى ) تستلزم حدّاً واحداً فلا يمكن أن تكون أولى وتكون علّة في عين الوقت .

الرئيس : فاشرح العبارة الأخيرة للاعتراض المادي وفقت لكلّ شر .

المشرقي : المقصود أن الأول ( الله ) يجب أن يكون غنياً بنفسه عن كلّ شيء ، فإذا قلتَ ( علّة ) استلزم وجود طرفٍ آخر هو ( المعلول ) وإذا قلتَ ( أولى ) وعنيتَ به التفرّد تناقض لفظ ( أولى ) مع لفظ ( علّة ) . وهو كما ترى ليس اعتراضاً على دليل العلّة والتسلسل وحده ، اعتراضٌ ينسف الصدور والفيض

والهيولى والعقل الفعّال وأزليّة العالم مع تقدم الله بالذات أو قدم بعض صفاته دون بعض ، وينسف كذلك مباحثهم عن الأين والزمان والكيف دفعةً واحدةً .

الرئيس : فكيف أجابوا على هذا الاعتراض ؟

المشرقي : كان بإمكانهم استغلال هذا التنبيه والتّخلّي عن الاستمرار في مبدأ العلّية والحكم به على العلاقة بين الله والعالم ولكنهم لم يفعلوا . فمثل هذه الإشارة تقرّر أن المعترض يتوجّب عليه الإيمان بالله بصورةٍ أفضل أوضح من إيمان أولئك الذين آمنوا به عن طريق مبدأ العلّية . إذ لمّا كان كلّ شيء في الوجود مرتبط بآخر ولا يمكن تصوّر جزء منه مستقلاً بذاته غير مؤثّر ولا متأثر ، فهو إذن وجودٍ مقهورٍ والذي يظهر فيه من الله هو القهّارية لا غير . إي أن العلّية تثبت كونه منفعلاً كلّه جملةً واحدةً وله فاعلٌ . فالعلّية تثبت انفعاله لفاعل ولكنها لا تظهر اسلوب الفعل ، فهذا خارج عن قانونها –لأن الحديث عن كيفية انفعاله هو حديث من خارج الوجود لا من داخله . وهذا هو منطق العلاقة بين الله والعالم ، إذ يستطيع العالَم أن يدرك نفسه إلى أدقّ التفاصيل ويدرك أنه منفعلٌ ولكن من المحال أن يخرج من جلده ليدرك كيف انفعل ! إذ لو كان بمقدوره أن يفعل ذلك لما كان منفعلاً أصلاً . ومعنى هذا البحث عن كيفية انفعاله يناقض الإقرار بانفعاله خلافاً لجميع أجزاءه بعضها عن بعض . وسبب ذلك هو أن انفعاله هو عين إيجاده .

الرئيس : إذن فقد كفر كلّ الذين أرادوا أن يعرفوا كيف انفعل ! . . . علموا أم لم يعلموا .

المشرقي : نعم .

الرئيس : وفقتم لكلّ شر فكيف كان جواب المتكلّمين ؟

المشرقي : قالوا : ( من قال أن كلمة علّة تستلزم علّةً قبلها ؟ ! وإنما تتطلّب معلولاً فالحدّان متوفّران معاً في فرضية ( العلّة الأولى ) لأن العلّة الأولى لها معلولها الذي نشأ منها وللمعلول علّته الأولى لا يتطلّب المعلول دائماً معلولاً ينشأ منه )(١). وكما ترى سيدي الرئيس فهذا هو أحدث النصوص وليست له أدنى علاقةٍ بالاعتراض ولا يجيب عليه ، بل يؤكّد نشوء العالم من ( الله ) وليس نشوء العالم بأمر الله . فالاعتراض يتحدّث عن التلازم بين العلّة ومعلولها الذي بعدها والغير جائزٍ على الغني بذاته عن المعلولات من بعده والجواب ينفي أن تكون للعلّة علّة قبلها ويؤكّد التلازم بين العلّة ومعلولها !! فأيُّ منطقٍ هذا الذي يقول أن المعلول يدرك علّته مع أن علّته هي علّة إيجاد لا أيّ فعلٍ آخر ؟ لكن الفلاسفة والمتكلمين والمتصوّفة أصرّوا على إمكانية إدراك الموجد من قبل الموجود وكذلك زعم الفارابي قائلاً : ( يفيض من الأول ( أي الله ) وجود الثاني وهو جوهر غير متجسّم أصلاً ولا في مادة فهو يعقل الأول ويعقل ذاته )(٢). ألا تراه جعل الله ثاني اثنين في بدء التكوين كلاهما يعقل نفسه ويعقل الآخر وكلاهما غير

متجسّم أصلاً ولا في مادة ؟ وعلى ذلك جميع الفلاسفة والمتكلمين والمتصوّفة ، بل استعمل الفقهاء أنفسهم اصطلاح الفيض بهذا المعنى في شروحهم وتفاسيرهم . فأيّ شيءٍ أكثر من ذلك يبعث السرور في نفسك سيدي الرئيس وأنت ترى تعدّد الآلهة في طيّات التوحيد ؟

الرئيس : فأيُّ شيءٍ دفعهم إلى أن يزعموا أنهم قادرون على إدراك الله ؟

المشرقي : الذي دفعهم إلى ذلك هو حبُّ ذواتهم أكثر من حبِّهم لله فرغبوا في أن يتشبّهوا به ويتّصفوا بصفاته ولو من بعيد مع ما أَمَلوه من تقديس العّامة لهم والتميّز على الآخرين بدعوى انكشاف الحقائق على أيديهم ، ولذلك اعتمدوا طريقتين : إما أن يتوخّوا الغموض والتلبيس في الأقوال وأما أن يتحدّثوا بوضوح ولكن بلهجةِ المستيقن والمغرور فيحشو سطوره من عبارات الافتخار والإيحاء بانفراده بالكشف مع شيءٍ من التهديد والوعيد وشيءٍ من التشكّي من أهل الجهالات . فأخذ بالطريق الأول المتكلمون والفلاسفة وأخذ بالطريق الثاني المتصوّفة وأهل الطريقة .

الرئيس : قد رأينا الفلاسفة والمتكلّمين فاضرب لي مثالاً من أصحاب الطريقة المتصوّفة يُحلّ فيه المتصوّف نفسه شريكاً لله في صفاته ويجعله -كما ذكرتَ من قبل -عين مخلوقاته .

المشرقي : سمعاً وطاعةً سيدي : فمن الأتباع ( عبد الكريم الجيلي ) الملقّب بالعارف بالله وهو واحد من عشراتٍ أذكره لك كنموذجٍ تقيس عليه أشباهه ، له كتب منها ( الكمالات الإلهية ) و ( مراتب الوجود ) و ( قاب قوسين ) و ( المناظر الإلهية ) ، وهي عناوين كما ترى مشابهة لعناوين الآخرين كالشيرازي وابن عربي والغزالي ووالزنجاني والسهروردي والداماد وغيرهم وفيها صفةٌ مشتركةٌ توحي بالكشف والإطّلاع على الملكوت والملأ الأعلى وأسرار الخلق وصفات الخالق مما عجز عنه الناس وكلّت العقول . فأول شيء تلاحظه في عنوان كتابه ( مراتب الوجود وحقيقة كلّ موجود ) ما يوحي به العنوان من معرفة حقيقة ( كلّ موجود ) بما في ذلك خالق الوجود لنه عندهم هو عين الوجود . هذا العنوان الضخم مع أن الكتاب هو خمسة وأربعين صفحة من القطع الصغير . والأمر الآخر هو الافتتاح حيث قال : ( وأشهد أن لا إله إلاّ الله الظاهر بكلّ موجود بكماله من غير حلول و لا اتصال ولا انفصال ). فالقارئ يظنّ أن ظهوره بكلّ موجودٍ من حيث كون الموجود متعلّق بالفناء بينما مراده الظهور الفعلي من غير اتصال ولا انفصال فهو عين الأشياء . فلما قسّم الوجود إلى مراتب متنزّلة من الأعلى إلى الأسفل جعل ذات الله أولّ مرتبة فيها وجعل المرتبة الأربعين هي الإنسان ثمّ قوّس هذا الخط فرجع الإنسان ليكون هو الله من الطرف الآخر فلم يفعل سبينوزا ولا هوسرل شيئاً أزيد مما فعله الرجل ولم يفعل أنجلز بعد ذلك شيئاً أزيد مما منه حينما قال : أن الوجود مشحون بقوّته الذاتية وأن الجدل المتناقض هو محرّكه الوحيد وعلّته السرمدية . والفرق الوحيد هو أن أنجلز أشرف من أولئك إذ جعل نفسه واحداً من تلك الموجودات التي يقضي عليها

جدل المتناقضات ، أما المتصوفة فأنهم زعموا كالفلاسفة أن محرّك هذا الوجود هو الإنسان ، وليس هو كلّ إنسان ، بل الذي فهم سرّ الوجود كما فهموه ، فكتبوا لأنفسهم شهادة بالخلود والألوهية والبقاء خلافاً لبقيّة الخلق -لأن الله الذي أنكره ماركس أصلاً حلّ فيهم .

الرئيس : وكيف ذلك ؟

المشرقي : لما قسّم الوجود إلى مراتب لم يكن الله في هذا التقسيم أول موجود وحسب ، بل كان مقسّماً هو الآخر إلى مراتب في وجوده :

فأول المراتب : الذات الإلهية .

والثانية : الأحدية .

والثالثة : الواحدية .

والرابعة: الألوهية . وهذه هي مرتبة ظهور الأشياء وهي كما قال : ( من هذه الحضرة تتعيّن الكثرة )

والخامسة : الرحمانية .

والسادسة : الربوبية .

والسابعة : المالكية .

والثامنة : الأسماء والصفات النفسية .

والتاسعة : هي الجلالية .وإذا كان المرء يظنّ أنها صفات الله فهو واهم . لأن الكثرة ابتدأت من الألوهية وهي المرتبة الرابعة . وإذن فكلّ ما بعدها هي صفات مشتركة بين الخالق والمخلوق . علماً أنه لم يأت بصفة الخالق ولم يذكرها مطلقاً من مجموع الصفات لأنها مخالفة لفكرة التقسيم . قال : ( المرتبة الثامنة هي الصفات والأسماء النفسية وهي أربعة لا يتعيّن لمخلوقٍ كمال الذات إلاّ بها ) .

والعاشرة : الجمالية .

والحادية عشر : الأسماء الفعلية .

والثانية عشر : هي عالم الإمكان وهي آخر التنزّلات الإلهية والعقل الأول أول التنزّلات .

والثالثة عشر : العقل الأول .

والرابعة عشر : الروح الأعظم .

والخامسة عشر : العرش .

والسادسة عشر : الكرسي .

والسابعة عشر : الملائكة .

...وهكذا إلى المرتبة التاسعة والثلاثين : وهي الحيوانات والمرتبة الأربعين وهي الإنسان فقال : (

وبالإنسان تمّت مراتب الوجود وكمل العالم وظهر الحقّ تعالى ) ثم قال : ( فالإنسان هو الحقّ وهو الذات ( أي المرتبة الأولى ) وهو الصفات ( أي المراتب من ثمانية إلى عشرة ) وهو العرش وهو الكرسي وهو اللوح وهو القلم وهو الملك وهو ...وهو ( ...إلى قوله ( وهو الحقّ وهو الخلق وهو الحادث وهو القديم ، فلله درّ من عرف نفسه معرفتي إياها لأنه عرف ربّه معرفته لنفسه )(١) . أفرأيت سيدي كيف أبدلنا طريق الذلّ والهوان والإقرار بالعبوديّة في عقول هؤلاء إلى الطريق المناقض : طريق المشاركة مع الله في صفاته ليكون هو الذات وهو الحقّ وهو العرش وهو النور ...إلى آخر الصفات والتجلّيات ؟ وقد خدمنا في ذلك مقولة أحد الرسل : ( من عرف نفسه فقد عرف ربّه ) . فلهذه المقولة معنيان : ما أراده ذلك الرسول وبيّنه أحد الأولياء بقوله : من عرف أنه خرج من طريق البول مرتين وأن نصفه ممتلئ بالغائطِ وأنه يستحيل إلى جيفةٍ ، فمن عرف ذلك عرف أن الربّ لا يمكن أن يُعرَف . وهو فهم لا يقبله إلاّ المقرّ بالواقع الموضوعي للأشياء . ولها معنىً آخر هو ما أردناه : أن العبارة أحلّت النفس محلّ الربّ ، لذلك أكثر المتصوفة وأهل الكشف من الاستشهاد بهذه العبارة أمّا تلميحاً أو تصريحاً حتى إذا أعلن الحلاّج والبسطامي والحافي وآخرون من هذه الطبقة عنها صراحةً زعم الزاعمون أن تلك شطحات من شطحات الصوفية بينما التأسيس الصوفي كلّه قائمٌ على فكرة المعنى الآخر لهذه المقولة -فكرة عبادة الذات بالنيابة عن عبادة الله . ومع ذلك فإن هناك تناقضاً آخر ولو بهذا المعنى : فإن المتصوفة لم يتوجّهوا ألى أنفسهم ليعرفوا ربّهم كما تقرّره العبارة ، بل توجّهوا لمعرفة الوجود بأسره ومنه الربّ ، وزعموا أنهم عرفوا أنفسهم كما قال هذا الشيخ مفاخِراً : فلله درّ من عرف نفسه معرفتي إياها ! فكأن معرفة الله والوجود بأسره أهون من معرفة النفس ! بينما قرّرت الكتب المنزّلة أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس(٢)_ فضلاً عن أن تصحّ مقارنةٌ ما مع خالق السماوات والأرض

.

'لرئيس ي: Dكأني ي(هم ي Jردّون ي ٩ليك ي Bولك ي %ذا ي ٢ عموا ي #ن ي Eا ي 'بتدءوا ي (هـ ي Eن ي ( 'لأنا ي ) Aي ي 'لغرب ي %نما ي Gو ي *طبيقٌ ي Dمقولةِ ي ٠لك ي 'لمرسل ي: 'عرف ي Fفسك ي *عرف ي ١بّك ي.

Eارد ي 'لشمال ي: Hمن ي ١٠ا ي Jحاول ي #ن ي Jعرف ي –رّيته ي Hقيده ي Aي ي "نٍ ي Hاحدٍ ي Dيعرف ي Fفسه ي

.

الرئيس : لكأني بهم يردّون عليك قولك إذا زعموا أن ما ابتدءوا به من ( الأنا ) في الغرب إنما هو تطبيقٌ لمقولةِ ذلك المرسل : اعرف نفسك تعرف ربّك .

مارد الشمال : ومن ذا يحاول أن يعرف حرّيته وقيده في آنٍ واحدٍ ليعرف نفسه ؟ كانت تلك بداية على يد ( جول لكي ) و ( سكرتان ) ، لكنهما لم يشتهرا شهرة ( هيوم ) و ( هيجل ) و ( نيتشه ) و ( ميكافيللي ) _ فالمشرق والمغرب ينساهما .

الرئيس : لا تزعجني أيّها المارد بهذه الأسماء المنسيّة ! هيّا ارتجز قل لي من أنت ، هيّا ارتجزوا فقد انزعجت غاية الانزعاج .

(شعروا أن الرئيس يريد منهم فعلاً أن يرتجزوا لترتفع معنويات المجمع الشيطاني فارتجزوا وابتدأ المشرقي )

المشرقي : أنا مبتدع فلسفة الإشراق . أنا مؤسّس النفاق . أنا أصل الشقاق . أنا الكامن بين الآماق والأحداق .

مارد الشمال : أنا مارد الشمال . أنا مصطنع البلبال . أنا مخترع عبادة الأصنام وجاعل الإنسان معلّقاً بالمحال والآمال . أنا الوبال .

المغربي : أنا زعيم الغرب . أنا الموحي بقياس نفس الإنسان على نفس الكلب . أنا مؤجّج الحرب . أنا مصدر كلّ كرب .

مارد الجنوب : أنا مونادو المشؤوم . أنا مجزّء العلوم . أنا مدمّر القروم . أنا نار السموم . أنا الأنا المعلوم .

الرئيس : كلّكم أجاد والفائز موناد ! لكنكم لم تخبروني بشيء عن أصل هذا المبحث ، أعني إدراك وجود الله وكيفية البرهنة على هذا الوجود .

المغربي : إن أصله يا سيدي هو الإدراك الذي يحدّد في البدء أسس نظرية المعرفة . يا للهول ! تذكّرت .. فقد كاد (باسكال ) أن يقضي علينا لولا ديكارت العظيم الذي جعل الناس ينسون فلسفة باسكال التي نثرها في أوراقه المبعثرة قبيل موته ولم يبق منه في ذاكرة التلاميذ سوى ( أوانيه المستطرقة ) !

المشرقي : يا للمبالغات التي يذكرها المغربي ! لم يأت باسكال بشيءٍ جديدٍ أكثر ممل ذكره من قبل مائة ألف نبيٍّ . إن الإنسان هو الذي يعيننا على نفسه ، وكلّما كانت الفكرة أسوأ كان تشبثه بها أشدّ وتمسّكه أقوى . ألا تراه هرع يؤيّد كارل ماركس حينما اكتشف بذكائه الحادّ ما يريده الإنسان ؟ فكأني به يقول : ( أيّها الأحمق –الرافض لكلّ القيم والمشغوف بالتفلسف _ عن أيّ شيءٍ تبحث ...عن أيّ شيءٍ أيها المنحدر من البرمائيات والقرود العليا ؟ لا أحسبك تبحث إلاّ عن أصلك القديم ، وسأجعلك كما تريد كائناً اقتصادياً نحسب قدرته الحصانية ونأخذها منه كاملةً ونسلّمه علفه اليومي ، وعندئذٍ ستكون فاضلاً رغم أنفك . لكنك مع ذلك تبحث عن الدكتاتورية ، وهذا ما يهوّن الأمر .. فإني أراك تقدّس الطواغيت في عين الوقت الذي ترفضهم فيه ! سأجعلك إذن ( السيّد القِن ) الأوحد في العالم ...وهذا بالطبع لا يمكن أن يحدث إلاّ في حالةٍ واحدةٍ مختلفة عن الحالة المعتادة التي يكون فيها السيّد في مقابلة العبد ، وهذه الحالة هي في أن نكون كلنا سادة في دولة العبيد ، وأن نمارس دورنا كشغيلةٍ دكتاتوريةٍ تحسب قدرتها

الحصانية بنفسها . وأنا أعلم أيضاً أنك تحتاج إلى فلسفةٍ تفسّر لك وجودك سيّداً مستعبداً أو حصاناً دكتاتورياً مستبدّاً ، فليكن التناقض في صميم الوجود وليساعدني العلم الذي لا تعلم الجماهير إنه من نتاج مبدأ عدم التناقض ...والمعذرة لك يا صديقي طاليس الوفي المعذرة فإني سألغي مبدأ عدم التناقض مؤقتاً فقط من أجل أن تسمو روح الجماهير .. وسأودعكم الآن يا أصدقائي .. باي باي أرسطو باي باي سقراط ! باي باي ديموكراتيس .. باي باي ليكتريو ( ...وانقطع صوته لأن الجماهير احتشدت خلفه ولم يكمل الرجل بعد توديعه لأعمدة الحكمة السبعة .. !

الرئيس : لكن العزيز كارل ماركس لم يبرهن على عدم وجود الله كما حاول الخصم البرهنة على وجوده . أهو ذكاءٌ منه لأمرٍ لم يدركه الآخرون أم هو نقصٌ في فكرته لم يتلافاه ؟

المغربي : بل هو ذكاءٌ منه لأمرٍ لم يدركه الآخرون . ذلك أن كلّ كائنٍ في هذا العالم يدرك جيداً حقيقة الله ، لأن مثلها مثل الواحد مع الاثنين والثلاثة إلى آخر الأعداد في علاقة الواحد بالكثرة في المفهوم الرياضي المحض الخالي من الوحدات . فالمرء يقول أن للمثلث ثلاثة أضلاعٍ ، فيقول الآخر : برهن على ذلك فيقول : أحسب الأضلاع هذا واحد وهذا اثنان وهذا ثلاثة ...لكن إذا قال الآخر : هذا لا يكفي .. برهن أن الواحد هو واحد ، فمن أين يأتي له المرء ببرهانٍ على هذا ؟ فالواحد كونه واحداً هو برهان نفسه إذ لولاه لما عرفنا الاثنين والثلاثة وإلى آخر الأعداد . إن من المعقول نوعاً ما أن تسألني : ما الثلاثة ؟ وأجيبك فأقول : هي ثلاثة آحاد . ولكن هل يعقل أن تطلب مني برهاناً على أن أعرّف الواحد عن طريق الثلاثة ؟ لأن الأصل هو أني ما كنت أعرف الثلاثة إلاّ بالواحد . ماذا يعني إذن إنكار الله ؟ إنه مسألة خُلُقية لا علاقة لها بنظرية المعرفة مطلقاً .. ولذلك فنحن نؤكّد للإنسان دوماً أنه يحتاج إلى برهان عليها ، لأننا إذا أسقطنا ما يرتكز عليه الحساب العقلي كلّه فقد سلبناه عقله كلّه من غير أن يعلم . لقد أدرك هذا الرجل ( ماركس ) أن الجماهير لا تبحث عن دليلٍ ، بل تبحث عن فكرةٍ يضيع فيها الدليل ! فكرةٌ لا وجود للعدد الحقيقي فيها ، فكرةٌ لا تنطوي على القضيّة الرياضية من أن الواحد هو فكرة الواحد في الرياضيات دوماً . تحتاج الجماهير إذن إلى من يسلب منها عقلها وعلمها بالأشياء .. فأنكر كارل ماركس لأجل الجماهير الحقيقة الثابتة ! وجاء أنجلز ليبرهن على غباء أولئك الذين يعتقدون أن الواحد هو واحدٌ دوماً !!

الرئيس : وبأيّ شيءٍ استطاع إثبات ذلك ؟

المغربي : عن طريق العلم نفسه ! ليس المطلوب من المرء إلاّ أن يقلب حقائق العلم فتؤمن به الجماهير ! لأن أنجلز يقول : أن واحداً من الماء مضافاً إلى واحدٍ من التراب لا ينتج اثنين من الطين _ وإذن فالواحد ليس واحداً على الدوام . والجماهير تصدّق لأنها تريد أن تصدّق وليس لأنها تريد أن تتعلّم . إذ

ليس لها حاجة إلى التعلّم فحقيقة ثبوت الواحد بالماء والطين تمارس يومياً من قبل جميع الذين صدّقوا بنقيضها . لأنك لو حّملت أحدهم عشرين كيلوغراما من الماء وعشرين كيلوغراماً من التراب على شكل طينٍ لأسرع في نسيان أنجلز ولأنكر إنكاراً تامّاً أن يكون الطين دون المجموع الذي هو أربعين كيلو غراماً إذا كانت أجور التحميل تدفع مقابل الوزن . جمع أنجلز الحجوم لإخفاء إبقاء الوزن ثابتاً .. نعم أما أنا فأذكى منه لأني رأيت النجار يوماً قد جمع عشرة مع ثمانية فكان الناتج واحداً ! لقد كانت قطعاً من الخشب لصنع سريرٍ .كم كان يعجبني أن أوحي له بها ، فأنا أيضاً حافظت على الوحدات لأنها قطع ، وإذا كان ( دوهرنك ) هو الوحيد الذي صاح بوجه أنجلز ليكفّ عن هذه الترهات المنافية للعلم والمنطق .. فقد تكفّل أنجلز بالردّ عليها في ( أنتي دوهرنك ) بترهاتٍ أعظم كانت مدعاة لتأييد الجماهير ! . لقد كان ماركس وأنجلز سيدي الرئيس من ألدِّ أعداء المادية ، ولقد أوحينا إليهما التأكيد على المادية والدفاع عنها لأننا ندرك جيداً أن إنكار الأنظمة الصارمة والحقائق الثابتة في حركة المادة هو شيء سيثير علينا سخط علماء الطبيعة جميعاً ، فكان لا بدّ لنا من الارتكاز على ما نحن أعداء لدودين له كمثل الساحر حينما يستخدم أسماء الله الحسنى . إن المادة هي خلق الله .. إن المادة هي مثل كتبه المنزّلة لا بدّ لنا من الانتساب لها .

مارد الإتلاف : لقد قمت سيدي الرئيس وبكلّ طاقتي مع الزمر التي تحت أمرتي بإتلاف ( دوهرنك ) .. والإبقاء على ( أنتي دوهرنك ) _ فهل ترى في المشرق دوهرنك ؟ حتى في ألمانيا يصعب جدً الحصول على دوهرنك ! .

الرئيس : وفقتم لجميع الشرور . ولكني أريد أن أسألكم سؤالاً شخصياً آخر هو : كيف كفرتم بالله وأنتم على هذا القدر الواسع من المعرفة ؟ أوَليس العارف بالحقّ هو المحقّ ؟ ما تقولون أيّها الملأ ؟ .

مونادو: ليس العارف بالحقّ هو المحقّ سيدي الرئيس بل المعرِّف بالحق والذي يهدي الناس إليه . وأما العارف بالحقّ الذي يضلّ الناس عنه فهو مبطلٌ دوماً . فمعرفتنا شيءٌ واختيارنا شيءٌ آخرٌ . والعارف بالحقّ لا بدّ أن يكون عارفاً بنقيضه وهو الباطل إذ كيف يعرف الحقّ وهو لا يميّزه عن الباطل ؟ فهل يصحّ أن يقال : العارف بالباطل أو العالم بالشرور مبطلٌ وشريرٌ ؟ فالرسل أعلم الخلق بالشرور ومع ذلك فهم أخيار .

المغربي : ومن هنا جاء أحد المناطقة إلى أحد الرسل فحاججه الرسول طويلاً فقال المنطيق : ( والله إن ما تقوله لحقٍ ولكن قلبي لا يطاوعني على اتّباعك ) ، فكان ذلك الرسول يقول له ( هلاّ رحلت عني ) فقال : إني راحلٌ .. فمشى قليلاً ثم رحل إلى عالم الأموات .

المشرقي : إن المعرفة هي حدٌ مضافٌ إلى الاختيار . فالذي اختار الشر طريقاً فإن المعرفة تزيده شرّاً

والذي اختار الخير فإن المعرفة تزيده خيراً .

الرئيس : فكيف اعتمد الفلاسفة على نظرية المعرفة لتأسيس الأخلاق ؟

المغربي : وهل يجهل الفلاسفة أن العقول اختلف حسابها للأشياء تبعاً للاختيار؟ لكننا أوحينا بذلك كي لا يتميّز الخير من الشرّ وندخل بمعرفتنا للأشياء في جملة الأخيار ، لأن الناس يظنون أن الأكثر معرفةً هو الأكثر خيراً .. ومن هنا أصبحنا مع إخواننا شياطين الأنس ومردتهم من خيار الخلق ، فضاع على العامّة التمييز بين الخير والشرّ وتمكّنا من أن نقودهم كم تقاد القطعان ! .

المشرقي : ولن يتمكنوا وإلى أمدٍ غير منظورٍ من أن يميّزوا بين عارفٍ بالشرّ وهو من الأخيار وبين عارفٍ بالخير وهو من الأشرار . ولكن ألا تأذن لنا يا سيدي الرئيس أن نسألك كما سألتنا ؟ .

)تسمّر نظر الرئيس على ظهر اللوحة الموضوعة على يمينه ولم يحرّكه إلى الجدران التي بناها العفاريت بأقصى سرعةٍ وأدقّ صنعةٍ والتي هي عبارة عن ألواحٍ بلّوريةٍ كالثلج قام عليها سقفٌ من صخر الأنكوكمي المعدني الأسود ثُبّتت بالأصماغ الزرنيخية ، وكان الباب المصنوع من الرصاص الأحمر قد ثُبّت على مصراعٍ من حجر الدم منحوتٌ بدقّةٍ ولطافةٍ ، وقد بُلّطت الأرضية بصخورٍ مصقولةٍ من الزاج الأزرق ، وكلّ هذه المواد كانت قد جُلِبت في وقتٍ سابقٍ من غابات الأرز الصخرية المنتشرة على سطح أكبر أقمار الأرض السادسة المسمّاة بالكوكب المطوّق أو ذي الأكتاف . وكان قد حدث نزاعٌ قصيرٌ بين مارد الريح ومارد الماء انتهى بانتصار الأول حينما ادّعى أن التفاؤل يقضي ببناء الهيكل من مواد خارجية لا من مواد الغوص لعلّهم يرجعون إلى غزوَ ذي الأكتاف مستقبلاً ، وزعم أنه راعى في البناء الشروط الأربعة لعمل الشياطين وهي التستر بالظلام والاستعلاء على الأجواء والبحار والدخول والخروج بالنار وأخيراً القدرة على النفاذ من الجهات الأربعة . ولم في الهيكل من المفارش سوى المقاعد العارية المنحوتة من حجر المِسنّ القمري مثبّتة على أرجلٍ ملساءَ من الجرانيت الأحمر بمسامير من فضةٍ صلدةٍ تقابلها طاولة الرئيس المصنوعة من الإبريز الخالص والذي سُلّح بأسلاكٍ خليط الحديد والفيناديوم ، بُسِطت عليه مخملةٌ وحيدةٌ من العبقري طُرّز عليها رسمٌ يخلب الألباب لشاهينٍ مخلبيٍّ مزّق ذكراً من العَلَق وتطاير ريشه في كلّ الجهات حتى تساقط بعضه على طاووسٍ قريبٍ يتأمّلُ واستُخدِمت في إبراز ألوانها سبعون نوعا من مياه المعادن . بينما كانت اللوحة المقابلة للحضور والوحيدة في الهيكل مؤطّرة بخشبِ الزان ومساميرها من العاج وهي من جلد الحيوان رُسِم عليها وبإتقانٍ طفلةٌ قبيحةٌ غاية القبح وهي تجرّ امرأة فاتنة الحسن من شعرها في الأوحال والمرأة تستغيث ، وقد استُخدِمت في تلك اللوحة جميع الألوان المستخرَجة من الأبدان الحيّة . وكان نظر الرئيس قد تسمّر على ظهر هذه اللوحة حينما سأله المشرقي وأجابه قائلاً )

الرئيس : ليس من العادة أن يسألني أحدٌ من الخلق إلاّ شقيقي ( كنكر ) ، لكن إذا كانت الأسئلة

بخصوصه فإني أُجيب .

المشرقي : إنها بخصوصه سيدي الرئيس ، فقد قارب حدسي أنه أفضل منك ، فإن صدق حدسي فإني أتسائل : تُرى ما الذي جعل هذا الشطر أفضل من الشطر الآخر إذا كانا في الأصل شيئاً واحداً ما ينبغي له أن يكون إلاّ منشطراً ؟

الرئيس : يا لك من خبيث !

مونادو : إذا كان الرئيس يرى أنه سيجيب على المسألة فلينظر في أن يقدّمني بين يديه .

الرئيس : تقدّم .. ! .

مونادو : إن فضله على شقيقه كفضل رجلٍ فرّ إلى أبيه على الذي فرّ من أبيه . فالأول طلب رضاه والثاني خاف سخطه ، الأول رجاه والثاني خشاه .

المشرقي : فهل اتّخذا هذا القرار بعقلٍ واحدٍ أم بعقلين مختلفين ؟

مونادو : بعقلين مختلفين طبعاً ! .

المشرقي : أفكان لهما عقلان قبل وجودهما أم بعده ؟ ! .

)يضحك الرئيس ورأسه يرتفع وينخفض على الطاولة ، وضحك مونادو من بعده )

المشرقي ( مخاطباً مونادو ) : لِمَ تضحك ؟

مونادو : الرئيس يضحك أيضاً فلم لا تسأله ؟

المشرقي : الرئيس ربما يضحك لأننا نتحاور أو لسببٍ لا أعلمه .

مونادو : الرئيس يضحك منك ! .

المشرقي : وكيف ؟

مونادو : لأنك تسأل عن تقدّم العقل أو تأخّره عن الوجود ! .

المشرقي : بالطبع لأنه لا يعقل أن يكون هذا المكوَّن عاقلاً قبل وجوده فلا بدّ إذن أن يكون عاقلاً بعد وجوده .

مونادو : لا زلت تؤكّد ما يثير الضحك . إن العقل ليس متقدّماً ولا متأخراً ، إن العقل هو تعلّقٌ بشيءٍ آخر وانحباسٌ به فلا وجود بغير عقل ولا عقل بغير وجود ! فلم يكن قبله ولا بعده بل كان هو ومعه . إذ لا يمكن أن يظهر شيءٌ إلاّ بتعلّقٍ ، وهذا التعلّق هو لبّ التعقّل .

المشرقي : المادة إذن عاقلة ؟ .

مونادو : أنا قلتُ عاقلة ؟ ! يا صديقي أنا قلتُ عالقة ..

المشرقي : لقد زعمت أن العقل مع المادة لا سابق ولا لاحق وإذن فمعها عقلها .

مونادو : بلى بلى معها عقلها لكنها ليست عاقلة !! بل معقولة .

المشرقي : أتريدني أن أخرج من هذه القاعة مجنوناً ؟ كيف يكون في الشيء عقل وليس عاقلاً ؟

مونادو : نعم يكون ذلك ولا يكون غير ذلك أبداً ، لأنه سيقع التناقض . ألا ترى أن الإنسان يكون في يده ورجله العقل أي ما يقيّد حركته ولذلك لا يكون هو العاقل ؟ ألا تراهم يقولون عقلتُ البعير ؟ وإذن يكون في البعير عقلٌ ولكنه ليس هو الواضع ؟ يا أخي إذا كان ( العقل ) يفقدك عقلك هكذا فاجعل بدلاً عنه لفظ الحبس أو القيد ..فلنتكلّم هكذا : المادة معها عقلها قيدها ولا يمكن أن تظهر بغير عقل بغير قيد ، وإذن فهي غير عاقلة غير قادرة على تقييد نفسها فهي معقولة مقيّدة بوجود فنائها وفناء وجودها .

المشرقي : فما يكون هذا العقل ؟

مونادو : إنه المادة . فالمادة هي العقل والعقل هو المادة ! ألا ترى هذا العقل الذي هو في كلّ جزءٍ من المادة ؟ ألا ترى كيف اعتقلت النواة جسيماتها وعلقت بها جسيماتها ؟ ولتلك الجزاء أجزاءٌ أدقّ قيّدت بعضها البعض وعلقت بعضها ببعض ، فأنّى لها بالانفراد والوحدة أمام الألوهية ؟

المشرقي : أفلا يكون الذي فيه عقل عاقلاً قط ؟

مونادو : إن كلّ تعاقب صوتي هو كيانٌ قائمٌ بذاته له خصائصه المختلفة . فإلى أيّ شيءٍ ترمي ؟ إن كنت تريد أن يكون الشيء عاقلاً ومعقولا في آنٍ واحدٍ فلا بدّ لك من استعمال لفظٍ آخر فالمفعول غير الفاعل والمكسور غير الكاسر وإذا كان العالم معقولاً ومقيّداً بذاته فأنى له أن يكون عاقلا لغيره ! ما لك تدافع أيها المشرقي ؟ أظننت أنك إذ تسأل الرئيس هذه المسائل ستتوصّل من خلالها إلى إثبات أول عبارتين في الناموس فتفوز بالجائزة ؟ هيهات إنما فتنك الرئيس حينما ضاعف لك الجائزة المنتظرة ليكشف مقدار معرفتك وفتنك تارةً أخرى حينما قال لك مخاطباً : ( يا لك من خبيث ) ، فلن تتوصّل إلى ما ترمي إليه ولو أهلكت نفسك .

المشرقي : دعك من علمك بنفسي ونفس الرئيس وأجب على المسألة ألا يكون المعقول عاقلاً لغيره قط ؟

مونادو: بلى كلّ معقولٍ فهو عاقلٌ !

المشرقي ( ملتفتاً إلى الرئيس ) : ألا ترى يا سيدي جنون هذا المارد ؟ فقد قال قبل لحظة واحدة : المعقول لا يكون عاقلاً ! .

الرئيس : إن الخبث الذي يجدي نفعاً هو في تطبيق المعرفة لا في تحصيلها ! .

مونادو: فاغلق فمك إذن أيّها الماكر في تحصيل المعرفة لا في تطبيقها ! فإني ما قلت المعقول لا يكون عاقلاً ! بل قلت تحديداً لا يكون عاقلاً لغيره . أفتعلم من هو غيره ؟ غيرُه ما ليس معقولاً بشيءٍ وليس مقيّداً بشيء.. إنه الآخر .. والعالم كلّه معقولٌ وكلّ جزءٍ فيه معقول فهو عاقلٌ لنفسه فقط .. لقد أعماك

خبثك الشنيع في تحصيل المعرفة عن صفة الآخر فصفته أنه عاقلٌ غير معقولٍ ، وأصبحت مثل الإنسان الذي لم ينتبه إلى تلك الصفة التي هي أولى العبارتين في الناموس والوحيدة المسبوقة بفعل الأمر ( قل ) ، فلو كانت معقولة لمعقولية الموصوف لما قال : قل ! . فإذا لم تستفد من الكتب المنزّلة فانظر لنفسك كم ارتكبت من الحماقات وكم فاتك من أشياء تضلّ بها عدوّنا الإنسان ؟

المشرقي : ألا ترى يا سيدي أنه هو الذي فاته تضليل الإنسان فقد أثبت الآن قول القائلين بالعقل الأول الفعّال وما أكثرهم !

الرئيس : إن الخبث في تحصيل المعرفة نقيض للخبث في تطبيقها !

مونادو : لقد بدأت أشفق عليك أيّها المشرقي . فهذا تحذير آخر من الرئيس ، فإن العقل الفعّال عند هؤلاء يعقل الآخر الذي ( هو ) ، والذي جاء بعد فعل الأمر في العبارة . فإذا كان يعقل الذي هو فقد حصل المطلوب من التضليل ، فإنه إما أن يكون إلهاً آخر وإما أن يكون العالم عين الذي هو فهو إله نفسه ، أما أنا فقد قلت أن كلّ معقولٍ فهو عاقلٌ ولكنه لا يعقل غيره قط .

المشرقي : إذن فكلّ معقولٍ مريدٌ وقادرٌ على الاختيار !

مونادو : يا لخضوعك للإنسان ! ما أشدّ إتباعك للإنسان حينما تظنّ أن الله يخلق ما لا يعي ولا يفهم ولا يختار ! نعم كلّ معقولٍ فهو مريد . من أين تأتي للشيء قدرةٌ على الظهور إذا لم يكن حرّاً ؟ . إن الشيء الوحيد الممكن أن يوجد هو الحرّية ، فإذا لم يقدر على الاختيار لم يقدر على الانشطار فيفنى من حيث يوجد ! بأيِّ شيءٍ يتمسّك كي يبقى ؟ . وإذا افترضت وجود شيءٍ كهذا فقد بلغت من الجهل أقصاه لأنك تفترض وجود معدوم .. إنه تماماً مثل الذي يفترض وجود واحدين في الأعداد . إن الله لا يقدر أصلاً أن يخلق شيئاً معدوم الإرادة ومسلوب الحرّية لأنه لا يقدر أن يخلق إلهاً آخر .

المشرقي : إذن فالإله مسلوب الإرادة ! اسمع سيدي الرئيس !

الرئيس : إنه لم يقل ذلك . بل قال سيكون هذا المخلوق إلهاً مسلوب الإرادة وهي عبارة خاطئة كلّها إذ يتنافى وسطها مع الطرفين . فهي ناتج لقولك بوجود مخلوق مسلوب الإرادة .

مونادو : لأن هذا المخلوق لا قدرة له على اتخاذ أيّ قرارٍ يبقيه مقابل الفناء الذي لا بدّ منه _ فكيف إذن يبقى موجوداً ؟ لا بدّ أن يكون موجوداً بذاته فهو إلهٌ من جهةٍ ومخلوقٍ من جهةٍ وغير مريدٍ من جهةٍ ثالثةٍ ! يا هذا ألا ترى في الكتب المنزّلة أن الله ما خلق شيئاً إلاّ كلّمه ؟ أفتراهُ يكلّم من لا يعي ويأمر من لا يختار ؟ . سيدي الرئيس : إن هذا الشيطان لم يستفد من الكتب المنزّلة مطلقاً ! لقد ترقّى في هذه المناصب زوراً ! إنه ينكر الحرّية التي هي وجود العالم ومن يدري لعلّه سيحاول إثباتها في _ ما بعد الوجود _ كما يفعل الإنسان تماماً ، فهو لا يخدم الشياطين بشيء إذا كانت حدود معرفته بحدود معرفة

الإنسان للأشياء .

المشرقي : توقّف عن العبارات التي تريد أن تشغلني بها عن الحفرة التي وقعتَ فيها الآن ، فاخبرني عن هذا الشيء الذي كلمه الله كلّمه قبل أن يوجده أم بعد أن أوجده ؟

مونادو : عن أيّ شيءٍ تبحث أيّها الماكر بعد إن هُزِمت هزيمةً منكرةً ؟ أنت الذي كنت تؤكّد أن المنفعل لا بدّ أن يجهل كيف انفعل إذا كان هذا المنفعل هو العالم كلّه ، تريد عن طريق الـ ( متى ) أن تتسلل إلى الـ ( كيف ) ؟ هيهات ! . لا يتكلّم الله مثل الخلق عندما يبدأ الخلق ، لم يكلّمه قبل الإيجاد ولا بعد الإيجاد بل التكليم هو عين الإيجاد وحالُه .. أتريد أن تنفذ إلى الموصوف عن طريق الصفة ؟ . إن معرفة الصفة غير ملازمة لمعرفة الموصوف .. لأن تلك هي الصفة الأولى والبديهية الأولى التي هي برهان كلّ شيء ولا برهان عليها ، فهي برهانٌ لنفسها وبرهانُ كلّ صفةٍ بعدها فهي أول صفةٍ نعرفها عنه .

المشرقي : فاخبرني إذن كيف حصلت الكثرة ؟

مونادو : هكذا سل منذ البداية فلماذا الدوران ؟ أتحصل الكثرة من الواحد أم من الوحدة ؟ أجبني أنت ! .

المشرقي : تحصل من الواحد .

مونادو : كذبت ! لا تحصل الكثرة من الواحد ولا من الوحدة ، إنما تحصل من الاثنين . لأن في الاثنين واحدٌ وواحدٌ آخرٌ ، بينما لا يوجد اثنين في الواحد .

المشرقي : فكيف تحصل الكثرة وما علاقتها بالواحد ؟

مونادو : تحصل من الاثنين وعلاقتها به أنها تنشأ به .

المشرقي : قلت للتو أن الكثرة لا تحصل من الواحد !

مونادو : ولا زلت أقول ذلك ، فهي لا تحصل من الواحد ،إنما تحصل به . ألا ترى أنك لا تقدر أن تأتي بما هو بعد الاثنين إلاّ منها وباستعمال الواحد الجديد ؟

المشرقي ( يقهقه عالياً ) : اسمعوا يا شياطين الجان ، لقد برهن مونادو على غياب الواحد من حيث لا يعلم !

مونادو : وهل أريد غير هذا الإقرار أيّها المغفّل ! فليشهد الجمع أني أشهدُ على غياب الواحد . هيا أرني واحداً وحده في هذا الوجود لا ثاني له ! أرني من هذه الموجودات شيئاً واحداً يكون واحداً في الحقيقة لا زوج له ولا مكرّر له من أفراده ولا مثيل له ! فأين هو هذا الواحد ؟ . كلّ شيءٍ تحسَبه وتبدأ بالواحد فهو واحد بالعدد إذا عكستَ العدّ أصبح ثانياً أو عاشراً أو كما يحلو لك ، فأرني واحداً هو واحدٌ فعلاً ! لا ثاني له ويبقى واحداً على الدوام .

)يضرب المشرقي على رأس المقعد الحجري فيحدث صوتاً ثم يقول )

المشرقي : انتبهوا أيها الجمع .. انتبهوا ..

)يخرج من كمّه حصاة ويقول )

المشرقي : هذه حصاةٌ واحدةٌ لا ثاني لها من حيث خطوطها وألوانها في كلّ الحصى الذي في الوجود ! لقد وقع الجنوبي !

)يتقدّم الجنوبي نحو الرئيس ويضرب على الطاولة الذهبية ويخاطب الرئيس )

مونادو : اعذرني أيّها الرئيس إذ أضرب على طاولتك فقد اقترب الفوز

)ثم أنه يخرج من كمّه حصاة أخرى ويقول )

مونادو : هذه حصاةٌ مساويةٌ لها في الوزن .. إنها مثيلتها في وزنها تماماً هيّا زنوهما بأدقّ الأوزان !

)تنهمك مجموعة من الجان في وزن الحصاتين وفي الأثناء يواصل الجنوبي قائلاً )

مونادو : أتحسب أيّها المشرقي أن تأتيني بواحدٍ من حيثيةٍ دون حيثيةٍ أخرى وينطلي الأمر على المجمع ؟ إن هذا ليس بواحدٍ حقيقي ، وعدا ذلك فهو يتجزّأ . إذن فالواحد هو كلّ وجودنا وبه فقط نحيا ونتعامل ونتعلّم ونحسب ونجمع ونثيب ونعاقب وبه نوجد ومع ذلك فإننا لا نبلغه ولا ندري ما هو خلافاً لكلّ رقمٍ آخر ! فهو أكثر ما نعرفه من الأشياء إبهاماً ، ولذلك فهو أحدّها حدوداً لأن حدّه أبسط الحدود ! حدّه أنه الحقيقة الوحيدة التي بها نكون وتعريفه أبسط تعريفٍ ، لأنه وحده الذي لا نعبّر عنه إلاّ بمثل ( لا أدري ) ، أ، الذي هو هو ولا ندري ما هو فهو الأحدُ من كلّ شيءٍ .

الرئيس : إن الذي هرب من أبيه كي لا يسخطه في طبعه شرٌّ كتمه . قال في ذات نفسه : هذا أبي وأخشى أن أواجهه فأسخطه . أما الذي بقي في موضعه فقد كان في طبعه خيرٌ اعتمده . قال في ذات نفسه : هذا أبي فأمكّنه من معاقبتي لعلّه يرضى . فقال الأب للأول الهارب : هربت من وجهي وكتمت شرّك عني فأجازيك بأن تفرغ شرّك على أعدائي وأسلّطك عليهم ، وقال للثاني الصابر : فررتَ إليَّ ولجأت إلى جواري فإني أُجيرك ، وأجازيك عل فعلك بأن تفرغ خيرك كلّه على أوليائي . ثم قال للأول : هذا هو قدرك ستظلّ دائماً تبحث عن الأشرار ! وقال للثاني : هذا هو قدرك ستظلّ دائماً تبحث عن الأخيار ! ثم قال : هذا عدلٌ ، فالأول أخّرني عندما قال : أنا من ؟ وأبي من ؟ والثاني قدّمني إذ قال : أبي من وأنا من ؟ فكلّ قائلٍ يذهب بعدئذٍ يذهب مع أحدهما حسب قوله .

)بعد فترةٍ سكوتٍ يواصل الرئيس قائلاً )

الرئيس : اكتبوا هذا القرار : ( يُعيّن مونادو بن ساموزا الأبرع زعيماً لشياطين الأرض الثالثة في مجموعة الشمس الساطعة إحدى مجموعات مجرّة الطريق اللبني في العنقود المجري السابع ويكون نافذاً هذا القرار قبل تاريخه بألف سنة مع مكافآتها المنصوص عليها .. )

(قام الرئيس باتجاه الباب ثم قال )

الرئيس : سأعود لاحقاً لأقرأ عليكم مقررات هذه الجلسة فقد أوشكت على الانتهاء ...

(وحالما خرج الرئيس هجمت جحافل من الجان خصوم الشياطين من كلّ صوبٍ وحطّمت الجدران البلّورية وهوى السقف ، وأُضرمت النار بنيران المشاعل في القاعة وتطايرت شظايا اللوحة مشتعلةً في الهواء في حين تكوّرت المخمّلة العبقرية تحت الطاولة الذهبية التي اتكأت على جانبها .. لحظات وانتهت المعركة التي راقبها الرئيس من على التلّ المجاور وهو يقهقه بدفقاتٍ منتظمةٍ متباعدةٍ : هه ...هه ...هه ... تشتبه على السمع بدفقات بركانٍ أوشك أن يخمد أو بركانٍ ابتدأ الثوران . ثم نادى الرئيس من أعلى التلّ )

الرئيس : أعيدوا تنظيم الزمر ... ... ...

(ورجع الصدى كما لو كان يصدر من جميع قمم الجبال وعن كل الموجودات الأرضية : أعيدووووو ... تنظيم م م م م ...الزمرررررر. لكن الرئيس لم يشكّ قط أن هذا ليس صدى وإنما هو صوت ( كنكـر ) ! )

(تمّـــت )

قبـل النهايـــة

(1)انظر ( فلسفة المحدثين والمعاصرين ) / صفحة ١٤٥ .

(2)الفينومينولوجيا عند هوسرل / ٢٢ .

(3)المصدر السابق / ص : ٢٢ .

(1)انظر تراجع هوسرل عن ( الأنا وحدية ) بعدما تعرّض للنقد وانظر تراجعه عن التراجع وانظر تراجعات كثيرة أخرى للفلاسفة .

(1)مبادئ الفلسفة / ص : ٩٢ .

(1)المفردات بين الأقواس أسماء أفكار وكتب فلسفية تدور حول تعظيم ( أنا ) الكوجيتو الديكارتي .

(1)قصة الفلسفة / وول ديورانت .

(1)المشكلة الفلسفية / ٢٨

(1)المشكلة الفلسفية / ٢٨

(1)الجمهورية / ١٤٣ . أفلاطون .

(2)آراء أهل المدينة الفاضلة / ١٠٠ . الفارابي .

(3)حكمة الغرب / برتراند رسل .

(1)القرآن / طه / ١٢٠ .

(2)النص من وول ديورانت / قصة الفلسفة / ٥٧ أفلاطون .

(3)كذلك .

(1)قصّة الإيمان / نديم الجسر .

(1)الطبيعة والله . / سبينوزا .

(2)الاختلافات في الترجمة .

(1)نفس المصدر السابق .

(2)القرآن الكريم /١٠٦ / ١٢ .

(1)وول ديورانت . / ٣٢٢ .

(2)شخصيات ومذاهب فلسفية / سبينوزا .

الكلب : بكسر اللام . صفة .

(1)الفلسفة والإنسان / ٣٥ _ مسألة العدم _ سارتر .

(2)الفينومينولوجيا / الطريق إلى الأنا المتعالي / ١٥٣ .

(1)الفينومينولوجيا / ٢١١ .

(1)قصة الفلسفة / ١٧١ .

(2)اطلنطا الجديدة / فرنسيس بيكون .

(1)سبينوزا / نقد كتاب الله والعالم .

(1)صحيح بالنسبة للشخص موضوع البحث ( أي هوسرل ) _ لأن الشيطان هو الذي أملى هذه المقولة فهو يعلم خطأها الذي سيبرهن عليه فيما بعد للرئيس .

(1)الفينومينولوجيا عند هوسرل / ٢٤٢ .

(1)أفكار وجودية / ٩٦ .

(1)كنت / من أشهر الفلاسفة الألمان له كتاب ( نقد العقل الخالص ) و ( نقد العقل العملي ) .

(1)التعريفات من فلسفة شوبنهاور .

(1)التعاريف لأرسطو ومَن بعده ولا زالت مستعملة .

(1)طيماؤس / ٤٥٣ آ .

(2)الفلسفة في الإسلام / ٢٢٨ .

(3)النفس / أرسطو / ٢_٤ / ٤١٥ ب .

(4)تاريخ الفلسفة الغربية / برتراند رسل / ٢٧٤ .

(1)رسالة أضحوية في أمر المعاد .

(2)المصدر السابق .

(3)المصدر السابق .

(1)المصدر السابق .

(2)النجاة / ابن سينا / ٢٩١ .

(1)شرح العضدية / ٦٠٦ .

(2)الرسالة الأضحوية / ٨٩ .

(1)الأمير ، والمطارحات .

( 4 – 1 )جميع النصوص من / القسطاس / ١١٠ / ١٠١ / ٦٧ / ٦٨ .

(1)المصدر السابق .

(2)هذا رأي المغربي وسوف يخالفه المشرقي ويعطي سبباً للاختلاف .

(1)يتعمد المؤلف هنا تكرار الضمائر في عموم المحاورة .

(1)أي أن العدد الأقرب مثل (٢) لا يمكن استخراجه من الواحد إلاّ إذا فقد صفته كواحد مثل ( إثنان نصف الواحد ) . وهذه العبارة هي التي يسرقها الشيطان فيؤسس عليها علماً بالمجهولية .

(1)العبارة كلها من كلمات المسيح ( ع ) .

(1)الفقرات من الشواهد الربوبية / الفصل الأول .

(1)الشواهد الربوبية / الإشراقة الخامسة .

(2)إثبات واجب الوجود /نجم الملّة علي بن عمر الكاتبي / المطارحات الفلسفية / دار المعارف /١٩٥٦ .

(1)هذه هي العبارة الأخرى التي يرصدها مونادو والتي سيحاول الاستفادة منها في آخر القصة .

(2)الشواهد الربوبية / الإشراقة الأولى .

(3)القرآن الكريم / آية ٩٢ /سورة النحل .

(1)محمّد بن محمّد بن نصير الدين الطوسي _ فيلسوف وفلكي بنى مراصد المشرق وكان وزيراً لهولاكو وكان إسماعيلي المذهب وقيل اثنا عشري فيما بعد وله مؤلّفات كثيرة في الفلك والفلسفة _ والفقرة من المطارحات / ٤٩ ب .

(2)آراء أهل المدينة الفاضلة / الفارابي _ ٣٠ .

(3)المصدر السابق / ٢٦ .

(1)إن مونادو يكذب هنا لأنه ينتفع بهذه المحاورة لتأسيس العلم بمجهولية الواحد المعلوم ، لكنه ينتظر اللحظة المناسبة ليوقِع بالمشرقي ويفوز بزعامة الشياطين .

(1)تمهيدات / كانت –نشرة الأكاديمية ج٣٢/٩١ .

(1)القرآن الكريم / المائدة / آية ١١٥ .

(1)الشفاء / ج ٢ /٣٧٤ / وكذلك النجاة / ٣٧٢ .

(1)حوار بين الفلاسفة والمتكلّمين / ١٦٦ –د . حسام الدين الآلوسي .

(2)آراء أهل المدينة الفاضلة . / ٤٦ / الفارابي .

(3)القرآن الكريم / سورة الكهف / آية ٥١ .

(1)الشواهد الربوبية / ١٦ .

(1)فلسفتنا / ٣٠٥ .

(2)آراء أهل المدينة الفاضلة / ٤٦ .

(1)مراتب الوجود وحقيقة كلّ موجود / ١–٤٢ .

(2)القرآن الكريم / سورة غافر / آية ٥٧ .